

# كلمة التحرير

اجمل ما في الأدب هو انه يحتفظ بتلك القدرة الخالدة على ملامسة  
أوتار النفس وعزف انسب الألحان لها حتى وان تكافئت آلاف السنين  
لتفصل بين الكاتب والقارئ ، فالكلمة الدقيقة المرفهة تتخطى العصور  
والأزمان والمسافات والإسفار لتحل إشعاعاً ملهماً لأنفس بعد مئات  
السنين من اختفاء النفس التي صاغتها وأبدعتها . وهنا يلتقي الأدب  
مع جوهر إنسانيتنا لأن العظيم في الاثنين هو كونهما قيمة كونية خالدة  
لاتغير من كنهها الأزمنة أو الامكنة أو المراتب والدرجات . ففي الأدب  
نجد سبراً لأعمق هذه الإنسانية وكشفاً لمعانيها وأبعادها وقيمتها الراسخة  
من هنا فاننا ، ومع كل عظمة سقراط ، نكتشف في هذه القصة التي  
كتبها عنه برتولبريخت ، انه إنسان قبل كل شيء بمخاوفه ومشاعره  
وآلامه ونقاط ضعفه ، ونرتاح لهذا الشعور لأننا نكتشف أننا طبيعون  
وان آلامنا ومخاوفنا ونقاط ضعفنا كانت دائماً جزءاً من شرطنا الإنساني.

كما نطل علينا هوراس ، الشاعر اللاتيني الكبير ، من عصور  
ما قبل الميلاد ليقطب أوجه الأزمة التي مازال الكثيرون يعانون منها اليوم ،  
الا وهي الصراع بين البحث عن ضروريات الحياة ولقمة العيش من جهة  
وبين التوقد الكبير للتفرغ للكتابة والبحث وإشباع وهج الموهبة من جهة

أخرى . فقد شكّا هوراس ، منذ ما يقرب من تسعة عشر قرناً ، مما نشكو منه اليوم ، من التدريس والأعباء اليومية التي تستهلك الوقت الثمين وتتركنا نتحرق شوقاً للساعات التي يمكن لنا بها أن نسجل بنات أفكارنا وصدى مشاعرنا . ثم يقودنا انطوني هارتلي الى دهاليز عالم سيتفان مالارمييه الجميل والفني لنكتشف علاقة العقل بالعاطفة وتجربته الفنية والشيقة في الشعر والابداع . وتنقلنا ملحمة مازيسي كويني الى حرارة افريقيا وغني وعراقة واصالة تقاليد وثقافة شعب الزولو .

ويمضي هذا العدد النوع في تقديم هذه الباقية من المختارات من شعر وقصة ومسرح ودراسات أدبية بأمل أن يجد القارئ مايمتعه ويفيد من هذه النماذج الادبية المترجمة . لقد توخينا أن يحتوي العدد على نماذج من اجناس ادبية متنوعة ، ومن آداب عديدة وازمان متباينة ، ومن المتع حقاً أن نرى المعايير الخالدة في الأدب قديمة وحديثة وأن نلمس كيف أن التفاعل الإنساني مع النص الأدبي لا يعتمد على زمان أو مكان الكاتب ولا حتى على الجنس الأدبي المعين . والكلمة الخلاقة تخترق جميع الحواجز لتستقر في أعماق النفس الإنسانية وتنبت زهرة ، أو بسمه ، أو حتى كلمة جديدة تصبح حلقة أخرى مفضية في هذه السلسلة الثمينة من عالم الكلمات .

إننا إذ نحاول رفد القارئ العربي بما نرتأيه من نوافذ مشرقة الى الآداب العالمية فإن المجلة لن تفتني إلا بملاحظات وآراء قرائها التي نرجو أن تردنا كي يتم أخذها بعين الاعتبار والاستفادة منها في تحضير أعدادنا القادمة .

امينة التحرير

د . بشينة شعبان

# سُقراط جَرِيحاً

• برتولد بريخت

• ترجمة: نظار نظاريان

«عن الأرمنية»



ARCHIVE

سقراط بن القابلية (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م) الذي كان قادرا على جعل كل فكرة متكاملة مفهومة من قبل أصحابه بسحر فكاهاته المناسبة وبممازحاته المسة . كان يساعد تلاميذه بالوسيلة نفسها حتى يهتموا بأفكارهم الخاصة بدل الأفكار الغريبة التي كانت تلف على رقابهم من قبل بعض الاساتذة . كان سقراط اكثرهم شهرة بالحكمة والاقدام بين الاغريق . حقا ، يخيل لنا ان شهرته في الاقدام اصيلة عندما نطالع ماكتبه افلاطون ، ونعلم كيف انه تجرع كأس السم التي تسلمها من السلطات بكل هدوء وجراة ، جزاء جميع تلك الخدمات التي قدمها الى مواطنيه . لكن الذين كانوا مسحورين بشخصه اكبروا فيه ايضا إقدامه في المعركة . حقا انه اشترك في المعركة التي جرت قرب ( تليون ) وإنه قاتل بالسلاح في فصيلة المشاة ، لأنه لم يكن قادرا على

## □ سقراط جريحا □

الخدمة في فرق الجيش لاسبب مهنته ( كان سقراط حذاء ) ولا يكونه فيلسوفا ، لان دخله المالي في الحاليتين كان يمنعه من الخدمة في فصائل الماذونين ، او الذين تدفع لهم اجور عالية . غير ان إقدامه الذي ليس من الصعب تصويره ، كان حدثا فريدا من نوعه .

كان سقراط قد مضغ بصلا طوال الصباح ، قبل المعركة ، استعدادا للقتال النامي . ذلك ان البصل ، كما يؤكد ذلك الجنود ، يثبث الشجاعة في الانسان .

كان سقراط يبدي شكه في مجالات كثيرة ، كذلك كان يبدي ايضا ايمانه السريع في مجالات اخرى . كانت الحياة العملية ، بصورة عامة ، تعاكس تفكير سقراط ، لذا لم يكن يؤمن بوجود آلهة متعددة ، لكنه خلافا لذلك كان يؤمن بقوة البصل .

وبكل اسف لم يؤثر فيه البصل بشكل من الاشكال ، وبصورة عامة لم يشعر بذلك التألم حالا . ومضى سقراط حزينا في سرية حاملي السيوف التي كانت ستحتل مواقع لها في أرض حصيد . كان يسير ، من خلفه ومن امامه ، عدد من شباب ضواحي آثينا مشتتين . لقد وجه اولئك انظار سقراط الى ان التروس التي صنعها صناع الاسلحة في آثينا لاتصلح تماما لاولئك البدينين كأمثال سقراط . كان سقراط قد فكر التفكير نفسه ، غير انه لم يكن قد لاحظ البدينين ، وانما كان قد لاحظ المربوعين الذين ، لم تكن تلك التروس الضيقة المضحكة ، تستر وراءها الا نصف اجسامهم .

لم يكن سقراط قد انتهى من تبادل الآراء مع الجنود السائرين من خلفه ومن امامه ومن حوله : كيف ان صناع الاسلحة يجنون الارياح الطائفة بصنع تلك التروس الضيقة ، عندما سنع الامر العسكري بوعز بالقبولة .



## □ سقراط جريحا □

اندفع الجميع الى أرض الحقل الحصيد . أراد سقراط الجلوس على الترس لكن التقيب منعه من ذلك . ان تعليمات القيادة والاورام المعطاة بصوت عال قد ازعجته بقدر تلك الملاحظة الهادئة . لم يكن العدو بعيدا عنهم حسبما كان يبدو .

لف المكان ضباب ابيض بلون اللبن هو ضباب الصباح . لكن صوت الخطوات ، وقعمة الاسلحة كانا يدلان على ان المرج مشغول .

بكل اسف تذكر سقراط نقاشه مع الشاب النبيل الذي كان في وقت ما قد صادفه خلف الكواليس ، اما الآن فكان ذلك الشاب قد أصبح قائدا للفرسان .

— يا لها من خطة عظيمة . كان ذاك الشاب البهيم قد قال لسقراط بحماس .

— تتحرك المشاة بصورة مباشرة ، وتلقي بكل رسالة ، ودون اي تردد ضربة العدو وفي نفس الوقت تنطلق الخيالة نحو المنبسط الداخلي، ومن هناك تظهر في مؤخرة العدو .

يجب ان يكون ذاك المنبسط بعيدا ، على نحو ما ، من ساحة المعركة نحو اليمين في مكان ما يغطي الضباب . والان ربما تتحرك الخيالة الى تلك الجهة .

خيل لسقراط بان الخطة مدروسة بشكل جيد . وبصورة عامة لم تكن سيئة ، وان كان وضع الخطة من اسهل الامور خاصة في الوقت الذي يكون فيه العدو قويا . في الحقيقة يبدأ القتال اي التقتيل في اخرج الاوقات، وان المرء بدل الاندفاع الى الامام ، حسب الخطة الموضوعة، فانه يسير الى حيث يجبره العدو .

## □ سقراط جريحا □

تحت غيش نور الصباح خيل لسقراط بأن خطة الامس فاشلة تماما . ما معنى ان يتلقى المشاة ضربة العدو . اليس كل انسان ، بصورة عامة ، يتحاشى الضربة .

اما هنا ، فمعنى تلك الخطة ، اي معناها الحقيقي ، ان تتلقى ضربة العدو بنفسك ..

ليس هناك شيء اسوأ من تعيين فائد للخيالة .

ففي تلك الظروف لا توجد في السوق كميات من البصل تكفي لعامة الناس .

ترى ، امن العدالة ان يتواجد المرء في الصباح الباكر جالسا في برية ما فوق ارض عارية وعلى ظهره لا اقل من عشر فوندات من الحديد ، والسيف في يده ، بدل ان يكون واقفا في سريره ؟ اي كلام هذا . مادامت مدينة الوطن تتعرض للهجوم ، فالانسان ملزم بالدفاع عن شرفها ، وإلا ستكون هنالك امور غير مستحبة فيما بعد .

لكن لماذا تتعرض المدينة للهجوم ، لان اصحاب كروم العنب والنخاسين واصحاب السفن يشيرون المشاكل امام حرية اعمال اصحاب السفن وكروم العنب والنخاسين .

الفرس في آسيا الصغرى . اسناد عجيب .

فجأة تنبه الجميع .

دوي اخرس سمع في الجهة اليسرى من خلال الضباب المنتشر ، كانت تصاحبه احيانا قفقة معدن ، وبسرعة اصبح الدوي اكثر وضوحا . كان العدو قد بدا الهجوم .

## □ سقراط جريحا □

نهضت الفصيلة واقفة واخذ كل جندي يحدق بدقة في جهة الضباب .  
على بعد عشر خطوات رجع احدهم واخذ يرجو الالهة بلسان النع . « ترى  
الم يكن متأخرا » فكر سقراط .

وفجأة سمع ، كجواب ، انين يائس آت من الجهة اليمنى . الصوت  
الذي كان يطلب النجدة اختنق في انين الاحتضار . رأى سقراط ، من  
خلال الضباب ، قطعة سيخ حديدية تتطاير نحوه ... انها رمح ...  
ثم لمحت من خلال الضباب وجوه غير واضحة للجنود ... انهم  
الاعداء ...

استولى الهلع على سقراط عندما فكر بأنه ربما تأخر كثيرا ، فدار  
على عقبه وهرب . كان ثقل الدرع وواقبات الدراعين يعرقلان سيره  
اكثر من الترس . لم يكن من اليسير التخلص من تلك الاثقال .  
كان الفيلسوف يهرب لاهثا من خلال الحصيد ، كان كل شيء الآن  
مرتبطا بالركض هل يمتاز هو في الركض . ان الشبان الشجعان السائرين  
في الخلف من الممكن ان يتلقوا بانفسهم ضربات العدو ويعيقوا تقدمه  
لفترة ما .

صرخ سقراط فجأة من الم جهنمي ، لقد أخذت قدمه اليسرى  
تلتهب بشكل لا يحتمل ابدا ، فسقط على الارض وهو يشن ، لكنه قفز  
واقفا من الم جديد .

نظر سقراط حوله نظرة ضبابية وفهم كل شيء . لقد وجد له ملجأ  
في حقل الاشواك كان الحقل متاهة من الاشواك القصيرة الحادة ، ومعنى  
ذلك ان اشواكا قد غرست في قدميه . كان يبحث بعذر عن مكان للجلوس  
وقد تفرقت عيناه بالدموع . وقبل الجلوس دار دورة وهو يقفز على  
رجله السليمة . كان لابد من قلع الشوكة حالا . كان يعضى بانتباه شديد

## □ سقراط جريحا □

الى ضجة المعركة وهي تنتشر على ابعاد غير قليلة من الجهتين . انه بعيد  
عن قلب المعركة مسافة مائتي خطوة تقريبا ، ومع ذلك كانت الضجة  
تقترب ببطء ولكن بصورة مؤكدة .

لم يتمكن سقراط من خلع حدائه بشكل من الاشكال . كانت  
الشوكة قد اخترقت اللحم وتوغلت فيه . اكان من المعقول ان يلبسوا  
الجندى المدافع عن الوطن احذية رقيقة الاعقاب كتلك ، ان لس الحذاء ،  
ولو لمسا رقيقا كان يحدث له الما شديدا . كانت ساعده القويتان  
تسترخيان . ما العمل ياترى ؟

توقفت نظراته الحزينة فجأة على السيف الذي سقط قربه ،  
فاشرقت في ذهنه فكرة مفاجئة كانت في تلك اللحظة احلى من التي كانت  
تشرق اثناء المناقشات الا يمكن استعمال السيف بدل السكين . وتناول  
السيف بيده .

سمع في تلك اللحظة اصوات خطوات ، فظهرت من خلال النباتات  
الكثيفة فصيلة صغيرة من الجنود . الحديد ، انهم من جماعته . وقف  
الجنود للحظات عندما راوا سقراط - هذا هو الحذاء . قال احدهم .  
ثم ابتعدوا .

ولكن ، هاهي اصوات جديدة آتية من الجهة اليسرى . كانوا  
يامرون بلغة اجنبية ... باللغة الفارسية ...

من جديد حاول سقراط الوقوف ، يعني الوقوف على رجله اليمنى ،  
فانكأ على السيف لكنه كان قصيرا كمتكى . في ذلك الوقت ظهرت ، من  
الجهة اليسرى جماعة من الجنود من بين النخيل . كانت تصل الى سمعه  
ناوهمات وقمقمات السيوف المحلبة الرؤوس ، او اصوات ضربات الحديد  
على الجلود

## □ سقراط جريحا □

قفز على قدم واحدة الى الوراء بالثسا ، ولكنه انكأ فجأة على رجله الجريحة ثم تدرج متأوها على الأرض . حتى تلك اللحظة كانت جماعة من الجنود عددهم يتراوح بين العشرين والثلاثين قد اقتربت منه كليا . كان الفيلسوف لا يزال جالسا فوق الاشواك موجه نظراته البائسة نحوهم . كان من الصعب جدا أن يتحرك من مكانه .

ليحدث ما سيحدث . حتى لا يشعر بالمرحله الرهيب من جديد أصبح لا يعرف ماذا يفعل ، فصرخ بكل قوته . لم يكن ، في الحقيقة ، يشعر بأنه يصرخ ، وإنما كان يسمع فقط صوت صراخه . كان يسمع الصوت صادرا من صدره القوي كأنه صوت صادر من اليوق .

— الفصل الثالث ، الى هنا ، ايها الشبان انزلوا بهم ضربات قاتلة .

وجد نفسه فجأة والشيء في يده يلوحه ويدور في الهواء حول نفسه . في تلك اللحظة ظهر امامه جندي فارسي من بين النباتات والرمح في يده . وبضربة من سيف سقراط طار الرمح الى طرف ثم تبعه الجندي الفارسي .

سمع سقراط من جديد صوته هو يصرخ : — لاتتقهقروا الى الوراء ايها الشبان ولاخطوة واحدة بعد الآن . لقد أصبحت تلك الكلاب أخيرا في قبضتنا . سر الى الامام يا كرابولوس ، الى الامام مع سناسيتك . اتجه الى اليسا يا تولوس سأسحق كالغبار كل من يحاول التراجع .

جنديان من جماعته ظهرا بجانب سقراط المدهوش ، فوقفا خائفين . — اصرخوا — قال لهما سقراط بصوت خافض — اصرخوا كرمي للسماء .

## □ سقراط جريحا □

ركبتا أحد الجنديين بدأتا ترتجفان من الرعب ، اما الثاني فقد أخذ يصرخ حالا . في ذلك الوقت نهض الجندي الفارسي من مكانه بصعوبة وععد الى الفرار .

ما يقارب العشرة من الجنود قد تجمعوا من الضاحية ، فكان محتملا هروب جنود الفرس نتيجة الصرخات خوفا من ان يحاصروا .

— ما الذي حدث . سال جندي مواطن لسقراط الذي كان لا يزال جالسا .

لا شيء . اجابه سقراط . — خير لكم الا تتجمعوا هنا وتحرقوا في ،  
لثلا يعلم الفرس ، كم قليل عدونا .

— خير لنا ان نهرب . قال جندي آخر بتودد .

— ولا خطوة الى الوراء . خالفه سقراط قائلا . — هل اصابنا  
الجنون .

ولكن لا يكفي ان يكون الجندي شجاعا فقط . بل يجب ان يكون له  
ايضا شيء من الحظ . هكذا ، سمعت اصوات واضحة لخطوات ثاني  
من بعيد وصرخات غاضبة باليونانية . كان يعرف الجميع ان خسارة  
الفرس في ذلك اليوم كانت كاملة . وهي التي حسمت وجهة القتال .

عندما وصل الكيببidas على راس فرسانه الى تلك الضاحية المريلة  
بالاشواك رأى كيف أن عددا من المشاة يحملون على اكتافهم رجلا ثخينا .

اوقف خيله وتعرف فورا بسقراط ، فروى له الجنود كيف ان هذا  
الرجل ، بشجاعته المتناهية ، قد حول افواج الجيش اليوناني المضعف  
المنهزم الى القيام بهجوم معاكس .

## □ سقراط جريها □

حملوا سقراط منتصرا حتى موقف العجلات ، وهناك اركبوه عجلة رغما عن ارادته ثم قفلوا عاندين به الى المدينة وقد بللهم العرق، والابواق تتقدمهم بأصواتها العالية . حمل الناس سقراط فوق الايدي حتى منزله .

كسانتيب ، زوجة سقراط ، طبخت لوبياء من اجله . كانت راحة امام موقد النار وهي تنفخ فيها دون أن تخشى على محياها ، وكانت بين الحين والآخر تنظر الى زوجها . اما سقراط فكان جالسا دون حركة على ذلك الكرسي الذي كان رفاقه في السلاح قد اجلسوه عليه .

— ماذا حدث لك . سألته زوجته بشيء من التردد .

— بي انا — تمت قائلا — لاشيء .

— ماهي تلك البطولة التي قيمت بها . الجميع يتكلمون عنك . ارادت زوجته ان تعرف .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

— انهم يغالون . — اجابها ، ثم اضاف — ما الذ رائحة الطيبخ الاتية .

— كيف يمكن أن تأتي رائحة الطيبخ ، بينما النار لم توقد بعد . اتظن نفسك اهلا ، اليس كذلك . — ثارت زوجته — انني اتصور كيف سيسخرون مني غدا ، عندما اذهب لشراء الخبز .

— انا لا اظهر نفسي اهلا كما تتصورين . انني قاتلت

— وانت سكران .

— لا . عندما كان الجنود يتقهقرون أوقفتهم .

— أنت نفسك عاجز عن الوقوف — قالت زوجته وهي تنهض واقفة بعد أن أشعلت النار . — ناولني المملحة من فوق الطاولة .

## □ سقراط جريحا □

- محتمل - اجاب سقراط ، متاخرا ومتفكرا . - ربما خير لي  
الا اتناول طعام الغداء ، يخيل الي ان معدتي ليست مرتاحة .

- ألم أقل بأنك مخمور . هيا انهض وتمشى في الغرفة ، عندئذ  
سترى ان كنت مخمورا ام لا .

ألمنه كثيرا معاملة زوجته غير العادلة . لكنه ، طبعا ، لم يكن لينهض  
من مكانه بشكل من الاشكال ، حتى لا يريها انه عاجز عن الوقوف على  
رجليه .

كانت زوجته متشوقة الى معرفة شيء ما ليس لصالحه . حقا ،  
كان الامر سيفقدو مزعجا جدا لو كشف النقاب عن حقيقة البطولة التي  
جرت في المعركة .

كانت كسانثيب لاتزال مشغولة بالوقد ، فأفرغت اثناء ذلك كل  
التراكمات التي في نفسها . قالت :

- انني متيقنة بان اصدقائك ، من ذوي النفوذ ، قد اوجدوا لك  
في هذه المرة مكانا مناسباً قرب مطبخ الحقل . أما الحديث عن بطولتك  
فليس الا كذبة ولا شيء آخر .

نظر سقراط من النافذة الى الخارج ، الى الزقاق حيث كان الناس  
يعبرون وفوق أيديهم مصابيح بيضاء .

كان احتفالا بالنصر .

لم يحاول اصدقائه ، من ذوي النفوذ ، عمل شيء من اجله . وهو  
ايضا لم يكن يرضى بذلك . ولكن ، في كل الاحوال ، ليس بذلك  
الشكل العلني .

- اصدقائك جميعا ، ربما يعتبرون ذلك شيئا طبيعيا ، مادامت  
انت حذاء اذا سوف تسمي مع جميع الارثال ولذلك السبب لم يفعلوا



## □ سقراط جريحا □

شيئا من أهلك . الحذاء سوف يبقى حذاء ، هكذا يقول أولئك . والا سنضطر الى الوقوف تحت سقفة القدر والتحدث ساعات وساعات والاعلان للعالم كله ان : تعالوا وانظروا هذا حذاء ام لا . ها أولئك الرجال المرموقون سوف يجلسون قربيه ويتكلمون عن الفلسفة انهم سفلة قدرون .  
— تلك تسمى « بيليغوبي » — قال سقراط دون اهتمام .

القت زوجته عليه نظرة تنم عن عدم الرضى .

— لا داعي لتعليمي . انني عارفة نفسي بانني لست متعلمة . فلو لم اكن امية لما وجدت من تعطيك كأسا من الماء ، ولا من تفسل رجلبك .

اضطرب سقراط . ومن حسن حظله ان امراته لم تلحظ ذلك . ليس اليوم ، ولا في أية حالة من الحالات ليس لها ان تفسل الرجل . حمدا للالهة انها لم تلحظ اضطرابه ، وانما استمرت بالتقاء خطبتها قائلة :  
<http://Archivebeta.Sakhrdt.com>  
— ايعني ذلك بانك لم تسكر ، وانه لم يتح لك الجلوس على العجلة .

ذلك يعني انك حافظت على نفسك كواحد من المقاتلين بالسيف . ربما تكون يدك ملطختين بالدماء ، اليس كذلك ؟! . ولكنك تصرخ عندما القي امامك بعنكبوت ما . بدون شك انني غير مؤمنة بشجاعتك ، ولكن مع ذلك فقد قمت بعمل ما بكل ذكاء ، حتى ان أولئك الناس كانوا يرتبون على كتفك ما دحينك . ولكن كن مرتاحا فلا بد لي ان اعرف الحقيقة .

كانت طبخة اللوبياء جاهزة ، حقا انها ترسل الآن عبرا مشيا . رفعت كسانتيب الفطاء بطرف ثوبها واخذت قلب الطبخة بالمعلقة .

كان سقراط يفكر في : هل يستحق ان يتغلب المرء على المجاعة . لكن فكرة قيامه وجلوسه حول المائدة قد اجبرته على كبح نفسه بصورة مؤقتة . كانت نفسه تتلاطم كالامواج . انه يدمر بشكل جيد ان المسألة

## □ سقراط جربنا □

لن تنتهي بتلك الصورة حالا ستظهر مزعجات من كل الاشكال .  
لا يمكنه ، كمن انتصر على الفرس ، ان يبقى جالسا بارتياح بذاك الشكل .  
ففي اللحظات الاولى من احتفالات النصر من الطبيعي من ان لا يفكروا  
بالذين جلبوا الانتصار، فكل واحد يلتهى بامتداح اعماله البطولية . ولكن  
غدا، وبعد غد عندما يرى الناس ان كل فرد يحاول الحاق مجد الانتصار  
بشخصه فعندئذ يبدؤون بالتحدث عن سقراط . وكل الذين يعرفون ان  
الحذاء هو البطل الحقيقي الوحيد لتلك المعركة فحينئذ سوف يضعون  
حدا لكثير من المدعين الذين يمتدحون انفسهم . ان الاثينيين لا يحبون  
الكيببىداس كثيرا حتى دون ذلك . ويتصاح الناس بكل سرور من خلفه:  
« انت كسبت المعركة ، ولكن الحذاء هو الذي حطم العدو » .

زاد الالم الذي سببته الشوكة اكثر فاكتر . اذا لم يتيسر له خلع  
الحذاء فربما تسم ذمه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— لماذا تشرقين هكذا ؟ قال سقراط بروح متسامحة .

جمدت المرأة والمعلقة في فمها .

— ماذا حدث .

— لاشيء . اجابها سقراط فزعا . — كنت غاصا في الافكار .

طير الجريح صواب المرأة فوضعت طنجرة اللوباء على الموقد  
وركضت الى خارج الغرفة .

تنفس سقراط الصعداء ، ثم نهض بسرعة عن الكرسي ، نظر الى  
الباب ثم قفز عائدا الى فراشه . عندما دخلت زوجته الى الغرفة من  
جديد لتأخذ شال الاعياد نظرت الى زوجها مرتابة فراته راقداً بلا حراك  
فوق كرسية الجلدي الهزاز . خيل اليها للحظة ، ان زوجها مريض ،

## □ سقراط جريحا □

فكانت تسأله عن ذلك ، ألم تكن هي امرأة وهبت نفسها لزوجها . كان كسانتيب فكرت في تلك اللحظة بما هو أحسن ، فخرجت دون أن تنبس بكلمة ، وذهبت مع جارتها لمشاهدة احتفالات النصر .

نام سقراط نوما مزعجا ، وعندما استيقظ كان مهموما . وان كان قد خلع حذاءه لكنه كان قد عجز عن إيجاد الشوكة ، كانت رجله آخذة في التورم بشدة .

كانت امراته في ذلك الصباح اقل تنازلا . مساء الامس كانت قد سمعت كيف ان الجميع يتكلمون عن زوجها . حقا ، كان لابد ان شيئا ما قد حدث حتى استطاع زوجها كسب إعجاب الناس . لكنها مع ذلك لم تكن تصدق ان سقراط قادر على إيقاف جحافل الفرس ومنع تقدمهم . إلا هذا ، لا يمكن ،

كانت زوجته تفكر : - انه يستطيع إيجاد أسئلة تملا كتابا ، اما إيقاف جحافل العدو ، فلا ...

لكن ، ما الذي يمكن ان يحدث .

كانت المرأة مرتبكة لدرجة أنها قدمت لزوجها في فراشه حليبا الماعز وسألته : - ألا تريد النهوض .

- لامزاج عندي لذلك . تتمم سقراط قائلا .

طبعاً لا يجاوبون على سؤال المرأة المهذب بذلك الشكل .

ولكن كسانتيب تجاهلت ذلك وهي تفكر : ان زوجها لا يريد الظهور للناس .

منذ الصباح الباكر جاء عدد من الشبان كضيوف ، وهم من اولاد الاثرياء الذين كانوا يحيطون بسقراط كل يوم . كان أولئك الشبان

## □ سقراط جريحا □

يتعاملون مع سقراط على أساس انه استاذهم ، حتى انهم كانوا يسجلون اكثر احاديثه ، وكانها اشياء خاصة تتميز عن غيرها .

اعلم اولئك الشبان سقراط بأن آئينا كلها تنفنى بمجده . وان ذاك يوم تاريخي حقيقي للفلسفة . « اذن فان زوجته كانت على حق . انه يدعى بالفيلسوف ولا شيء آخر » .

لقد اثبت سقراط للعالم بأن المفكر الكبير يمكنه ان يكون ايضا فاعلا كبيرا .

كان سقراط يستمع اليهم دون سخريته المعتادة ، عندما كان اولئك يتكلمون فيخيل للفيلسوف انه يسمع من بعيد ، ما يشبه صدى رعد ، يسمع سخرية المدينة كلها ، العالم كله ، سخرية لا تقاوم . وان كانت تلك السخرية لاتزال بعيدة لكنها تقترب دون مقاومة ، وهي تسحر كل فرد ، تسحر العائدين والرائحين في الشارع والشجار ورؤساء البلديات في الساحات ، والصناع في حوانيتهم .

— كل ما ذكرتموه ليس الا بلاهة . قال سقراط بعزيمة لامثيل لها ، ثم .

— انني لم افعل شيئا .

نظر بعضهم الى بعض ميتسمين ، ثم قال احدهم :

— نحن ايضا كنا نقول نفس الشيء . كنا نعرف انك ستقول مثل ذلك الكلام .

ما هذه الصرخات المفاجئة . سألنا افروبولوس امام المعهد الاعدادي: ان سقراط قام ببطولة في علم النفس خلال عشر سنوات ولكن احقا لم يرغب حتى التعرف به . لكن هاهو يكسب معركة واذ بائينا كلها تنكلم عنه . السمت انت بالذات ترى : كم معيب ذلك .

## □ سقراط جريحا □

تنهد سقراط .

— ولكنني لم اكسب معركة بشكل من الاشكال . انني دافعت عن نفسي فقط ، لانهم هاجموني . لم تكن تلك المعركة تهمني قط ، انا لست بائع خمور ، ولا املك كروما للعنب في النواحي . حتى انني ماكنت اعلم في سبيل ماذا كنت اقاتل . كنت محاطا باناس عقلاء لدرجة ما ، من اولئك الذين يعيشون في ضواحي اثينا ، والذين كذلك لم يكن عندهم اي اهتمام بالحرب .

كان الشبان واقفين مصوقين .

— اذن ، ماذا .. — اليست صحيحة .. تصايحوا جميعا . نحن ايضا كنا نقول مثل ذلك . وانك لم تفعل شيئا غير الدفاع عن نفسك ، ليس ذاك الفعل الا اسلوبك في كسب المعركة . فاغفر لنا ، اننا ذاهبون الى المعهد الاعدادي . كنا نناقش حول هذا الموضوع عندما جئنا اليك للسؤال عن صحتك .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وانصرف الشبان ليستمروا في المناقشة بعزيمة جديدة .

كان سقراط راقدًا دون كلام واضعا يديه تحت راسه وهو ينظر الى السقف المسود من الدخان . لم يكن حدسه الحزين قد خدعه .

كانت زوجته تنظر اليه من زاوية الغرفة وهي تخطط له ثوبه العتيق وفكرها مشتت . قالت فجأة بصوت خفيض .

— ولكن اين السر .

اضطرب سقراط ونظر الى امراته دون جراءة .

كانت كساتيب امرأة ذابت من العمل ، بصدر يابس كالخشب وبعينين حزينتين . كان سقراط يعرف انه يمكن الإثتمان بها . كان

## □ سقراط خبزها □

باستطاعتها ان تدافع عنه حتى وان قال طلابه : « اسقراط هذا . اليس هو ذاك الحذاء الكريه ، الذي لا يؤمن بالآلهة » . ما أسوأ حظ كسانتيب .  
عندما التقت بسقراط . لكنها لم تشتك لأحد عن ذلك ، ما عدا ، هو سقراط . لم يحدث أبدا ، انها لم تحتفظ بآخر كسرة من خبزها ، أو طعامها لزوجها الذي كان يعود الى البيت جائعا من عند طلابه كل يوم .

كان سقراط يتساءل بينه وبين نفسه : اليس من الافضل له ان يروي لزوجته عن كل شيء . غير انه فكر فيما بعد . عندما يزوره اناس كما حدث منذ قليل ليحدثوه عن بطولاته ، عندئذ سيضطر هو الى رواية اشياء ليست صحيحة بل كاذبة . انه عمل يعجز هو القيام به بحضور زوجته ، حتى لاتعلم الحقيقة . لان سقراط كان يحترمها . فلذلك السبب اكنفى بالقول :

— طبخة اللوبياء بالامس ملأت الغرفة برائحة غير مستحبة .

القت الزوجة نظرة شك على زوجها <http://Ar>

كان سقراط يعرف جيدا انه ليس بإمكانهم طرح الطعام المتبقي خارجا ، فكان يريد فقط توجيه أنظار زوجته الى وجهة اخرى .

كانت كسانتيب متيقنة بان شيئا ما قد حدث مع زوجها . لماذا لا ينهض من مكانه . كان فيما مضى ايضا يحب البقاء في فراشه مدة طويلة ، ولكن سببه الوحيد في ذلك انه كان ينام متاخرا . اما اليوم فالمدينة كلها قائمة قيامتها بسبب احتفالات النصر . الدكاكين جميعها مغلقة في الاسواق . لقد عاد قسم من فرقة الخيالة المكلفة بتعقب العدو الى المدينة في الساعة الخامسة من صباح هذا اليوم . سمع الجميع صهيل الخيول . كان زوجها في مثل تلك الايام يبقى خارج المنزل من الصباح الباكر حتى اواخر الليل ، ويكون عالقاً في الحديث مع هذا او ذاك . اما الآن فلماذا لا ينهض من فراشه .

## □ سقراط جريحا □

سمع صوت صرير الباب ، دخل أربعة من الموظفين الغرفة ووقفوا في وسطها . قال احدهم بشكل رسمي ولكن بكل تهذيب : انهم مكلفون بجلب سقراط الى آريوباك (١) . ان القائد ألكسيانوس هو بالذات اقترح تكريم سقراط نظرا للخدمات الحربية الكبرى التي قام بها .

سمعت في الشارع ضجة وصرخات ، معناها ان جمهورا قد تجمع امام الدار .

شعر سقراط بجسمه يتصبب عرقا . كان يعرف انه مجبر على القيام واقفا حتى ولو رفض الذهاب معهم . ومع ذلك عليه ان ينهض واقفا حتى ولو رفض الذهاب معهم . ومع ذلك عليه ان ينهض واقفا ليتكلم معهم عن شيء ما بكل تهذيب ، وحتى ، على الاقل ، ان يرافقتهم حتى الباب . كان يعرف عجزه عن التحرك ولو خطوتين . اما اولئك الناس فبمجرد مشاهدتهم رجله سيكتشفون كل شيء ، ويرفعون اصواتهم حالا ، الآن ، مكانيا .

<http://Archivebeta.Sakhdit.com>

هكذا ، عوضا عن الوقوف ناهضا وقع فوق مخدته الياسة وقال :  
= لست بحاجة الى اي تكريم . قولوا لآريوباك اني لعلى موعد مع عدد من الاصدقاء في الساعة الحادية عشرة للتحدث حول بعض الامور الفلسفية التي تهمني . واني لاسف جدا ، حتى لا استطيع المجيء . اقول انني لا اتجاوب مع الاحتفالات العامة ، اني متعب جدا .

اضاف سقراط مسألة تعبه ، لانه اسف بكل بساطة على طرحه موضوع الفلسفة هنا . اما تعلقه الاول الذي بينه فكان يعتقد بانه لا يستطيع التخلص منهم إلا بالجلافة .

---

(١) آريوباك - اسم المحكمة العليا في اثينا .

## □ سقراط جريحا □

ممثلو السلطات المحلية فهموا سقراط ، وخرجوا منصرفين وهم  
يظاؤون أرجل الجمهور المتجمع .  
- انتظر ، حتى ترى كيف سيعلمونك احترام الدولة . قالت زوجته  
غاضبة ثم انصرفت الى المطبخ .

انتظر سقراط خروج زوجته ثم انقلب بجسده الثخين بسرعة الى  
الطرف الثاني وهو ينظر الى الباب بطرف عينيه ، وجلس على طرف  
الفراش ، حاول ، بكل حذر ، الوقوف على رجله المريضة . خيل الى  
سقراط انه يقوم بمحاولة بائسة جدا ، فعاد وورق من جديد بعد ان كاد  
يفرق في سيل من العرق .

مر نصف ساعة . رفع كتابا يقرأ . كانت رجله لا تكاد تؤله عندما  
تكون في حالة الراحة .

جاءه حالا صديقه آنديستينس لزيارته من ترونديا معطفه ووقف من  
جهة رجلي سقراط ، ونظر اليه بضممت وهو يستعمل ويشد لحيته :

- الا زلت نائما . كنت معتقدا اني لن ألقى هنا الا كسانتيب . لقد  
غادرت فراشي لأخذ بعض المعلومات عنك . كنت مصابا بالبرد اصابة  
شديد لذلك لم أتمكن من حضور الاحتفالات .  
= اجلس . اجابه سقراط باختصار .

رفع آنديستينس كرسيها من الزاوية وجلس قرب صديقه .

- يجب ان ابدأ اعمالى من جديدا مساء اليوم . لا سبب البتة هناك  
يدعو الى التأجيل .

= نعم ، طبعاً .

- طبعاً انا أشك في مجيء تلاميذى . اليس هذا يوم مأكى ومشارب  
كبيرة . غير اننى صادفت وأنا فى طريقى الى هنا ب ( فيسطون ) الشاب ،



## □ سقراط يجربها □

ولما أخبرته بأنني في هذا المساء سأبحث موضوع المحاسبة العامة ، فقد انتعش كثيرا .

قلت له : انه يستطيع الحضور بالخوذة . سوف يطير كل من فيساغوروس والآخرين غضبا عندما يعلمون بأن تدريس المحاسبة العامة عند آنديستينس في أول مساء مباشرة لانتهاه المعركة .

كان سقراط يتأرجح في الكرسي الهزاز وقد مال نحو الحائط مستندا به كفه . نظر بامعان الى صديقه بعينه الجاحظتين قليلا .

= الم تصادف آخرين .

= ازدحام جماهير .

نظر سقراط الى السقف متفكرا : هل يكشف عن سره لآنديستينس انه رجل أمين ، انه لا يتقاضى ابدا أموالا عن اعماله ، لذلك فهو ليس بمنافس ، ربما يستحق التشاور معه من أجل تلك الحادثة العويصة .

نظر آنديستينس باهتمام بعينه الضرصورتين اللامعتين الى صديقه وقال :

= كيوركيداس يتجول في المدينة ويحاول اقناع الجميع عن احتمال هربك من ساحة المعركة . ولكنك اضمت طريقك بسبب الاضطراب وبدلا من الرجوع الى الخلف تقدمت الى الامام . ان عددا من الشبان الجيدين يرغبون تحطيم عظامه بسبب تلك لافتراءات .  
نظر اليه سقراط بدهشة هزيلة .

= حماقة . اجاب سقراط بحدّة .

وحالا توضحت الامور له ، اي سلاح يعطي هو لاعبائه اذا كشف عن السر .

## □ سقراط جريحا □

ليلا ، عند الفجر ، تمخض ذهنه عن فكرة ، هي انه ربما استطاع تقديم كل ذلك على اساس التجريب والقول : انه رغب بذلك ان يجرب مدى سهولة تصديق الناس . منذ عشرين سنة وانا اتجول من زقاق الى زقاق دون توقف داعيا الناس الى الرفض . ولكن جدينا واحدا تافها لكاف ان وصف بالمجرم من قبل تلاميذي .. الخ . لم تكن في ذلك الوقت ضرورة لكسب المعركة . والآن واضح سوء الظروف من اجل الدعوة الى الرفض . بعد الانكسار حتى الذين يدبرون دفة الدولة يصبحون سلبيين . اما بعد الانتصار فحتى اناس الطبقات الادنى ينقلبون ، لفترة محددة ، الى متعصبين للحرب ، الى ان تعود عقولهم الى رؤوسهم ويسدروا ان الانتصار والانكسار امران متساويان بالنسبة اليهم . كلا ، لن تتزين الآن بالرفض والسلبية .

سمعت من الشارع اصوات سنابك الخيول . توقفت الخيالة امام باب المنزل ، وبخطوات سريعة دخل الكيبباس بالذات منزل سقراط .  
- صباح الخير يا آنديستينس كيف تسير امور الفلسفة . جنودنا على وشك اضاءة صوابهم . - صاح قائلا بكل اطمئنان . - قامت عاصفة في آريوباك يا سقراط بسبب اجابتك . ان اقتراحي حول تكريمك باكاليل الفار ، استبدلته انا ، بمازحة ، باقتراح جلدك خمسين جلدة بالسوط . طبعاً ذلك قد شجهم لانه يتماشى مع رغبتهم . لكن مع ذلك سوف تأتي معنا ، سنذهب مشيا على الاقدام .

تهند سقراط . كانت صداقة متينة تربطه بالكيبباس الشاب وكثيرا ما تناولا الخمر معا . كان عملا حسنا دون شك زيارة صديقه له . انه لم يقم بذلك يدافع رغبة سيئة في آريوباك وان كانت تلك الرغبة مشرفة تستحق الدفاع عنها .

## □ سقراط يجربها □

كان سقراط لا يزال يتأرجح في الكرسي الهزاز منشغل البال فقال :  
= تستطيع ربح الاستعجال ، بكل صبر ، ان يدمر المخلوق . اجلس .  
ضحك ألكيببيادس وسحب كرسيه ، لكنه أحنى رأسه بأدب امام  
كسانتيب قبل الجلوس والتي كانت واقفة امام الباب بخشوع تسمح  
عينيهما النديتين .

— امركم عجيب ايها الفلاسفة . قال ألكيببيادس فاقدا صبره . —  
حتى انت بالذات ربما تشك بما قدمت من خدمة في تحطيم الفرس . لقد  
اثبت لك أنديستينس ، طبعاً ، بعدم وجود اثباتات كافية لذلك .

— نحن لم نتكلم الا حول المحاسبة العامة فقط . اسرع أنديستينس  
بالقول وسعل من جديد .

ضحك ألكيببيادس .  
— كنت أعرف ذلك . لا تحلو لك الضجة القائمة حول اسمك . لكنك  
قمت بعمل بطولي . ففي ظني ليس ذلك بأمر كبير ، ولكن هل اكليل  
الغار شيء عظيم . سك اسنانك ببعضها ايها العجوز ، وتحمل ذلك بصبر  
مناسب . كل شيء سينتهي بسرعة ودون ضرر ما . وبعد ذلك نذهب  
معا لنشرب كأساً .

ونظر باهتمام الى سقراط البدين القوي الذي كان يتأرجح الآن في  
الكرسي الهزاز اسرع من السابق .

في تلك الساعة كان سقراط يتقبل كلماته بخفة وجدية ويقرر بما  
سيقول مثلاً ، كان بإمكانه ان يقول : ان رضة اصابت رجله في الليلة  
السابقة او صباح اليوم ، ربما حتى في تلك الساعة التي انزله الجنود  
من على اكتافهم ان هذا بالذات لبرهان قاطع . وحادثة بمثل تلك تبين ان  
تكريم المواطنين يمكنه ، بكل بساطة ان يلحق الاذى بالانسان .

## □ سقراط جريماً □

تحرك سقراط الى الامام مستمرا في تأرجحه ونظر الى فراشه ثم  
مسد بيده اليمنى يده اليسرى وقال :  
= المسألة ان رجلي ...

في تلك اللحظة بالذات تقابلت نظرتيه ، التي لم تكن حازمة تماما ،  
لانه كان يستعد لركوب الكذب ، تقابلت بنظرة كسانتيب التي كانت تقف  
امام باب المطبخ . سكت سقراط حالا . وبسرعة متناهية ماتت في نفسه  
رغبة رؤية شيء مختلف . لم تكن رجله قد رضت .

توقف الكرسي الهزاز عن التارجح .

= اسمع يا الكيبيادس . قال سقراط بهمة وحزم .

= لا يمكن التحدث هنا عن البطولة ولو حتى بالكلام . فعندما بدأت  
المعركة ، اي عندما رايت اول فارسي ركبت الى الحرب ، تماما باتجاه  
معاكس ولكن الحقل الذي كنت اهرب فيه كان زاخرا بالاشواك فدخلت  
شوكة في رجلي واثرت ذلك عجوز عن الفرار عندئذ بدأت اهز السيف يمنا  
ويسرة بشكل جنوني ، ومن حسن الحظ لم اضرب جماعتنا . ومن شدة  
الياس اخذت اصرخ واصبح على اساس قول شيء ما يتعلق بفصائل اخرى  
من الجيش ، لاوهم الفرس بان فصائل كبيرة موجودة هنا ، انها كذبعدون  
شك . اليسوا يجهلون اليونانية . ومن جهة اخرى كان اولئك ، بعد  
تحملهم تلك الآلام اثناء الهجوم ، قد اصبحوا عصبين على ما يبدو ، فلم  
يستطيعوا الصمود امام ذاك الهرج والمرج ، فارتبكوا لبرهة ما ، ففي ذلك  
البرهة ظهرت خيالتنا في المكان . هذا هو كل ما حدث .

ساد صمت صخري لعدة دقائق في الغرفة . نظر الكيبيادس الى  
سقراط مدهوشا . سئل آنديستينس هذه المرة بصورة طبيعية تماما  
واضعا يديه خلف ظهره . سمعت ضحكة قوية من جهة باب المطبخ حيث  
كانت كسانتيب واقفة .

## □ سقراط جريحا □

قال آندريستينس بصوت ينم عن الشر .  
- وانت طبعا لا تستطيع المجيء الى آريوباك ساحبا رجلك والصعود  
من السلام لاستلام اكليل الغار .

تراجع الكبيادس في جلسته ونظر الى فراش الفيلسوف وقد شد  
على حذفتي عينيه . لم يكن سقراط ينظر اليه ولا الى آندريستينس .

استقام الكبيادس من جديد في مجلسه واحتضن يديه ركبتيه .  
فكان وجهه الضيق ، ربما الطفولي يختلج قليلا ، لكنه لم يكن يفصح أفكاره  
ولا احساساته .

- لماذا لم تعلن انك خرجت اثناء القتال . سأله

= لان الشيء الذي دخل في كعبي كان شوكة . اجابه سقراط  
بجفاء :

- آآآ ، من اجل ذلك . انني افهم . قال الكبيادس ونهض واقفا  
ثم اقترب من فراش سقراط .

- آسف على انني لم احمل معي اكليل الغار الذي يخصني . تركته  
عند احد جنودي ، والا كنت اهديتك اياه . صدقني انت الآن واقف  
ببطولتك اعلى مما انا عليه . لن يوجد احد غيرك يروي حقيقة ما رويتها انت .  
وخرج بسرعة من الغرفة .

عندما غسبت كسانتيب رجل سقراط واخرجت منها الشوكة كانت  
حزينة .

- كان من الممكن ان يحدث تسمم في الدم .

= ذلك اقل مما كان يمكن . اكيد لها الفيلسوف قائلا .



---

# هُوراس

٢٥٦٥ - ٢٥٨

• الياس سعد غالي



---

## ARCHIVE

سئلت متى عرفت الشاعر اللاتيني هوراس ؟ وما الذي دعاني الى الاهتمام به ؟

قبل الاجابة عن هذين السؤالين لا بد من ان نعرف بالشاعر هوراس من يجله او نسيه . لم يذكر التاريخ شيئاً كثيراً عنه ، انما هوراس ضمن مؤلفاته معلومات كثيرة دقيقة ومفيدة عنه وعن ابيه الذي كان عبداً واعتق . من هذه المعلومات يستطيع المؤرخ والباحث وكل طالب علم ومعرفة ان يستمد كل ما يهمه معرفته عن هذا الشاعر الفذ في تاريخ الادب اللاتيني عن مؤلفاته وحوادث حياته التي كانت في مجملها على جانب كبير من البساطة والرتابة . سيتبين لنا شيء من ذلك من النصوص التي سننشر ترجمتها فيما بعد ، اذا امكن نشرها (١) .

## □ هوراس □

ولد كوانتوس هوراسيوس فلاكوس في بلدة فونوز الصغيرة في جنوب إيطاليا في ٦٥/١٢/٨ ق.م. ، وعاش طفولته مع والده بين اترابه من أبناء الفلاحين في حرية واستقلال . ولما بلغ سن الذهاب إلى المدرسة انتقل به والده إلى روما ليتعلم في مدارسها قواعد اللغة اللاتينية وآدابها وروائع الأدب لأغريقي . ورغب ولده في تثقيفه أفضل تثقيف بعد أن أنهى تعليمه روما فأرسله إلى أثينا ليدرس هناك البلاغة والفلسفة أيضا ، لكن الظروف السياسية أثرت في مجرى حياته . فبعد أن جاء بروتوس ، الذي اشترك في اغتيال القيصر إلى اليونان التقى بهوراس واعطاه لقب « قاض عسكري » وقلده قيادة فيلق من الجنود وهو في العشرين من عمره ، وقعت معركة « فيليب » عام ٤٢ ق. م. وانهزم جيش بروتوس ، ولم يتمكن هوراس من الرجوع إلى إيطاليا إلا بعد أن عفى عنه . ولما عاد وجد أن أباه قد مات وأن الأرض التي كان يملكها قد أعطيت إلى أحد جنود « أوكتاف » . فاشتري وظيفة « أمين الخزينة » دوت عليه ما يكفي لمعيشته ووفرت له أوقات فراغ كثيرة ، فعكف في أثنائها على مطالعة شعر بعض القدماء من لاتين ويونان وحاول تقليدهم .

وسرعان ما أدرك الشاعر اللاتيني فرجيل وصديقه فاربيوس موهبة هوراس الشعرية فاتصلا به ووثقا عرى الصداقة فيما بينهم ، وقدماه إلى رجل عظيم في روما صديقهما ميسين ، الذي قرب هوراس إليه واقطعه ما كان يملك في « سابين » ، فأصبح لهوراس مكان يستطيع أن يعيش فيه حياة مستقلة بفضلها على كل شيء في الدنيا ، حتى أنه رفض أن يكون أمينا لسر العاهل أوغسطس بحجة اعتلال صحته .

وما بلغ هوراس الثانية والخمسين حتى ذاع صيته وأصبح مثل فرجيل علما كلاسيكيا ، وصار لؤلؤاته تأثير جدي في الرأي العام ، ولهذا كلفه العاهل عام ١٧ ق.م. أن يضع النشيد الذي يستغنى به كل مائة

## □ هوراس □

عام تكريما للآلهة وتأيدا لسياسة العاهل، فنظم ذلك النشيد في ٧٦ بيتا. وكان هو راس قد نشر الكتاب الاول من « الهجائيات » وأوشك أن ينهي كتاب « الايبود » وشرع يكتب بهدوء وبطء كتابه الثاني من الهجائيات الذي انجزه عام ٢٠ ق.م. ونشر عام ٢٣ ق.م. ثلاثة كتب سماها « الأولاد » ، وفي عام ١٩ ق.م. نشر الكتاب الرابع من الأولاد بناء على الحاج العاهل عليه .

وفي عام ٨ ق.م. توفي ميسين صديق هوراس فاعتلت صحته وعاجلته الميتة فتوفي بعد ميسين ببضعة اشهر ، في ٨/١١/٢٧ ق.م. وهو في السابعة والخمسين من عمره ودفن في قبر قريب من قبر صديقه الغالي عليه . وفي أثناء مرض ميسين كتب هوراس اليه هذه القصيدة :

« لماذا تنتزع روحي مني بانينك ؟

لا انا اريد ، ولا الآلهة تريد أن تموت قبلي .

ميسين ، أنت عضدي وقوتي ومجدي ،

أه ! اذا موت مبكرا انتزع مني نصفي ، فلماذا يبقى على الارض

النصف الآخر الذي فقد قيمته ، ولا يعيش كاملا ؟

قسما اننا سنموت نحن الاثنين في يوم واحد .

انا لا اكذب بيمينتي .

اينا كان اليوم الذي تسبقني فيه ،

اكون انا مستعدا لمرافقتك في الرحلة الاخيرة .

ما من شيء يستطيع ان يفصلني عنك »

( الأولاد ، الكتاب الثاني - ١٧ )

ذلك هو هوراس ابن الرقيق العتيق الذي بتوجيه ابيه الحكيم وبجده الشخصي أصبح الشاعر اللاتيني الكبير ، وصادقه الرجل النبيل ميسين وتوَّده العاهل العظيم أوغسطس ورافقه الشاعر الاكبر فرجيل .



## هوراس

لما متى عرفت هوراس ففي أوائل الأربعينات ، بعد أن سمعت ان مهرجانا سيقام في دمشق عام ١٩٤٤ لتكريم ابي العلاء المعري في ذكرى مرور الف سنة هجرية على ميلاده ( ١٣٦٣ هـ ) فاضطرت وقتئذ الى مطالعة التكميديا الالهية لدانتي وقرأت في النشيد الرابع من جحيم دانتي الحوار الذي جرى بينه وبين دليله فرجيل في مكان سُمي «اللعبو» ( ص ١١٥ و ١١١ ) من ترجمة الد . حسن عثمان ، مع ان حسن عثمان ماكان قام بترجمته بعد ، آثرت اليوم ان انقل عنه هذا الحوار الذي هو ادعى الى الثقة من أي نص آخر وان كان فيه مايشوبه ( ٢ ) .

لما دخل دانتي برفقة فرجيل النيبوس - المكان الذي ليس فيه للنفوس نعيم ولا عذاب سوى جرمانها رؤية الله الى الأبد - وقبل ان يلج الجحيم تبين قوما أمجادا شغلوا ذلك الموضع فقال لدليله :

دانتي : انت يا من تمجد كل علم وفن ، من هؤلاء اصحاب مثل هذا المجد الذي يميزهم عن حال الآخرين ؟

فرجيل : ان ذكراهم المجيدة التي يتردد صداها في حياتك اعلى تكسبهم في ( من ) السماء الفضل الذي يميزهم هكذا .

دانتي : سمعت وقتئذ صوتا يقول : مجندوا الشاعر الاعظم ( أي فرجيل ) ان شبحه يعود وكان قد ارتحل .

وبعد ان توقف الصوت وسكت ، رأيت أشباح عظماء أربعة قادمين ، نحونا ، ولم يكن لهم مظهر الحزن ولا السعادة .

بدأ استاذي الطيب يقول : انظر الى من حمل بيده ذلك السيف ، ويأتي امام ثلاثة كأنه السيد .

ذاك هو ميروس أمير الشعر، والآخر الذي يأتي بعده هو هوراتيوس  
( هوراس ) الساخر ، والثالث أوفيدوس والآخر لوكانوس .

ولأن كلا منهم يشترك معي في الاسم ( يقصد لقب الشاعر الأعظم )  
الذي نطق به الصوت الوحيد فهم يشرفونني وبذا يحسنون صنعا .  
هكذا رأيت المدرسة الجميلة مجتمعة ، مدرسة ذلك السيد صاحب  
القصيدة العظمى ( الألباذا ) الذي يخلق فوق الآخرين كالنسر .

وبعد أن تحدثوا معا قليلا ، التفتوا اليّ بإيمانة تحبة ، فابتسم  
استاذي لذلك .

واضفوا عليّ فوق ذلك مجدا أعظم لأنهم جعلوني واحدا من زميرتهم ،  
هكذا فاصبحت السادس بين هؤلاء الحكماء .

لقد نوتت في أول مقال لي بهؤلاء الشعراء دون أي اهتمام خاص  
بهوراس لأن ليس له كتاب أو مقال ذو صلة بالموضوع الذي كنت أعالجه:  
« دانتى بين المعري وفرجيل » (٣) . تلك المرة كانت الأولى التي تعرفت  
فيها بهوراس .

\* \* \*

المرّة الثانية التي تعرفت فيها بهوراس كانت لما أعددت مقدمة  
« حديقة الخمر في لزوميات أبي العلاء » . لقد تربّثت عند الشاعر  
المخضرم ، شاعر الخمرة في الطائيف ، أبي محجن الثقفي الذي جاء على  
ذكره مؤرخو الأدب العربي من جهة وأبو العلاء لم يذكره من جهة ثانية في  
رسالة الففران في عداد شعراء الخمرة ، ولم يذكره صراحة في اللزوميات  
أيضا على ما يبدو ، غير أنه ذكر في رسالة الففران ( ص ١٤٣ ) مدينة أبي  
محجن باسم « و ج » (٤) ، وذكر اسمها « الطائف » في اللزوميات حيث  
قال :

فبالطائف الراح الكميّت سلافة إذا ما تمشت في حشا وادع أجنا

## □ هوراس □

ولعل المعري كان يشير بهذا الى قوم ابي محجن في الطائف :  
رماها امير المؤمنين بحتفها فخلاتها يكون حول المعاصر

وكان أبو محجن يشير ربما الى امر عمر بن الخطاب بحرق حانات الطائف ومعاصرها وقد كانت كثيرة فيها قبل الاسلام. والشئ الهام اللافت النظر في موضوعنا ان الدكتور جميل سعيد استشهد في كتابه : تطوّر الخمريات في الشعر العربي بقول الاب لامانس اليسوعي ان ابا محجن ( الذي توفي عام ٦٥٠ م ) هو « هوراس الجزيرة العربية » (٥) ، مما حفزني الى الاطلاع على كلا الشاعرين لبيان وجه الشبه المحتمل بينهما الذي حمل «لامانس» على ابداء هذا الرأي الطريف . فبحثت عبثا عن ديوان ابي محجن في مكتبات دمشق ولا سيما المكتبات العامة في الشارقة ودي في الامارات العربية المتحدة حيث وجدت كثيرا من الكتب التي نفتقر اليها (١) ، فاضطرت الى الاكتفاء بما ورد عنه في كتب الادب المتداولة ، واستشهدت في « الحديقة » بسبعة أبيات له منها :

اذا مت فادفني الى جنب كرمه      تروي عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفنتني بالفلاة فاتسي      اخاف اذا ما مت ان لا ادوقها  
والجدير بالذكر انه تاب عنها .

اما فيما يتعلق بهوراس فقد حصلت بسهولة على مجموعة مؤلفاته الكاملة بالفرنسية (٧) فكانت زادي في زيارتي الطويلتين الاخيرتين لابنتي سعاد في الشارقة ، وطالعت هناك تلك المجموعة بنهم شديد واقتطعت منها « لحديقتي » كل ماله صلة بالخمر ولا سيما دعوة هوراس الى اغراق هبوم الحياة، وهي قصيرة ، في كؤوس خمر . وهذه بعض اقوال هوراس في الخمر :

— ان الذين لا يشربون يجدون كل ما يقضي الاله به لهم امرا عسيرا ،  
وليس ثمة من وسيلة تطرد بها همومك القاتلة سوى هذه الخمر !  
— خفف بؤسك بالخمر والغناء فهما تعزيتان حلوتان عندما يتجهّم  
الوجه حزنا .

— اريد خمرة حلوة تبدد همومي ، تجرى في عروقي وفي قلبي ،  
تملا ، بجميع كنوز الامل .

— المسكر يحقق الاماني ويريح النفس من عبء الهموم عندما  
تكون الكأس مترعة .

— من لا يشعر بتحرره من ربة الفقر !! .. ان الخمر تعيد الامل  
الى القلوب الفلقة وتمطي الفقر القوة والثروة .

ولا تصح المقارنة بين هوراس ، الذي ما تاب عن الخمرة قط ،  
وابي محجن اذ ليس في متناول يدنا ديوانه ! ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وزادت معرفتي بهوراس في هذه المرة الثالثة اذ أعدت مطالعة  
مؤلفاته واتعمت النظر والتأمل في بعض الملاحظات التي كنت كتبتها على  
هوامش صفحات الكتاب ، وفي بعض النصوص التي خطت تحتها خطا  
احمر فتبين لي ان في شعر هوراس افكارا عديدة متقاربة في المعنى مما  
عند شعراء سبقوه سواء اكان مقلدا لهم ام غير مقلد ، وعند شعراء  
جاءوا بعده سواء اكانوا مقلدين اياه ام متفقيين معه في توارد الخواطر  
فوقع الحافر على الحافر ، وكلهم ممن استحقوا ان يخلدوا في كتب  
تاريخ . لذلك رغبت في عرض تلك الافكار — التي لم نجد لتقاربها مثيلا  
عند دانتي وابي العلاء المعري — ليزداد بعض قراء العربية معرفة  
بهوراس ، هذا الشاعر الكبير في الادب اللاتيني ، عسى ان يجد فيها

## □ هوراس □

شاعر أو أديب أو كاتب أو قارئ بسيط بعض متعة أو تفكهة فكرية أو سد فراغ ضائع من جهة ، ومن جهة ثانية تقديرا شخصيا لعاطفة هوراس نحو أبيه ، الذي كان عبدا واعتق ، فكان هوراس ، أو كاد أن يكون ، منقطع النظر بهذا الخصوص ، ثم ارضاء لفضول سائلنا لماذا أهتممت بهوراس ؟

أخبرنا جوفينال (٨) في إحدى هجائياته أن عمل هوراس ارتبط بعد مضي خمسين عاما على وفاته بعمل صديقه الحميم فرجيل وصار مثله كلاسيكيا مدرسيا ، وأن صور هذين الشعارين التي سودها الدخان أو نصلت ألوانها بسبب مالنور القوي كانت تزين قاعات صفوف الطلاب الرومانيين والهجاء بيرس (٩) ، في منتصف القرن الأول الميلادي امتدح ظرف هوراس وابتناسمته وتفنى مارسيال (١٠) بقبشارة الكالابري ( أي هوراس ) ، واستوحى منه سينيك (١١) في مسرحياته ، وكتب تيرانسيوس النحوي ( من القرن الثاني الميلادي ) تعليقات على مؤلفات هوراس في عشرة كتب ، واستشهد به القديس إرونيموس (١٢) .

وفي القرن الثامن اعتزال الكوان (١٣) بالتعرف بهوراس فلاكوس واستحق أن يلقب بلقبه في بلاط شارلمان . وفي القرن التاسع اكتشف في « فلوري سور لوار » أقدم مخطوط معروف هو هوراس ، وأخذت مخطوطات مؤلفاته تتكاثر ابتداء من القرن الحادي عشر ، وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر قلد أكثر الذين ألفوا « فنا شعريا » رسالة هوراس إلى « بيزون » . وفي العصور الوسطى جرت العادة بالتغني ببعض قصائده في بعض الأعياد .

وفي القرن الثامن عشر تكلم لاهارب (١٤) بسرور من هوراس في كتابه « اللبسه » فقال : فاق هوراس بيندار (١٥) في حماسته وسموه و « أناكربون » (١٦) في تأنقه .. لبيندار نفعة واحدة ولهوارس كل النعمات .

انه جليل في الاولب وفاتن بالقرب من خليلة ... فاذا امرنا انتباهنا الى ما في افكاره من حكمة وما في انشائه من دقة وما في اشعاره من انسجام وما في مواضعه من تنوع ، واذا تذكرنا ان هذا الشاعر نظم هجائيات مليئة بالدهاء والعقل والمرح ، ورسائل تتضمن افضل العادات في المجتمع المدني بأبيات ترسخ بسهولة في الذاكرة ، و « فن الشعر » ايضا ، الذي هو قانون أبدي للذوق السليم ، نتفق على ان عقل هوراس من افضل العقول التي سرت الطبيعة بخلقها .

ومن المعروف ان الرومانتيكيين الابداعيين مثل لامارتين وهوغو ومدسيه تأثروا بهوراس بعد فولتير وشيئيه ، وقلده غيرهم من الشعراء ، حتى الممثلة الكبيرة راشيل مثلت على المسرح الفرنسي بتاريخ ٢٤ حزيران ١٨٨٠ مسرحية كوميدية من فصل واحد للشاعر بونسار عنوانها « هوراس وليديا »

وشهد فريدريك نيتشه (١٧) ، الذي كان يعشق اللغة اللاتينية ، اعجب هذا الاعجاب الذي اشعر به دائما عندما اقرا احدي قصائد « الاود » . هنالك لغات لا يستطيع احد ان يؤمل ان ينجح فيها مثل هذا النجاح . تلك الفيسفاء من الكلمات التي بلفظها وجرسها ومكانها وبالصور التي ترسمها تنشر يمنة ويسرة وعلى مجملها مميزات الخاصة وهذا الحد الأدنى من حجم الاشارات وعددها ، والحد الأقصى من الاشارة التي قوتها ، كل ذلك روماني لا مثيل له ، وبالمقارنة تبدو كل قصيدة اخرى سوقيّة وثرثرة بسيطة .

وكتب الاديب الناقد جول لوميتير (١٨) : « لسوء حظ هوراس ان بعض النقاد الهزليين وقدامى الاكاديميين الريفين تلقفوه بسبب بضع قصائد خمرية نظمها وبعض كتابات بوجوزية دبجها فاعتبروه لذلك مرة

## □ هوراس □

عضوا في جمعية أولئك النقاد وأخرى سيذا عتيقا مثل المأسوف عليه كامبل دوسيه ، وهذا غير معقول ، فما عرف استاذ قط اختلف عن تلاميذه اكثر من اختلاف هوراس عن تلاميذ فرضوا عليه . قد يكون هوراس في شعره الفني اتقى شعراء اللاتين فنا .. وهو في تاريخ الادب اجرا الادباء الثوريين .. واكثر من شعراء « البلياد » حرية فكر . وكان ، سواء على خطأ او صواب ، ما نسميه اليوم : « مجدد كلب » .

فهوراس نفسه نعمت ذاته بأنه « خنوص ابيقور » . والابيقورية فلسفة هوراس وهي في نهاية الامر فلسفة رواقية لا يقر بها . ذلك لان الابيقورية والرواقية وجميع المذاهب الفلسفية بصورة عامة ، عند النفوس التي هي في وضع جيد ، تؤدي دائما الى ذات النتائج العملية . اننا نجد عند هوراس اقوى المبادئ للحياة الداخلية ، وحياة العزلة والانتقطاع للخير الاخلاقي وحده الذي اعتنقه لجمالته الذاتي فقط . كما احب المعري الخير لحسنه ولوجه الله خالصا منزها عن كل جزاية وهو الذخر في نظره :

**اذا ما فعلت الخير فاجعله خالصا**

**لربك وازجر عن مديحك انسنا (١٩) ..**

فهوراس كان جنديا في جيش بروتس ، وقبل الامارة من اغسطس بعقله بالنظر الى المصلحة العامة . ولكن يبدو ان هذا لم يرق للعامل ولا لميسين الذي حاول عبثا حمل هوراس على الاشتغال بالسياسة ، غير ان هذا الشاعر العزيز النفس عرف اكثر من فرجيل كيف يدافع ضد هوراس عن حريته بتحفظ . لقد كان هوراس رجلا ممتازا وابنا مثاليا وصديقا مخلصا جدا ونفسا حازمة .

لقد اصاب بيتشه وجول لوميتر في تقديرهما هوراس وفنه الرفيع اذ امتاز في شعره ببراعته ومهارته الكبيرة في انتقاء الالفاظ لمعناها الحقيقي

وجرسها وإيقاعها ولونها مما اهله ليكون من شعراء الطبقة الاولى الذين نالوا اعجاب العلماء ، وجعلته زهور الحكمة الابيقورية المنشورة في كتاباته احد المؤلفين الذين استشهد بهم شعراء وادباء فرنسيون كثيرون ولا سيما ممن كانوا يعرفون لغة سيثرون وفرجيل في العصور الكلاسيكية حتى القرن التاسع عشر وفي هذا العصر ايضا .



لقد اهتمت كتابات هوراس ببتراارك في ايطاليا ، ولويس دوليون في اسبانيا ، وفي فرنسا رونساو ودوييلي وشعراء البلياد ومونتين ولا سيما تيوفل والشعراء الهزليين ، وفي القرن السابع عشر اعتبر لافونتين هوراس من اساتذته ، واتخذ الناقد الفرنسي الشهير نيقولا بوالو دليلا ومرشدا له وانموذجا فاحتذى حذوه حتى لم تخل رسائله وهجائياته من تأثير هوراس وما فن بوالو الشعري سوى نقل واقتباس من رسالة هوراس الى « بيزون » التي اشتهرت باسم « الفن الشعري » . وهذه بعض امثلة من اقتباسات بوالو من مؤلفات هوراس :

عندما كتب بوالو خطابه الى الملك فقال :

**ابث الورق اسرار قلبي ( البيت ٧٢ )**

كان يتذكر ما جاء في قصيدة هوراس الهجائية الثانية ( ٣٠-٣١ ) ص ١٧٦ التي تكلم فيها عن لوسيليوس فقال : « كان قديما يودع كتبه اسراره كما لو كان ييوح بها الى رفاق ائمناء » .

وشبه بوالو المجانين ، في هجائيته الرابعة ، تماما كما شبههم هوراس في هجائيته الثانية ( ٨/٣ ص ١٨٣ ) بمسافرين تائهين ضلوا الطريق الصحيح . وهجائية بوالو السابعة متقولة كليا تقريبا من هجائيته هوراس الثانية ص ١٧٥ . واقتبس بوالو المقارنة بين الانسان والنملة في هجائيته



## □ هوراس □

الثامنة من هجائية هوراس الاولى ( ٢٢/١ ص ١٤٨ ) . وفي بيته المشهور:  
الحزن يرادقه ويركض خلفه . تقليد موفق لبیت من اود هوراس : خلف  
الفارس يركب الهم القائم .

ونصح هوراس الشعراء والكتاب قائلا : قلب انشاءك غالبا كي  
تمحو اذا اردت ان تكتب شيئا يستحق ان يقرأ ثانية ، ولا تبحث عن  
اعجاب الجمهور بل اكتف ببعض القراء (٢٠) وقال ايضا : اذا نظمت قصيدة  
فانلها على مسمع خبير ، على مسمع ابيك ومسمعي ، ثم احفظها في  
صندوق - كما كان زهير بن ابي سلمى يحتفظ بحوليانه - مدة تسع  
سنوات ، فيمكنك ان تتلفها طالما انها لم تر النور ، لان الكلمة اذا انطلقت  
مرة فانها لن تعود . ثم قال : ارجع الى اشعارك عشرين مرة ان كنت لم  
تقض اياما طويلة في الشطب والحذف وصل ما كتبت (٢١) .

وقال بوالو في « الفن الشعري » :

اسرع على مهل دون ان تفقد الشجاعة

وأعد عشرين مرة عملك

اصقله بلا انقطاع ، وكرر صقله ،

اضف اليه احيانا ، واشطب غالبا .

حتى كان الاخطل الصغير في نظم شعره كان يعمل بنصيحة هوراس  
وبوالو معا حسب شهادة الشاعر سميد عقل الذي قال في مقدمة ديوان  
الاخطل : « ان الاخطل يابى على القصيدة ان تنفض منها اليد . . . يلاحقها  
فتشدها قلمه الانيق يخلع على اللفظة حبا جديدا فيخلقها خلقا جديدا ،  
ما همه الناس تزلهم في الشعر كما الذهب في غرار السيف ، وانما همه  
هذا التنزيل ، ويحور ابدا ، وابدا يدس السحر فكانه لا كباته له سوى  
رضى واحدة : النزوع الى الكمال (٢٢) .

وفي الابيود الثانية ( ص ١٣٠ ) قابل هوراس بين صخب الاهتمامات في المدينة ومفاتيح الريف فقال : سعيد من كان بعيدا عن المشاغل .. يعمل مثل الاجيال السابقة مع ثمراته في حقول ابيه دون اهتمام بالربا .. فلا يستيقظ مثل جندي عند سماع صوت النغير ولا يخشى هيجان البحر ، ويهرب من الغوروم ومنازل العظماء . وعندما تكون الكرمات قوية ونشطة يزورها وشجرات الحور السامقة ، وينظر الى الابقار وهي تخور وترعى في اعماق الوادي .

وعبر بوالو عن بعض هذه الفكرة بقوله :  
سعيد الانسان الغائي الذي يجهله الناس  
فيعيش راضيا عن نفسه في مكان منزول

ومن فن الشعر لهوراس اقتبس بوالو كل المقطع المتعلق بالمرابي . وقال مترجم مؤلفاته في المقدمة ان مائتي صفحة لا تكفيان لتعداد ما اقتبسه بوالو من هوراس . وما وسعنا في هذا المقام سوى ان قلنا ، فيما سبق ، بعض النماذج التي نوهنا بها آنفا . وتجدر الاشارة هنا الى بعض اقوال المعري بهذا الخصوص ، قال ابو العلاء :

وارى التوحد في حياتك نعمة      فان استطعت بلوغه فتوحد  
اذا حضرت عندي الجماعة او حشت      فما وحدتي الا صحيفة ايناسي  
تغيبت في منزلي برهة      ستر العيوب فقيد الحسد  
فالبث وحيدا ...

وفي وحدة الانسان اضعاف لذة  
في الوحدة الراحة العظمى ...



## □ هوراس □

قال هوراس : قلما نجد رجلا سَعَدَ بوجوده وعاش سعيدا، وعندما حانت منيته فارق الحياة مثل ضيف بعد ان يكون تغدى جيدا (ص ١٥).

وروى لافونتين في الحكاية الاولى من كتابه الثامن : الموت والمحضر:  
اود في هذه السن لو نفارق الحياة مثلما نغادر وليمة ونحن نشكر  
المضيف . ( لا فونتين : سلسلة مارابو ص ٣٣٧ - وهوراس ص ٣٣٣  
والحاشية ٥٣٥ ) .

ومن اقوال هوراس : ما فائدة الثروة اذا لم يسمع بالتمتع بها ؟  
فالتوفير والحرمان المفرط من اجل الورثة يجعل صاحبه من طبقة الحمقى  
( الهجائية الخامسة ص ٢١٨ ) .

ARCHIVE

اغناهم الله من مال وافقرهم من الرشاد فما استفنوا بل افتقروا  
ان سوء الحرص من اقبح الفقر  
اذا زادك المال افتقارا وحاجة الى جامعيه فالثراء هو الفقر  
( اللزوميات )

ولو جرت النباهة في طريق الخمول الي لاخترت الخمولا  
( السقط )

الحمد لله قد اصبحت في دعة ارضى القليل ولا اهتم بالقوت  
( ل )



## دائتي وهوراس

لقد نوهت آنفا بما لهوراس من مكانة في نظر دائتي الذي وضعه في المرتبة الاولى بعد هوميروس لما وصل الى « الينبوس » قبيل الجحيم ، وقد وجدت في اثناء مطالعتي تقاربا فيما بين بعض افكار هوراس وافكار دائتي ما وجدت مثله فيما بين دائتي وابي العلاء المعري ، فرغبت في الإشارة الى تلك الافكار والمعاني المتقاربة فيما يلي :

خاطب هوراس ربة التراجيديا قائلا :

« لك وحدك انا مدين بإشارة المارة إلي باني الشاعر الذي يبعثونين القيثارة اللاتينية . فوجيي ومجدي ، أن كان لي مجد ، هو ملكك » .  
( هوراس : الكتاب الرابع من الاود ص ١١١ )

وخاطب دائتي دليله فرجيل قائلا : <http://Archive>

« انت استاذي ، انت قدوتي ، لك وحدك انا مدين بهذا الاسلوب النبيل الذي استطاع ان يشرفا سمي . . انت ارشدتني الى يتابع الشعر التي نهلت منها . انت الذي انرت لي الطريق فبك صرت انا شاعرا » .

وقال هوراس : انا اول من مشى بحرية على ارض ما وطنها احد . فحيث وضعت انا قدمي ما وضع قدمه احد قبلي .

( هوراس ص ٢٤٠ )

وقال دائتي : ان ما ينبغي علي ان اصوره الان لم يعبر عنه صوت قط ، ولم يسطره مداد ، ولم يتمثله خيال .

( دائتي : المطهر ١٥/٢٢ والحاشية ٦ و ٧ )

## □ هوراس □

وقال هوراس : ايها الذين تكتبون خفوا مادة تناسب وقواكم  
وقدروا طويلا ما تقوى عواتكم على حمله وما لا تقوى عليه . فاذا اخترتم  
موضوعا يناسبكم فلن تنقصكم الفزارة ولا الوضوح الذي يتأتى عن  
الترتيب .

( هوراس : رسالة الى بيزون « فن الشعر » ص ٢٦٠ )

وقال دانتي : يا من تسيرون بزوارقكم خلف سفيني التي تهدي  
بي وهي شادية ، وانتم تائقون الى سماع انشادي ، الا استديروا لكني  
تماودوا النظر الى شواطئكم ولا تخرجوا الى عرض البحر ، اذ ربما تضلون  
الطريق بفقدكم آثاري .

— لم يعبر احد قط المياه التي ارتادها اذ تنفخ منيرفا شراعي ويقودني  
ابولو ، وترشدني ربات الشعر التسع بالدبية .

— ايها القلائل الآخرون يا من بادرت الى رفع رؤوسكم الى خبز  
الملائكة الذي يتفدى به هنا من دون ان يشبع منه ابدا .

— انه من الميسور لكم ان تدفعوا سفينتكم فوق البحر العميق مقتفين  
مخر سفيني قبل ان تمحو المياه آثاره .

( دانتي : الفردوس ١/٢ - ١٠ )

وقال دانتي ايضا : من يفكر في موضوعي وعيئه وفي الكتف الغالية  
التي عليها ان تحمله فانه لا يلومها اذا ما ترنحت تحته .

( دانتي : الفردوس ٢٣/٦٤ - ٦٦ ص ٢١١ )

وقال هوراس : امفيون مؤسس طبية ، علمه مكروران بجمل الحجارة  
تتحرك بتأثير اناشيده . وانت ايتها القيثارة ذات الاوتار السبعة تستطيعين  
ان تجزي النعور والاشجار وتخففي جريان السواقي ، وتفتني كرفيوس (٢٢)

## □ هوراس □

بواب القصر المظلم ( جحيم الاقدمين ) وتجعله يتراجع امامك ، هو الذي تحرس راسه مائة افعى كروؤوس ربات الذعر ، وتنبعث من افواهه الثلاثة رائحة كريهة وينقط السم .

( هوراس : رسالة الى بيزون ( فن الشعر ) ص ٦٩ و ٦٤ )

ويتكلم هوراس عن اورفي ايضا فيخطب كليو ، ربة التاريخ ، التي تشيد بالامجاد قائلا :

كليو باي انسان او اي بطل تريد ان تشيدي على رنة القيثارة او نعمة الناي الحادة ؟ اي اسم سيرده الصدى المتوج في مناطق الهيليكون الظليلة او في جبال الباند او الهيموس المجلدة حيث كانت الاشجار تسمى خلف الموسيقىار « اورفي » الذي جعله فن امه قادرا على ايقاف جريان مياه السواقي السريعة وهبوب الرياح الماصفة ، وكانت قيثارته الرنانة تحرك اشجار السنديان ذوات الاذان لتسمعه .

ماذا اقول اولا الا تقديم التبجيل المكرس لجوبتر الذي ينظم حياة الناس والالهة ، ويضبط ، حسب مجرى الفصول ، البحر والبر والكون ؟ لا شيء يولد منه ويكون اعظم منه ، ما من حي يعدله او يأتي مباشرة بعده .. ( هوراس : الاود ، الكتاب الاول ١٢/٥٥ و ٥٦ )

لقد ألف هوراس هذه المقدمة تقليدا لما كتبه بيندار ، لتمجيد الالهة وانصاف الالهة الابطال وعظماء الرجال في روما وانتهت بالاشارة الى اغسطوس .

وقال دانتي : فلتساعد شعري عرائس الشعر اللواتي ساعدن امفيون على اغلاق طيبة حتى لا يختلف القول والواقع

( دانتي : الجحيم ٣٢/١٠ - ١٢ ص ٣٩٦ - حسن عثمان )

## □ هوراس □

وقال هوراس : كنت تقسمين لي وانت ترددين كلماتي وتضمينني اليك بذراعيك اللذنتين ضما دونه التصاق اللبلاب بشجرة بلوط سامقة .  
( هوراس : ايود ٥/١٥ ص ١٣٩ )

وقال دانتي : ما تعانق لبلاب وشجرة قط كما لف الوحش الرهيب بأعضائه اعضاء الوحش الآخر فالتصقا كما لو كانا من شمع ساخن .  
( دانتي : الجحيم ٥٨/٢٥ )

وقال هوراس : الغابات تبدل اوراقها فتساقط الاولى حسب تعاقب فصول السنة .

سكذا تموت اجيال الكلمات القديمة ..  
( هوراس : وسالة الى بيزون ص ٢٦٠ )

قال دانتي : عادات البشر الفاتين تروح وبأتي غيرها بعدها مثل اوراق الشجر .  
( دانتي : الفردوس ١٢٤/٢٦ - ١٣٨ )

وقال هوراس : في الارض المهيمة ينبت الشوك الذي يجب ان يحرق فيما بعد .  
( هوراس : الهجائيات ص ١٥٥ )

وقال دانتي : هذا كان ممكنا لما كان في سن الشباب اذ ان كل استعداد حسن كان اثمر فيه ثمارا مذهشة فالارض تغدو اقل فائدة واكثر وحشية كلما زادت طيبة اذا لم تزرع او اذا فسد البذر .  
( دانتي : المطهر ١١٧/٣١ - ١٢٠ )  
( دانتي : المري العبقري ، ترجمة الياس غالي ص ٢٠ )



اعلن شعراء عديدون في ازمة مختلفة ثقتهم بخلود عملهم . وقد يكون هوراس قلد في ذلك من سبقوه او لانه لم يقلدهم . ففي اثناء مطالعته لمؤلفاته قرأت في هامش في الصفحة ١٠٦ ملاحظة كنت كتبها بقلم رصاص وهي تشير الى قول ابي العلاء :

وجبت الناس ميتا مثل حي بحسن الذكر او حيا كمي

مضى الشخص ثم الذكر فانقرضا معا  
وما مات كل الموت من عاش منه اسم

وهذان البيتان بليغان واضحا المعنى جدا ، انما يبقى السؤال قائما: كيف يكون الميت مثل الحي وكيف يمكن ان يعيش الاسم بعد موت صاحبه ؟ لم يقل لنا المعري صراحة شيئا بهذا الخصوص قبل هذين البيتين ولا بعدهما غير انه قال في مواضع اخرى :

امير قوم اصابته منيته فصل من قال ان المرء لم يم

ما بال اشباح قوم في الثرى جلت

لم تبق الا حديثا في القرايطيس

اعجب بدهرك اولاه وآخره ان الزمان قديم سته حدث  
اودى رده باجيال فكم حفرت اجداث قوم ولم يحفر له جد  
مضى اناس واصبحنا على ثقة انا سنتبع فالاشجان تغلج  
له لطف خفي في بويته اعياء دواء المنايا كل نطيس

فلتر كيف يكون المرء في هذه الدنيا عند بعض الشعراء الذين سبقوا هوراس او جاؤوا بعده وعنده ايضا :

« من اجل الجنود الذين قتلوا في » التيرمويل « (٢٤) لادموع ولا  
انين ابدا ، بل قصائد وانشيد فهي اثر لن يستطيع تدميره الصدا ولا  
يأتي عليه الزمن العاني . »

سيمونيد (٢٥) هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٣١٢ والحاشية ٣٦٢



## □ هوراس □

كنز الاناشيد لن يستطيع التغلب عليه جيش الغيوم ذوات القصف العميق ، ولا امطار الشتاء التي تنهمر بعنف بلا رحمة ، ولا الرياح مع كل مايمكن ان تجرف من حطام ، ولن يفرقه في لجج البحر » .  
( بيندار - هوراس ص ٣١٢ )

ولا يبعد ابدا ان يكون هوراس قد تذكر سيمونيد وبيندار عند ما كتب بعض ابياته ولا سيما مطلع قصيدته الثانية من كتاب الأود الاول ( ص ٥٥ ويرجع الى الحواشي ص ٢٧٩ ) .

وهذا رأي هوراس في موضوع خلود الانسان في هذه الدنيا :  
ذابت الثلوج ونبت العشب في الحقول واكتست اقصان الشجر بالورق ، ففي كل سنة تتحول الارض . فالانهار بهط مستواها فتجري بين حافاتها(٢٦) ... فلا تعتمد على عدم الموت والخلود ، يحذرك كرووالسنين ومر الايام التي تمضي بها الساعات وتجدها ...

### ارانا على الساعات فرسان غارة

وهنّ بنا يجرين جرى السلاهب

( أبو العلاء )

فالربيع يطرده الصيف الذي يموت بدوره عندما ينثر الخريف عطاياه وثماره ، ثم يعود الشتاء الفصل الذي لاينبت فيه شيء .

وقال هوراس ايضا : الكتابات المنقوشة في الرخام العام هي التي تبعث القادة الكبار بعد موتهم فيحيون - الهة الشعر تحول دون موت البطل الذي يستحق المجد وتمطيه السعادة في السماء(٢٧) .

( هوراس : الأود ، الكتاب الرابع القصيدة ٨ ص ١١٦ )

ومن جميل قول هوراس ( ص ٨٣ ) : لأول مرة يرى جناح قوي  
يحمل الشاعر في الجو ، انه في آن واحد انسان وتم .  
لن ابقى طويلا في الدنيا ، ساهجر المدن بعد أن انتصرت على الطمع ، لا ،  
لن أموت أنا ، مع أن أصلي متواضع ، لا ، لن اكون حبيس مياه الستيكس (٢٨)  
منذ الآن جلد خشن يمتد فوق فخذي والقسم الأعلى من جسدي يأخذ  
شكل طير أبيض ، وريش ناعم ينبت بين أصابعي وعلى كتفي . منذ الآن  
أصبح طائرا غردا وأسرع من إيكار بن ديدال (٤) . سأذهب لأرى شواطئ  
البوسفور ذات المياه الصاخبة ، وسهول أقصى الجنوب وأقصى الشمال .  
سوف أعرف في مناطق القفقاس ... ( ومناطق أخرى ) في أقاصي  
العالم . والذين يعيشون على ضفاف نهر الرون ، الأكثر حضارة ،  
سوف يتعلمون أشعاري . في مأمني يكون جسدي غائبا ، فلا أناشيد  
جنازية ولا دموع ولا أنين . هديء الصراخ وأعفني من تشريفات  
القبر الباطلة .

وقال هوراس قولاً صريحا : لقد أنجزت أثرا أبقى من الفولاذ وأعلى  
من الأهرام الملكية ، لن ينخر المطر عملي ولا الريح الشمالية العاصفة ،  
ولا يستطيع مر الزمن ولا تعاقب السنين تدميره . أنا لن أموت كليا ،  
فقسم كبير مني يتفادي من الفناء . سأعظم وسيتجدد شبابي دائما ببناء  
الأجيال القادمة علي ، مادام الكاهن الأعظم يصعد الى الكابيتول (٢٩) ترافقه  
العدراء الصامته . قد يقال اني ولدت في بلد تعصف فيه الرياح ، وشحيج  
المياه ... لقد سموت فوق مستواي المتواضع وكنت أول من وفق بين  
الأناشيد الايولية والإيقاعات الإيطالية .

تجلببي بالفخار يا مالبومين (٣٠) بفضل استحقاقاتي واسمحي بتتويج  
هامتي باكليل الغار (٣١) .

□ هـوراس □

وقلد أوفيد في خاتمة المسوخ معاصره وصديقه هوراس فقال :

أنجزت اليوم عملا لا يمكن أن ينال منه غضب جوبيتر ولا النار ولا الحديد ولا أسنان الزمن . فالיום المشؤوم المحتوم الذي لا يكون له فيه من سلطان إلا على جسدي ، يضع عندما يشاء حدا لمجرى حياتي ، المجهولة مدتها ، ومع ذلك سأبقى غير مائت بأفضل جزء مني وسأسمو إلى الأبد فوق الكواكب في السماء ويبقى اسمي خالدا لا يفنى . وسيكون لي قراء عديدون في جميع أصقاع الأرض التي امتدت إليها يد القدرة الرومانية فأخضعتها ، وإذا كان لحدس الشعراء حقيقة فاني سأحيا بصيتي مدى جميع الأجيال (٢٢) .

وقال رونسار من انقرن السادس عشر :

عام مؤات ارشد خطواتي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فأنجزت عملي الأصلب من الحديد .

لا الماء ينخره

ولا كلب الإخوة ينال منه فيجره إلى أسفل

عندما تحين منيتي وانام نوما عميقا ،

في تلك الساعة لا يمضي رونسار كله إلى القبر ،

وسيبقى أفضل جزء منه .

لن أموت ، لن أموت أبدا

وسأطير حيا في الكون .

( رونسار : الاود ٤/١٥٥ )

( هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٢١٢ )

اما مالرب من القرن السابع عشر فقد قال :

ابو لون ! ياذا الابواب المشرعة !

اعساف النخل الجميلة الدائمة الاخضرار

التي تحفظ اسماء المسنين ،

دعها تقتطع دون اي اهتمام .

فصناعة الاكالييل منها

فن لا يعرفه كل الناس .

ثلاثة او اربعة فقط ،

اعدت انا منهم

يستطيعون ان يمدحوا

مدحا يظل خالدا .

( مالرب : اود الى ماري دوميديسيس / ١٦١٠ )

( هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٢١٢ )

وقال تيوفيل غوتيه عن الفن مبتدئا يقول الفيلسوف هيراقليت

( هيراقليت ) :

كل شيء يزول (٣)

والتمثال يبقى بعد المدينة .

( تيوفيل غوتيه : الفن )

( هوراس مجموعة مؤلفاته ص ٢١٢ )

وآخر ما اطلعت عليه بهذا الخصوص قول امير الشعراء الاخطل

الصغير :

الشعر منها اياتها المصدودة

ويهبطن من سماء بعيدة

من تراب الا كتبن خلوده

شعر الاخطل الصغير ص ٢٣

لا تقل خانت القوافي فحسب

يتهادين في غلائل كالورد

شهد الله ما لمسن جيينا

### وقال الشاعر المهجري الياس فرحات :

رفاقي هم الذين : « خلدوا على رغم البلى ! »

وذكر من اسماء الرفاق الريحاني والعقاد وابى العلاء وابا ماضي  
وسليم الخوري الشاعر المهجري .

( مجلة الصاد : عدد ٢ شباط ١٩٨٦ )

### قال هوراس :

للملوك الذين يخشى جانبهم السلطة على قطع شعوبهم، ولجو بتر،  
الذي انتصر على التيتان ( العماقة ) وقضى عليهم بصاعقته وزعزع الكون  
بتقطيب حاجبيه ، السلطة ذاتها على الملوك انفسهم . فهو يحكم الارض  
الثابتة ، ويسكن رياح البحر ، تخضع لسلطانه الملكي المدن والممالك  
المظلمة والالهة والبشر ...

( هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٨٥ و ٨٩ )

### وقال بوسويه (٢٤) :

الذي يملك في السموات ، وتدين له بالولاء جميع الامبراطوريات،  
الذي له وحده المجد والجلال والاستقلال ، هو وحده الذي يعتر بأنه  
يصنع القوانين للملوك ، ويلقنهم ، عندما يشاء ، دروسا عظيمة ورهيبه.  
سواء ارفع العروش ام حطها ، وسواء امنح الامراء قدرته ام سحبها  
الى ذاته ، فانه لا يترك لهم سوى ضعفهم الشخصي ، ويعلمهم واجباتهم  
بصورة مطلقة وخليقة به ، لانه بمنحهم قدرته يأمرهم بان يتصرفوا بها،  
كما يفعل هو ، من اجل خير العالم ، ويربهم بسحبها ان كل عظمتهم  
معاراة لهم ، وانهم وإن كانوا جالسين على العرش فهم تحت يده وتحت  
سلطته المطلقة .

( بوسويه : مجموعة تأبينه ، سلسلة كارنييه م = ١ ص ١ )

### وقال هوراس :

لا تبحث عن المصير الذي حددته الآلهة لك ولي ، ولا تستفت الأعداد  
البابلية . من الأفضل كثيرا تحمل ما سيكون ! جوبتير يضحك أيضا  
أكثر من شتاء وقد يكون هذا الشتاء هو الأخير الذي يحطم اليوم أمواج  
البحر على صخور شواطئه النخرة . كن حكيما وصف خمورك ، وقس  
آمالك الكبيرة على مدتك القصيرة . بينما كنا نتحدث فرت الساعة  
الحسودة . اقتطف النهار واتكل أقل ما يمكن على الغد . الحياة قصيرة  
تحظر علينا الآمال البعيدة . انتهز يومك واعتمد على الغد أقل ما أمكن .  
تقبل بفرح عطايا الساعة الحاضرة وأنس الشؤون الجديدة .  
( هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٩٣٥٥٥٢ ) .

ووجه لوقيانوس نصيحته ليُثبِّب بلسان العراف تريسياس فقال:  
لا تبحث في كل الأمور إلا عن شيء واحد ألا وهو استخدام الحاضر  
استخداما حسنا والتمتع به ، ودع أكثر الحوادث تمر وانت تضحك ،  
ولا تنظر إليها نظرة جدية ( ٢٤ ) .

ووجه نصيحة أخرى بلسان مينيب الى خيرون الذي كان يوسعه  
ان يكون خالدا مع الآلهة لكنه اثر الموت والحياة في جحيم الاقدمين ،  
بقوله له :

الرجل العاقل من يسر بالاشياء الحاضرة ويعتقد ان لا شيء منها  
لا يطاق ( ٢٥ ) .

وقال ابو العلاء :

خذ الان فيما نحن وخطا غدا ... ل ٢٥٢/١  
هون عليك ولا تبال بحادث يشجيك فالايام سائرة بنا  
ل ٢٦٤/٢

□ هوراس □

ومما قاله الشاعر ايليا ابو ماضي في فلسفة الحياة :  
فتمتع بالصبح ما دمت فيه . لا تخف ان يزول حتى يزولا  
( الديوان ص ٦٢٤ )

وقال هوراس :

من الجنون حمل حطب الى الغابة !  
( هوراس ص ١٧٣ )

وجاء في مجمع الامثال للميداني ( المتوفى - ٥١٨ هـ ) في الجزء ٢  
ص ١٥٢ رقم ٣٠٨٠ :

« كمستبضع التمر الى هجر ! »

وهذا المثل قديم ومبتدل وذلك ان هجر معدن التمر والمستبضع  
اليه مخطيء .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويقال ايضا : كمستبضع تموا الى ارض خيبر !  
وذكر ابو العلاء ( المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ) في رسالة الصاهل والشاحج  
ص ١٦٤ .

« انما تهدي الزهرة من مجلسه الى الروضة العميقة ، ونحمل التمر  
من حضرته الى هجر » ( ٢٥ ) .

ولابي العلاء قوله : كجالب التمر الى هجر . وله ايضا : « يطلب  
من راكب هجر الفرض » وهو نوع من التمر ( ٢٦ ) .

وقال هوراس ، اذا اردت ان تقدم دجاجة ولكيلا يكون لحمها قاسيا  
اغرقه في الخمر ممزوجة بماء فيطرا . ( هوراس ص ١٩٢ )

وقال ابو العلاء في رسالة الففران ص ٢٧٣ : ويعبر طلوس من  
طواويس الجنة ... فيشتهيه ابو عبيدة ( ٢٧ ) مصوصا ( اي منقوعا في الخل  
ثم يطبخ ) ، فيتكون كذلك في صفحة من الذهب .

وصف فيكتور هوغو ميرابو وهو يخطب فقال: «ان حاجب ميرابو كان يحرك كل شيء مثل حاجب جوبتر » ، مستشهدا بهوراس و مترجما قوله: « ولجوبتر على الملوك سلطان ايده انتصار ، على المعالقة خصومه وقد زعزع الكون تقطيب حاجبيه » . ( الاود ٣ - ٨/١ ص ٨٥ )

وسبق للافونتين ان تذكر هذا المعنى فقال :

**ظهر جوبتر بحاجبيه السوداوين**

**الذين يزلزلان السموات القائمة على قطبيها .**

( كيليمون ويوسي )

وقال هوراس في فن الشعر : « من اواد ان يتحاشى عيبا وقع في غيره » .

وقال لافونتين : كثرة انتباه المرء الى خطر ما يوقعه فيه غالبا .  
وقال بوالو : خشية لئلا تقود غالبا الى شر منه .

وقال هوراس : اطررد الطبيعة حتى بعنف فانها تعود دائما وستكون الاقوى وتتغلب بلا ضجة على كل احتقار وازدراء  
( الرسالة ١ - ٢٤/١٠ ص ٢٨٥ )

وقال لافونتين : اطررد الطبيعي بضربات مدعاة يرجع دائما .

وعبر عن هذا المعنى مرة اخرى بقوله :

**لو كنتم مسلحين بالقضبان**

**فاتكم لن تكونوا اسايادا له ( للطبيعي )**

**إن أغلق الباب في وجهه**

**فانه يعود من النافذة .**

( مجموعة مؤلفات هوراس ص ٤٠ )



وقال ديتوش : اطرده الطبيعى يرجع راكضا ( المجيد ٢ ) - هوراس  
الحاشية ٧٨٨ هذا البيت لديتوش وتسب خطأ لبوالو  
( معجم الاستشهادات ص ٢٨٤ )

استشادهم باي شاعر آخر لنفس السبب الذي حدا الشعراء الفرنسيين  
قلد شعراء كثيرون من اللاتين هوراس واستشهدوا به اكثر من  
على الاستشهاد بلافونتين اكثر من استشادهم بغيره ، وذلك لان فنهما  
الشعري ولا سيما سحر اخلاقيتهما السهلة التي يمكن تفسيرها بحرية  
يرضي ذوي المعرفة حتى عامة الناس ..



ARCHIVE

تربية هوراس بقلمه :  
خاطب هوراس كتابه فقال : عندما تخف وطأة الحرارة ويكثر عدد  
سامعك قل كان ابي رقيقا واعتق . ( صفحة ٢٤٢ ) .

فانا ابن عبد تحرر ... ما كان والذي رجلا مشهورا ( ص ١٦٥ )  
واذا طبيعتي الشريفة لم يشبها سوى عيوب طفيفة ، مثل نقط  
مبدورة على جسد جميل هنا وهناك ، واذا كان لا يحق لاحد ان يهتمني  
بالجشع وبالاوهاء الشائنة وبأني سيء الهيئة ، واذا كانت حياتي تقية  
لا عيب فيها ( يمكنني ان اشهد هذه الشهادة بحق نفسي ) ، واذا كان  
اصدقائي يحبونني فالفضل في ذلك كله يعود الى والدي . انه ما كان غنيا  
ولا كان يملك سوى بقعة ارض صغيرة ، لكنه لم يشأ ان يرسلني الى  
مدرسة فلافيوس حيث كان يدرس الظرفاء ابناء النبلاء ، قادة المئات ..  
ما خاف ان يمضي بي منذ طفولتي الى روما لاتعلم هناك الاداب القديمة  
كما كان يتعلمها اولاد الفرسان او اعضاء مجلس الشيوخ . فاذا ما رأني

الناس مرتديا ثيابا فخمة وخلفي عبيد ، كما كانت العادة في مدينة كبيرة ، حسبوا اني من اسرة ثرية تقوم بنفقات كهذه .. فوالذي نفسه ، الحارس الذي لا يرتشي ، كان يستمع الى جميع دروسي . ماذا اضيف ؟ لقد حافظ على طهارتي ، الزهرة الاولى للفضيلة ، وصانتي ليس من كل عمل غير شريف فحسب ، بل من كل شك شائن . لم يكن يخشى ان يسمع يوما احدا يؤيخه لانه جعلني مثله دلالا او جابيا باجر قليل . لو كان الامر كذلك لما تدمرت . انه ما زال حتى اليوم جديرا بالثناء من اجل كل هذا ، وانا مازلت اشعر شعورا قويا بانني مدين له بمر فان الجميل ( ص ١٦٦ ) .

ص ١٦٠ - قد اكون حرا في اقوالي واشط قليلا في مزاحي . يجب ان ينترك لي الحق في ذلك وان اظهر بمظهر المتسامح . تلك عادة عودني عليها والذي الطيب ، ولكي يبعثني عن عيب كان يضرب لي الامثال .

كان يقول لي ابي عندما كان يريد ان يدعوني الى العيش باقتصاد وبساطة وبالاكتفاء بما جناه لي : انظر الى حياة ( فلان ) البائسة فهي عبرة كيلا يبذر المرء ماله ! واذا اراد ان يرد عني عن هوى مخجل لمحظية ... لقد فوجيء فلان في حالة جرم مشهود فخر سمعته . الفلاسفة يعلمونك المبادئ لتعمل ما يجب عليك عمله وما يجب عليك ان تتجنبه . حسبي انا التقيد بالاخلاق التي ورثناها عن ابائنا وان احافظ على حياتك وصيتك ما دمت انت بحاجة الى مراقبة . وعندما تقوي السن اعضاءك وقلبك تستطيع ان تسبح بدون حزام .

ص ١٦١ - اراد ان ينصحنني بعمل شيء كان يقول لي : انظر الى ذاك القاضي ... واذا اراد ان يمنعني عن عمل شيء كان يقول لي : تستطيع ان تشك في ان عملا كهذا غير شريف او غير مجد لما تنتشر شائعات

## □ هـوراس □

مكدرة قوية عن هذا او ذاك ؟موت جار يرعب مريضاً يريد ان ياكل ،  
والخوف من الموت يجبره على ان يراقب نفسه . هكذا عار الآخرين يردع  
غالباً الشباب عن عمل الشر . ان هذه التعاليم صانتني من عيوب خطيرة  
حقاً وتركت لي غيوباً طفيفة تنفتقر . بهذه الاقوال كان ابي يهذبني وانا  
صغير . يمكن ان اكون اصلحت اكثر من عيب في بفضل الزمن او صديق  
صادق او تأملاتي الخاصة . كنت افكر واقول لنفسي دون ان احرك شفتي:  
هذا احكم ، سامعش عيشة افضل اذا فعلت كذا وكذا ، واسر اصدقائي  
ايضاً . ليس حسناً ما فعله فلان . ااكون طائشاً حتى افعل فعلته ؟

لي من العقل ما يجعلني الا اخجل بابي ولا اعتذر مثل كثيرين بان  
الدنّب ليس ذنبي اذا كان والدي ليسا هامين ونبيلي الولد . فكلما نبي وطريقي  
في النظر الى الاشياء مختلفة جداً . فلو كانت الطبيعة تتيح لي ان ابدا  
حياتي واعيش السنين الماضية ، ولو كان يحمل الزهور والغرور انساناً  
على اختيار والديه ، فاني راض عنهما ولن اسمى الى البحث عنهما فيما  
بين الاشراف ذوي المراتب العليا .

١٦٧ - قد يعتبرني الناس احمق .. ولكنني سعيد بحياتي ...  
اعيش عيشة اناس تحرروا من رقة الطمع ومن بأسائه واعبائه .. راض  
عن قضاء حياة احلى مما لو كان جدي وابي وعمي وزراء .

٢٥١ - لقد اسعدني الحظ بان رببت في روما حيث تعلمت ...  
وصرت بفضل اثينا الحبيبة امهر . تعلمت فيها ان اميز الخط المستقيم  
من الاعوج ، واخذت ابحت عن الحقيقة ..



### راحة هوراس وسعادته بقلعه :

الراحة يستجديها من الآلهة بحار في اليم عندما تحجب الغيوم السود القمر ..

ص ٨٠ - وهي التي بحث عنها التراقيون في غمرة الحرب ...  
فالكنوز والحراس حملة الفؤوس يحيطون بالقنصل ( عند الرومان )  
لا يبعدون عنه اضطرابات النفوس المريرة ولا الهموم التي تحوم تحت  
سقوف القصر المزخرفة . يكون الانسان سعيدا بضمن قليل . يكفي ان تلمع  
« مملحة العائلة » فوق مائدة بسيطة ، والا يخامر النوم خوف او رغبات  
فاسدة . الحياة قصيرة : فلماذا نبذل الجهود الكثيرة ؟ لماذا نسعى  
لاهداف عديدة ؟ ... على النفس السعيدة في الوقت الحاضر الا تهتم  
بالمستقبل ، وان تتقبل المرات بابتسامة هادئة . لا سعادة كاملة . الدهر  
قد يعطيني انا ما يرفض ان يعطيكه انت . تلك هي عطايا الآلهة الحقيقية  
وهذا ما علمني في نفس الوقت ان أحتقر حبث الجمهور .

٨١ - لا عاج في بيتي يلمع ولا سقوفه مطلية بالذهب ، وليس في  
منزلي اعمدة من رخام منحوتة في افريقيا، ولست انا وارثا مجهولا واصبحت  
صاحب قصر ، ولا تنسج لي نساء من اسر شريفة ثيابا مصبوغة بالارجوان،  
لكنني شريف وشريان عقلي كريم . انا فقير والفني يبحث عني . انا ثري  
بارضي في سابين انها تكفيني فلا التمس غير هذا من صديقي العظيم  
( مسين ) ولا اطلب من الآلهة زيادة .

١٤٧ - لماذا يعيش الانسان غير راض عن وضعه سواء اكان هذا  
الوضع نتيجة اختيار معلل ام وليد الصدف ؟ ولماذا يعتبر سعداء اولئك  
الناس الذين يحسبون غير حياتهم ؟

## □ هــوراس □

١٤٨ - الناس لا يرضون بالقيام بأشغالهم الا ليؤمنوا لانفسهم ، بما يجمعون من مال ، عيشة مطمئنة في شيخوختهم ، مقتدين بالنملة الصغيرة النشطة التي تجر بفيها ما تستطيع جره وتضيفه الى الكوم الذي تكده لانها تعرف المستقبل وتتخذ التدابير الملائمة لذلك . ولكن النملة في الشتاء لا تخرج من مدرجها ابدا وتستهلك بحكمتها ما جمعتها . اما انت فلا شيء يحول دون جشعك للكسب .

٢١٥ - عما يبحث الرجال ؟ عن المال ، وعن زوجة غنية لتنجب لهم اولادا وغاية صغيرة يجب اصلاحها بالمحراث . عندما يملك الإنسان الضروري عليه الا يتمنى اكثر من ذلك . لا بيت ولا ملك ولا كومة من الذهب يشفي جسدك من المرض والحمى ونفسك من الهم الشديد . اذا كان يريد ان يتمتع بما جمع عليه ان يكون اولاً معافى لا قريصة للخوف والرغبة . اذا كان الاناء غير نظيف فكل ما يسكب فيه يصير حامضاً . احتقر اللذة : انها شر والالم ثمنها .  
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

٢١٦ - فالخبيل يكون دائماً محتاجاً . ضع حداً لرغباتك . الحسود تضنيه سعادة الآخرين .

٢٠٠ - الثروة ام الفضيلة سبب السعادة ؟ المنفعة ام الخير اساس الصداقة .

٢١٩ - الحكيم يكون احمق اذا افراط في البحث حتى عن الفضيلة . عدم الانفعال بأي شيء افضل وسيلة بل الوسيلة الوحيدة لايجاد السعادة والمحافظة عليها .

ان السعادة ليست فقط في البحث عن الملذات التي تصطبغ الشبع والقرف ، وليست في فضيلة شرسة عدوة لكل الفة يتحطم عنفوان مزاعمها كل يوم عند أبسط طارئ وأنفبه ( الرسالة الاولى ١/٨٠ ) .

السعادة في حياة بسيطة دون افراط من اي نوع كان حتى في الفضيلة .  
 انها تكون في مجتمع الاصدقاء الحقيقيين الاوفياء ( الهجائية الثانية ٦/٧٠ ) ،  
 انها في التسامح الذي لا يتحول الى ضعف ، لكنه وحده الذي يعطي  
 الاصدقاء ويحفظهم لنا ويجعل الحياة الاجتماعية ممكنة ( الهجائية الاولى  
 ٥٥/٣ ) . انها في ارضاء الذات الذي يتوصل به الانسان الى مستوى  
 متواضع بسهولة اكثر من الوصول الى مرتبة رفيعة ( اود الثانية ١٠/٥ ) .  
 انها في تلك الحالة الوسط التي لا يعدلها على الارض اي خير . الفضيلة  
 ما بين نهايتين وعلى مسافة واحدة من كليهما ( ص ٢٣٦ ) الرسالة الاولى  
 ٩/١٨ ) بواسطتها يبلغ الانسان تلك الحالة العليا التي يصبح فيها حقا  
 في مامن من تقلبات الحظ ، ويمكن القول انه فيها يحقق كل السعادة  
 الممكنة .

٢٣١ - في منزلي الريفي كل شيء حسن واكتفي بأي شيء كان .

١٩٨ - ما امانى ؟ ها هي : ارض لا تكون كبيرة كثيرا ، وحديقة  
 قريبة من المنزل ، وعين ماء ، واخيرا بعض الاشجار . لقد وهبني الالهة  
 اكثر وافضل من ذلك . ولا اطلب سوى الاحتفاظ بهذه الهبات . لن ازيد  
 مالي بطرق غير شريفة ولن انقصه باخطائي وعبوبي . لكي اكون فرحا  
 سعيدا ساكتفي بما املك .. عندما اغادر المدينة لاجد مأوى لي في جبالي  
 اي شيء اصنع افضل من نظم هجائيات توحى بها الي عروس شعري  
 المعتادة .

٢٢٩ - تمنى المرء مصير الآخرين والتألم من مصيره حماقة ، ومن  
 الظلم التشكي من الاماكن التي يعيش فيها .

ارى السعادة في الريف وانت تزعم انها في المدينة .

□ هوراس □

٢٠٠ - ايها الرفيق متى اراك ؟ ومتى استطيع ان انسى هذه  
الاضطرابات واذوق حلاوة كتاب عتيق وقيلولة طيبة وساعات اقضيها دون  
ان اعمل شيئا ؟؟ متى ارى على مائدتي الفول وصحن خضار جيدة مع  
قطعة لحم دسمة ؟! ..

اما الشاعر العربي فقد قال :

ان رمت مجدا فاندع تعبنا او فارض بالذل واختر راحة البدن

وقال شوقي :

شباب قنع لا خير فيهم وبورك بالشباب الطامحيننا

\*\*\*

من اقوال هوراس :

ص ٢٢٦ - تحب الامجاد فتحت سقف حقير يمكن ان يكون الانسان  
سعيدا اكثر من الملوك واصدقاء الملوك .

٢٢٧ - العقل والحكمة يبددان الهموم .

الثروة ملكة او خادم .

اذا عرفت ان تكتفي بما في متناول يدك لتعيش ببساطة بالخضراوات  
تميش هكذا دائما حتى لو حمل لك الثروة فورا نهر يجرف ذهباً ، اما  
لان المال لا يغير الطبيعة واما لانك تؤثر الفضيلة على كل شيء .

٢٢٩ - في منزلي الريفي كل شيء حسن واكتفي بأي شيء كان .

- وللمعري قوله :

فان خمورك درع عليك	وقيت بها عائبنا او مسودا
تغيبت في منزلي برهة	ستير العيوب فقيد الحسد
فحسبي من المال قوتي به	وحسبي من البلد المسكن

٢٣٣ - الناس الطيبون حقا يكرهون الرذيلة حبا بالفضيلة . اما الآخرون فيمتنعون عن عمل الشر خوفا من العقاب .

٢٤٠ - اذا وثق الانسان بنفسه يكون مثل ملكة النحل التي تقود الشول .

٢٤٢ - لماذا يجهد الانسان نفسه لينقذ الآخرين بالكره منهم .

- والمعري يقول :

**خل العباد وما اختاروا**

...

٢٧١ - لماذا تجرح صديقا من اجل شيء تافه .

١٥٥ - صديق متسامح يزن سيئاتي وحسناتي ، وهذا عدل .

٥٣ - ضع حدا لحزنك واطلب في الخمر تلطيف هموم الحياة وبؤسها .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٥٢ - اطرده اليوم همومك بالخمر .

ماذا يحمل الغد ؟ تجنب البحث عنه ، واعتبر جميع الايام التي منحك اياها الحظ مكسبا .

- والمعري يقول :

**خذنا الآن فيما نحن فيه وخليها غدا ....**

**هون عليك ولا تبال بحداث يشجيك فلايسام سائرة بنا**

٥٥ - كن حكيما وصف خمورك ، وخفض امالك الطويلة بالنسبة لمدة حياتك القصيرة .

انتهر اليوم واعتقد اقل ما امكن على الغد .

٦٠ - الآله لا يعد للذين لا يشربون الا الشقاء . بالخمر وحدها

تبتدد الهموم . يجب الا يتعدى الشارب الحد .



- ٧٢ - لا بهاء للذهب ما دام دفيناً في ارض بخل .
- ٧٣ - سواء الفنى النبيل المحتد والفقر المتواضع الحسب كلاهما يقضى زمناً قليلاً في الدنيا ضحية « اوركوس » الاله الذي لا يرحم . كلنا يجري لذات الغاية يسبق بعضنا بعضاً لركوب الزورق الى المنفى الابدي .
- ٧٥ - عندما التقى بصدى ساشرب ويلذ لي ان افقد عقلي .
- ١١٩ - حلوا ان يفقد الانسان عقله في المناسبة .

٩٩ - يحلولى فقدان العقل بالسكر وليسمع الناس جنوننا وضوءنا .

- وقال الاخطل الصغير :

**ادب الشراب اذا المدامة عربت في كاسها الا تكون الصاحي**

٧٦ - نفس مهيأة جيداً تأمل السعادة في حالة البؤس ، وتخشى

المصيبة في حالة الرخاء . <http://Archivebeta.Sakha.net>

من يختار الحالة الوسط الثمينة كالذهب يعيش في طمانينة ولا يقاسي عذاب الفقر وفظائمه بل يعيش باعتدال بعيداً عن القصور التي يحلم بها الرجل العادي .

اشجار الصنوبر السامقة تحطمها الرياح في اغلب الاحيان ...  
الصامقة تصيب القمم ... اذا كنا اليوم نساء فلن تكون كذلك دائماً .  
في الصعوبات كن شجاعاً باسلاً ، واذا كنت حكيماً للم اشركت اذا نفحتها كثيراً ربح مؤاتية .

٨٢ - الارض تنشق للفقير كما تنشق لابن ملك .

- والمري يقول :

**رب لقد صار لحدا مراراً ضاحك من تراحم الاضداد**

□ هوراس □

اسمح بأن اتفنئ .. بينابيع الخمر وغزارة انهر اللبن والعسل  
السائل من شقوق الشجر .

— وللمعري في رسالة الففران وصف يشبه وصف هوراس :

تجري في اصول ذلك الشجر انهار من ماء الحيوان وسعد من اللبن  
وجعافر ( انهار ) من الرحيق المختوم ... وانهار من غسل الجنان ...  
مصفى .

٨٦ — الموت لايني يلاحق المنهزم ولا يعف عن ظهر الجبان الرعدية.  
الموت في سبيل الوطن عذب جميل . لاشيء يقي رأسك من شباك  
الموت ( ١٠١ ) .

— وقد قال عنترة العسبي مثل هذا القول :

ولا تقرا اذا ماخضت معركة فما يزيد قفر الرء في اجل  
انسي امرؤ بساموت ان لم اقتل  
فالوت لاينجيك من آفاته حصن ولو شيدته بالجنل

ولخير الدين الزركلي قول جميل في هذا المعنى :

هدونا بالموت ما اعذب الموت اذا كان للحياة طريقا

ويذكرني هذا القول بقصة القائد الروماني الذي افتتح آثينا ودخل  
مدرسة واقترح على طلابها ان يكتب كل منهم جملة حسب اختياره  
فاعجب كثيرا بما كتبه احدهم اذ كتب : سقياولئك الابطال الذين سقطوا  
عند اسوار طروادة لانهم لم يروا ذل الوطن ! ...

٨٩ — القوة بلا حكمة تهوي تحت ثقلها .

— وروي عن عنترة العسبي قوله : كنت اقدم اذا رايت الاقدام  
عزما ، واحجم اذا رايت الاحجام حزما ، ولا ادخل موضعا الا ارى لي  
منه مخرجا .

٩٣ - اقتنص بسرور عطايا الساعة الحاضرة وانس القضايا الجسدية .

### - وقال لوقيانوس السمياني :

لا تبحث في كل الأمور الا عن شيء واحد الا وهو استخدام الحاضر استخداما حسنا والتمتع به ودع اكثر الحوادث تعبر وانت تضحك ولا تنظر اليها نظرة جدية .

٩٧ - الهموم تكبر بازدياد الثروة والرغبة في تنميتها .  
أهرب وأبتعد بسرعة من جماعة الأثرياء .

١١٨ - لا تبغ الا ما تستطيع الحصول عليه .

لقد وضعت الطبيعة حدا لرغباتنا . ( ١٥٣ ) .

١٧٨ - ايها الأصدقاء ، الاكتفاء بالقليل فضيلة جميلة وعظيمة .

٢٢٢ : الرجل البسيط يكفي بالقليل . . . يكفي لاسكات صراخ معدتك  
خبز وملح . ١٨٠ : طعام متنوع يؤدي المعدة كثيرا .

١٨٠ - الصيت الحسن أعذب موسيقى لأذان الناس .

٢٠٠ - عش سعيدا وتذكر ان الحياة قصيرة .

٢١٧ - لست جسدا بلا روح . الالهة حيثك الجمال واعطتك  
ايضا الثروة وفن التمتع بها .

٢١٩ - يدعى الحكيم أحق اذا افرد في البحث عن الفضيلة .

٢٢٢ - لن أبدل بحريتي ثرواتي العربية .

١١٧ - من الخطأ تسمية من يملك ثروة كبيرة بالرجل السعيد .

يستحق هذه التسمية من يحسن استعمال عطايا الالهة بحكمة ويتحمل  
بؤس حياة متواضعة ، يخشى الشر اكثر من الموت ، ولا يخشى ان يموت  
من أجل أصدقائه او وطنه .

١٠٢ - ايّ نفع للقوانين بدون الاخلاق

١٠١ - عند « الجيت » لا تنباهى المرأة ببائنتها كي تتسلط على زوجها ولا تعتمد على عاشق ثري . ان البائنة الجيدة في نظرهم هي فضيلة الأهل وعفاف الزوجة التي لا تريد سوى زوجها الذي ارتبطت به بيمين وثيقة .

والزلة جريمة ضدّ الآلهة عقابها الموت .

٢١٦ - احتقر اللذة فالألم ثمنها .

البخيل دائم الفقر .

الحسود تفضيه سعادة الآخرين .

الغضب جنون وقتي .

٢١٥ - اذا كان الإناء غير نظيف فكل ما يسكب فيه يصبح حامضاً .

اخضع هوالك فان لم يدعن فهو الذي يأمر ، اكبح جماحه بلجام وسلسلة .

١٠٦ - من يستطيع ان يقول كل يوم « لقد عشت » ، يكون سيد

نفسه ويعيش حياة سعيدة . فليحجب غداً جوهر السماء بالفيوم أو يملأها بأنوار شمس نقية ، فانه لا يجعل الماضي عبثاً ولا يستطيع تعديله ولا يحول دون وجود ما حمله الزمان الفابر .

- وقال ابو العلاء المعري :

غدي سيوجد امسي لا ينازعني

في ذاك خلق ، وامسي لا يصير غدي

وقال شاعر آخر :

ما مضى فات والمؤمل غيب ،

ولك الساعة التي انت فيها

□ هوراس □

٢١٢ - من الفضيلة مقاومة الخطأ .  
الذهب ائمن من الفضة ، لكن الفضيلة ائمن من الذهب . فالفضيلة  
أولا ثم الدراهم .  
يمزّني أن أنظم حياتي وفق المبادئ الأولى للحكمة ... وأعمل  
من كل قلبي ما يشفع الفقراء والأغنياء على السواء .

★ ★ ★

## المصادر

( هوراس بالفرنسية وبلاتينية هوراسيوس وهوراتيوس )

- |                       |  |                    |
|-----------------------|--|--------------------|
| ١٩٦٧                  | : سلسلة كارتيه وللاماريون رقم ١٥٩<br>الترجمة الفرنسية من اللاتينية والتقديم والحواشي<br>لفرانسوا ريشار | هوراس              |
| ١٩٥٨                  | : بالفرنسية سلسلة ميكروكوزم لبير كريمة   | هوراس              |
|                       | : تراث الانسانية بالعربية لمحمد سليم سالم ٢م<br>ص ٩٢٢ - ٩٢٣  | هوراس              |
| ١٩٦٢                  | : معجم لاروس الكبير الموسوعي م ٥ ص ٩٥٨   | هوراس              |
| ١٩٥٣/٣ و ١٩٥٢/٢ و ١ م | : معجم لافونت بومبياني : المؤلفات - م ١ و ٢ و ٣  | هوراس              |
|                       | : التسايبين  | يوسيبه             |
|                       | : اللزوميات  | أبو العلاء         |
|                       | ورسالة الففران   |                    |
|                       | : الكوميديا الالهية - الجحيم ، بالفرنسية والعربية  | دانتسي             |
| ١٩٦٧                  | : دانتسي الربيع المبشري ( ترجمة الياس غالي )   | الكرديثال ف. شينتو |
| ١٩٦٧                  | : مسامرات الاموات ( ترجمة الياس غالي )   | لوفياتوس السمسلسلي |
| ١٩٤٦                  | : دانتسي ما بين المري وفرجيل - مجلة المرة  | الياس غالي         |
| ١٩٥٧                  | : رسالة الففران لأبي العلاء المري  | بنت الشاطيء        |

## الهوامش

- (١) اقتبسنا هذه الدراسة من النصوص الهوراسية ومن مقدمة مؤلفاته لفرانسوا ريشار بالإضافة الى المصادر الأخرى بتصرف وزيادة .
- (٢) يرجع الى الصفحة ٩٥ من الجحيم ترجمة حسن عثمان ، البيت ٥٢ : « كنت بين أولئك المعلقة نفوسهم » ، وفي الصفحة ١١٥ من الجحيم ترجمة عثمان البيت ٥٥ : ورد : « كانوا معلقين في اللهب » وكلمة « ان سوسيان » بالفرنسية تعني « معلقين » ، والمعلقون هنا قد تعني الذين في منزلة بين منزلتين الجنة والنار ينتظرون فرج الله عنهم كالأرواح الطاهرة عند دانتى وأرواح أولئك الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم عند الغزالي ، غير ان سياق الحديث والمتنقد يستدعي استعمال كلمة « المحتجزين » والى الأبد لتلك النفوس أمل في الخلاص والنجاة من اللهب لفصلت كلمة معلقين على كلمة محتجزين ، اما ولا أمل لها في الخروج منه فكلمة محتجزين اي باقين الى الأبد هي الأفضل .
- وجاء في الصفحة ١١٦ من الجحيم البيت ٧٦ — ٧٨ : « ان ذكراهم المجيدة ... تكسبهم في السماء الفلفل الذي يميزهم هكذا » ، والأصح بحسب الترجمة الفرنسية لارتو دومونتور ص ٤٢ ان ذكراهم ( صيتهم ) المجيدة جعلتهم جديرين بهذا الفلفل وذلك المكافاة من السماء .
- وترجمة ماسورون : صيتهم المجيد — وكلمة صيت او شهرة افضل من كلمة ذكرى — حصل لهم من السماء — وهم ليسوا في السماء — النعمة التي ميزتهم هكذا .
- (٣) مجلة المصرة للبنانية العدد ٣٥٢ و٣٥٣/١٩٤٦ ص ٢١٢ .
- (٤) جاء في الحاشية الثانية ص ١٤٣ لبنت الشاطيء قولها : وج : هي الطائف ، وسمي بها يوم وج « غزوة الطائف » وفي الحديث ان النبي ( ﷺ ) قال : ان آخر وطاة الله يوم وج . وكانت آخر الغزوات . وقيل سميت بوج « نسبة الى وج » بن عبد الحق من العمالة وقيل من خزاعة ( بلدان ياقوت ٩٠٤/٤ ) .
- (٥) جميل سعيد : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٢٤٦ .
- (٦) اشترت من مكتبات الإمارات في احدى زيارتي كتابا لمحمد شلق وآخر لشرف الدين عن أبي الطلاء ماكنت سمعت بهما من قبل مع أنهما نشرا في لبنان قبل بضع سنين ، ودويان الوليد بن يزيد وهو يهمني في دراستي للخمر .

## □ هوراس □

- (٧) هوراس : سلسلة كارثية فلاماريون ترجمة فرانسوا ريشار .
- (٨) جوفينال ( ٦٠ - ١٤٠ م ) شاعر لاتيني له قصائد هجائية هاجم فيها عيوب معاصرة .
- (٩) بيرس فلاكوس ( ٣٤ - ٦٢ ) شاعر لاتيني لم يصل منه سوى ست قصائد هجائية .
- (١٠) مارسيلال ( ٢٨ - ١٠٤ م ) شاعر اسباني عاش في روما ورجع الى اسبانيا ومات فيها .
- (١١) سينيكا ( ٤ ق.م - ٦٥ م ) فيلسوف وشاعر في فرطية ، ودرس في روما ، ترك الحمامة والسياسة لاعتلال صحته وانصرف الى الأدب ، له محاورات فلسفية وتوسع مسرحيات وكتابات أخرى . مات منتحرا .
- (١٢) ايرونيوس ( جيروم ) ٢٤٧ - ٤٢٠ م ولد في دلمانيا . تنسك في شمال سورية ثم في بيت لحم ، وهو مؤرخ ومفسر لاسفار الكتاب المقدس وقد ترجمها كلها الى اللاتينية ، وترجمته هي المعتمدة في الكنيسة الغربية .
- (١٣) الكوان ( ٧٢٠ - ٨٠٤ م ) راهب بنديكتي ، أسس عدة مدارس ومكتبات ومجلات للنسخ . اتصل بشارلمان وصار أول وزير للثقافة في عهده . كان له تأثير في تعليم قواعد اللغة والبلاغة ونسخ المخطوطات . تعتبر مؤلفاته موسوعة .
- (١٤) لاهارب : ( ١٧٣٩ - ١٨٠٣ ) ناقد فرنسي ولد في باريس ، كان عضوا في الاكاديمية الفرنسية . له كتاب اللاتينية او دروس في الادب القديم والمعاصر ١٧٩٩ .
- (١٥) بيندار : ( ٥١٨ - ٤٢٨ ق.م . ) شاعر يوناني . استصفاه عدة طفلة في صقلية واكرم كثيرا . شعره عاطفي وغنائي ، ضمن قصائده احاديث اسطورية وحقيقة دينية اخلاقية . لم يصل منه سوى مجموعة شعرية بعنوان «ايبيني» اي أناشيد النصر .
- (١٦) اناكرويون : شاعر يوناني عاش في القرن السادس قبل الميلاد تفنن بالحب والترف ، استوحى منه شعراء النهضة .
- (١٧) نيتشه : ١٨٤٤ - ١٩٠٠ فيلسوف الماني اخذ بملذهب التطور وارادة القوة وتنازع البقاء وبقاء الاصالح .
- (١٨) جول لوميتير : ١٨٥٣ - ١٩١٤ شاعر وناقد فرنسي له عدة مؤلفات وعدة محاضرات .
- (١٩) أبو العلاء : اللزوميات - الياس غالي : رسالة ابي العلاء الى الاجيال ص ١٤ ، الموقف الادبي عدد ١٥١ و ١٩٨٣/١٥٢ .
- (٢٠) هوراس : الهجائيات ، الكتاب الاول ص ١٧٤ .
- (٢١) هوراس : الفن الشعري = رسالة الى بيزون ص ٢٦٧ و ٢٦٩ .
- (٢٢) سعيد عقل : مقدمة شعر الاخطل الصغير ص ١٤ .

## □ هوراس □

(٢٢) كرفيروس : حارس الجحيم في الاساطير اليونانية واللاتينية وهو كلب عجيب ضخيم له ثلاثة رؤوس .

(٢٤) التيرمويل : الابواب الحارة ، شعب في تيساليا حيث حاول ليونيداس على رأس ثلاثمائة جندي سبارطي صد هجوم جيش فارس الجرار ( كسيركيس الاول عام ٤٨٠ ق.م. ) .

(٢٥) سيموند : شاعر يوناني ولد في جزيرة سيوس ( ٥٥٦ - ٤٦٧ ق.م. ) .

(٢٦) هوراس : القصيدة السابعة من كتاب الاود الرابع ص ١١٥ .  
وقول هوراس هذا يذكر بقصيدة ابي تمام الشهيرة في وصف الربيع وهي من اجمل ما قيل في هذا المعنى :

يا صاحبي تقصيا نظريكما      تريا وجوه الارض كيف تصور  
وله ايضا قصيدة في الحكم وفي تماقب الفصول وقصر الحياة الفصل من قصيدة هوراس بهذا الخصوص وهذا بعضها :

انامل في الدنيا تجسدا ونمرا ؟      وانت غدا ، فيها تموت وتقر  
تلفح آمالا وترجو تاجها      وعمرك مما قد ترجيه القصر  
وهذا صباح اليوم ينمك ضوءه      وليته تنمك ، ان كنت تشعر  
وما لاح نجم ولا زر شارق      على الخلق الا حبل عمرك يقصر  
فهذي الليالي مؤذونات بالبلى      تروح وايسام كذلك تكرر

(٢٧) فكرة الفوز بسعادة السماء جاءت على لسان شيشرون، ستمود اليها في مناسبة اخرى اذا شاء الله .

(٢٨) نهر الستيكس يفصل بين الدنيا والاخرة . - ا - إيكار بن ديدال : ديدال مهندس يوناني بنى سراديب جزيرة كريت وفيها سجن ديدال وابنه ففرا منها بواسطة اجنحة من ريش وشمع قبل عباس بن فرناس .

(٢٩) الكابيتول : احدى قمم روما حيث شيد هيكل جوبيتر .

(٣٠) مالبومين : ربة التراجيديا .

(٣١) لقد كلف المعامل المستطوس هوراس بوضع النشيد البيوبيلي القرني فوضعه في ٧٦ بيتا (هوراس الاود ٣ من الكتاب الثالث ص ١٠٦ و ١٠٧ - النشيد ص ١٢٥ و ١٢٦) .



## □ هـوراس □

٤ - أوفيد : ( ٤٣ ق.م - ١٧ م ) شاعر لاتيني كبير نفي بعيدا عام ٨ ق.م. الى بلد قصي ومات في المنفى . له مؤلفات عديدة أهمها : مسوخ الكائنات ترجمها الى العربية ثروت عكاشة . نشر لي مقال عنه في مجلة الفرسان الدمشقية العدد ١٩٧ تاريخ ١٦/٢/١٩٨٠ وفي كتابنا قياسات من التراث الإنساني ص ٦٣/١٩٨٢ .

( ترجمة المسوخ : الكتاب ١٥ ص ٤٠٩ ) .

( سلسلة كارنية ، ج ، ص ٥٧ البيت ٨٧٢ - ٨٨٢ ) .

( ٢٢ ) جاك شوفالييه : تاريخ الفكر ص ٨٨ .

( ٢٣ ) جاك بوسويه ( ١٦٢٧ - ١٧٠٤ ) ولد بديجون بفرنسا . اسقف « مو » اشتهر بمواعظه وتأبينه البليغة وبمؤلفاته اللاهوتية والفلسفية والتاريخية .

( ٢٤ ) لوفيانوس السيساسي : مسامرات الاموات ، ترجمة الياس غالي ص ١٢٧ و ٧٢ .

( ٢٥ ) الشرح التالي لبنت الشاطئ محققة الرسالة :

هجر بالتحريك اسم لمعدن البلدان بالبحرين واليمن وحضرموت والتي بها ضربوا المثل : هجر البحرين . وفي القاموس ان هجر اسم لجميع ارض البحرين ، ومنه المثل : « كبضع تمر الى هجر » . ولفظ المثل عند اليماني : كبضع التمر الى هجر .

ونقل فيه عن ابي عبيد انه من قديم الامثال . وذلك ان هجر معدن التمر .

ولفظه في الصحاح « كبضع تمر الى هجر » اسم البلد ، مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع ، والنسبة اليه هاجري على غير قياس وهجري ايضا .

( ٢٦ ) رسائل ابي العلاء لعبد الكريم خليفة ج ١ ص ١٨٤ .

( ٢٧ ) ابو عبيدة التيمي ( ١١٠ - ٢٠٨ هـ ) كان من اعلام الناس باللفة واخبار العرب وانسابها ، له كتاب الجواز ( رسالة الغفران ص ١٦٢ ) .



---

# ستيفان مالارميّة

• أنطوني هارتي

• ترجمة: فاروق هاشم



ARCHIVE

انقضى الآن قرن من الزمان منذ ان اعلن ستيفان مالارميّة ، الذي كان في الثانية والعشرين حينئذ ، عن اكتشاف أسلوب شعري جديد في رسالة بعثها الى صديقه ( هنري كازاليس ) ، كتبها في تشرين الاول من عام ١٨٦٤ :

« بالنسبة إليّ ، انني موطد العزم على العمل . لقد بدأت اخيرا بتأليف كتابي ( هيروديد ) . وبكل خوف ، انني اخترع لغة لا بد ان تنشأ بالضرورة من شكل جديد بالغ الضرورة في الشاعرية ، والذي بإمكانني ان احدهه بكلمتين :

لاترسم الشيء ، بل ارسم التأثير الذي يحدثه (١) .

---

\* من كتاب : Mallarmé, The Penguin Poets, 1965.

(١) في الاصل ، وقد ورد باللغة الفرنسية .

## □ ستيبان مالارمييه □

لقد كان محققا في احساسه بالرعب من جراء اكتشافه الخاص ،  
لأنه ، خلال عامين ، قادته المحاولة  
لتشكيل أسلوب يتطابق ومفهوم الامكانات المتصلة في اللغة الى  
أزمة روحية مدمرة ، وقد خرج منها منهكا ، ولكن منتصرا ، وأنتج عدداً  
من الروائع، وكما ابرز موقفه تجاه فنه الذي اتخذ شكله الأصلي والنهائي.  
ومن الآن فصاعداً ، فإنه سيصبح الشارح عالي المقام او الخادم المتواضع  
جدا لنوع من الشعر يطالب بمكان باسقى في هذا الكون والذي يتجلى  
بقيمة تم التسليم بها على أساس انها الحقيقة الوحيدة التي يمكن للبشرية  
الحصول عليها ... « كل شيء في العالم يوجد كي ينتهي في كتاب ... ».

ومع ذلك ، فإن الكتاب ( وهو يبدأ بحرف كبير هنا ، لان هذا  
الزامي ) الذي كان مقررا أن يصبح رائعة مالارمييه لم يكتب أبدا . وكل  
ما بقي منه عبارة عن سلسلة من الملاحظات الفامضة التي تم الحصول عليها  
من قبل النقاد ، الذين أتيح لهم أن يطلعوا عليها مؤخرا . وأثناء حياته ،  
وجد الشاعر مخلصين أوفياء وتلاميذ راوا فيه ، كما قال أحدهم :

« المثال الأكثر نقاءً ، والأكثر أصالة للفضائل الفكرية » ، ولكن  
الاعتراف العام بمكانه المبرز في أدب القرن التاسع عشر والمجال الكامل  
لطموحاته الفكرية غير العادية لم يبدأ الا في الآونة الأخيرة نسبيا .

والقضايا التي أمضى مالارمييه التفكير بها ، والتراكيب التي ناقشها  
مليا في ذهنه ، وان كان الوقت منعه من إنهاؤها ، يمكن التعرف عليها  
بسهولة أكثر بعد أن أتيح الاطلاع على ملاحظاته .

## □ ستيفان مالارمييه □

وبعد نشر أعماله الكاملة ، أخذت مراسلاته تظهر أيضا ، وشعره  
امكن النظر اليه بضوء جديد من قبل نقاد ، مثل ( جورج بوليه ) ،  
( جان - بيير ريتشارد ) ، و ( جاك شيرر ) (٢) .

وفي الآونة الأخيرة قال جان بول سارتر إنه يعتبر مالارمييه « أعظم  
الشعراء الفرنسيين . » وهناك عذر غير مقبول الآن لتكرار الكليشيات  
النقدية التي لازمت عمله طويلا . وكلمات مثل « حذقة » « عقم » أضحت  
غير واضحة أبدا لوصف الموهبة الشعرية التي أنتجت أعمالا مثل  
L'Après - Mili d'un Faune و Quand L'ombre menaça ...

نهاية لها ، ولكن مالارمييه الهيفلي الذي يبرز ضمن النقد الحديث ليس  
بالضرورة نمطا جاهزا لإثارة المزيد من الإعجاب . لان من الصعب جدا  
ان يحتوي هذه الحياة التي يقندي بها وإنتاجه في قالب واحد . وهناك  
عنصر من السخرية الفاضحة حول مالارمييه وشعره يتحدى المحاولات  
لاتمام أي حكم تقدي . ان نبالة موقفه وتمعبد عقليته تأسران النقد وبقية  
المتطفلين ، وتبقيهم بعيدين عنه .

وأساليبه الأدبية خلوة من العيوب والاختفاء ، ولكنها تشكل جزءا  
من تكتم شديد ، وبرغم ذلك فانه مطلق ، ليكشف للقاري المستويات  
الأسعق للتجربة الروحية . وشعر مالارمييه صعب حتى عندما يبدو في  
قمة وضوحه ، وليس ذلك نتيجة لأمور وقضايا التفسير المباشرة بقدر  
ما هو ناتج عن موضوع قصائده ووجهة نظره نحوها ( وربما كان الأمران  
شيئا واحدا ، في الحقيقة ) مما يجعل من الصعب فهمها بالنسبة لأي  
شخص لا يشارك الشاعر اهتماماته . ومعظم أولئك الذين يجدون تلك  
القصائد تعني الشيء الكثير بالنسبة لهم ، لابد أنهم يشاطرون تجربة

---

Jacques Scherer Jean - Pierre Richard George Poulet (٣)

□ ستيغسان مالارمييه □

فاليري المستمدة من تأثير ساحر لآليات بعينها من شعر مالارمييه وأسلوبه الطبيعي الذي يتحول الى امتصاص تدريجي تحدته رسالة شعرية فريدة من نوعها . وفي سن العشرين ، كتب الشاعر :

**«كل ما هو مقدس ويود ان يبقى مقدسا يحيط نفسه بالقموض.»**

وبالنسبة له ، كان الشعر مقدسا قبل اي شيء آخر ، وقد تقوم هذه العبارة مقام حكمة معبرة لعمله كله ، تنقل ، كما هي الحال ، رابا عن الاعتقاد واعلانا عن هدف اسلوبي .



من الناحية الظاهرية ، لم تكن حياة مالارمييه مليئة بالاحداث . فقد ولد في باريس الثامن عشر من آذار ، ١٨٤٢ ، لعائلة كلا طرفيها ، كما كتب الى فيرلين «... منذ الثورة قدمت سلسلة غير متقطعة من الموظفين في خدمة الحكومة ومكتب التسجيل .» ماتت أمه عندما كان في الخامسة من عمره ، وقد تكفلت جدته بتربيته بشكل أساسي . وفي سن الخامسة عشرة عندما كان هذا الغلام طالبا داخليا في اليسانس في مدينة سانس ، وهي بلدة كاتدرائية تبعد حوالي ( ٧٥ ) ميلا الى الجنوب الشرقي من باريس ، ماتت أخته الوحيدة ماريا ، وهذه الخسارة كان لها تأثير دائم فيه وتركت بصماتها على عمله .

وفي تلك الاثناء كان من الواضح ان مالارمييه اخذ يظهر مقاومة اشد للمحاولات التي تمت من أجل حثه على متابعة تقليد العائلة ليصبح موظفا بالإضافة الى المعتقدات الدينية التي كانت تطبع وتفرس في ذهنه من قبل جدته بناية فائقة .

ولدى بلوغه العشرين من العمر كان يكتب لجده عن امكانية ان يصبح مدرسا للغات ، وقد سنحت الفرصة لعائلته كي تلاحظ رفضه

## □ ستيغان مالايميه □

للاشكال الخارجية للدين . وفي خريف ١٨٦٢ ، ذهب الى لندن كي يتعلم اللغة الانكليزية ، مصطحبا معه ( ماري جير هارد ) ، وهي فتاة المانية كان قد قابلها في مدينة سانس ، والتي وقع في غرامها حالا ، وقد خاطبها بنثر يعتبر شيئا مميزا لاسلوبه .

« شعاع الشمس هذا ينبغي له ان يجعل الزهرة الزرقاء الفامضة تفتح في قلبك ، والا يكون العطر الذي يمكن ان يخلق من شذاها ، كما أمل ، غير مستحب . اود لو انني استنشقتها . وهذا العطر يدعى الحب . » .

وبعد الازمات ، والفراق والمصالحات التي تلت ذلك ، والمعتادة في قضية حب كهذه نبت وترعرعت تحت ظروف صعبة وقام بها اناس غير مجربين ، كان على مالايميه ان يتزوج من ماري في العاشر من آب ١٨٦٣ ، وقد ولدت ابنتهما ( جيفيف ) في نوفمبر من العام التالي .

وهذا الزواج المبكر كان نقطة تحول حرجة في حياة مالايميه . فسرعان ما اجبره الزواج على السعي لايجاد مصدر نظامي لدخله ولذلك اضطر لاتخاذ مهنة تدريس اللغة الانكليزية ، وهذه المهمة غير المرغوبة بالنسبة اليه ، للطلاب العنيدين ، في الوقت الذي كان يحتاج فيه لكل دقيقة من اجل عمله الخاص .

وقد اوضحت متطلبات الحياة العائلية عبثا ثقيلا على عاتقه . وقد رآينه يكتب لكازاليس :

« المرأة تستطيع ان تهب كل شيء ، نظرات عذبة ، وراحة بعيدا عن الضروريات . ولكن الاولاد ... هناك عالم من المعاناة فيهم ، يتمكننا في لحظات الفة الحياة العائلية ، لاتنا مجرد آباء انتاجنا الخيالي . » .

## □ ستيفان مالارمييه □

وعلاقة مالارمييه مع زوجته يكتنفها الصمت والتكتم ، وهو الشيء الذي احاط به الكثير من حياته الشخصية ، والذي فعل كابو سيرة حياته الشيء القليل لازاحة الستار عنه ، ولكن هناك بعض العلامات تشير الى انها لم تكن متفهمة للتوترات التي كانت تجيش في صدره بسبب شعوره بأنه كان يضيع وقتا ثميناً لمجرد كسب قوت العائلة . وقد تصرف مالارمييه نحوها دائما بلباقة وبكل علامات العاطفة العميقة ، ولكن بإمكان المرء أن يشعر بهوة متزايدة بينهما كلما تقدم الزمن . وقد كان الامر على هذا النحو لأنه ما كان بإمكان ماري أن تفعل خلاف ذلك كي تفهم بشكل اوسع طبيعة القوى الداخلية التي سيطرت على حياة زوجها أكثر مما يمكن أن يتوقع من امرأة ، اهتماماتها بعيدة عن اهتماماته ولفتها الأصلية ليست اللغة الفرنسية ، وعندما عاد ليعيش في باريس ، كان على مالارمييه أن يجد رفيقة أخرى ، وهي ( ميري لورينت ) ، ولكن يبدو أن هذه العلاقة بما كانت على مستوى سطحي نوعا ما ، ولهذا السبب لم يكن لها اي تأثير على حياته العائلية .

وأول منصب تدريسي لمالارمييه كان في ( تورنون ) على نهر الرون ، تحت مدينة ليون . وقد انتقل الى ( بيزانسون ) عام ١٨٦٦ ، والى ( آفينيون ) عام ١٨٦٧ ، وأخيرا ، في ١٨٧١ ، الى باريس ، ليقوم بالتدريس ، أولا في الليسية فونتان ( كوندورسيه ) ، ثم في الكيسيه جانسون - دو - ساي . وخلال تلك السنين في البراري الاقليمية ، مرت به الأزمات النفسية التي غيرت بذلك مزية شعره . ولا ريب ان عدم وجود روح متفهمة ليناقد معها القضايا ، التي تعذبه ، جعل من لوعته الروحية أمرا شديدا ، ولكن مثل هذه الأزمات كان عليه ان يتغلب عليها لوحده ، وربما ربح مالارمييه من سنوات العزلة هذه بابتعاده عن أصدقائه والحياة الادبية الباريسية .

ففي البداية ، كان يحس بالمرارة من جراء وحدته ، وهو يكتب من مدينة ( كورنون ) : « هاهنا الخنزير هو الروح المألوفة في البيت كما هي الحال مع القطط في مكان آخر » ولكن بمرور الوقت ، قيل نصيبه بسبب التأثير المطف للراحة المنزلية التي كان ينعم بها ، وكذلك لم تكن عزلته مطلقة تماما كما يتضح من شكواه . فقد كانت هناك على الدوام رسائل من الكتاب الآخرين - ( فيبر دو ليل - آدام ) ، ( فيرلين ) ، ( كاتول منديس ) ( فرانسوا كوبيه ) ، ( مسيترال ) ، ( تيودور أوبانيل ) و ( هيردياد ) ، وأجرى اتصالات مع شعراء حركة الـ (الفيلبراج) (٣) في آفينيون . وتلقى زيارات من أصدقائه ، وفي الصيف كان يتيسر له الهروب لبعض الوقت الى باريس . وفي الوقت نفسه كان مالارميه يكتب وينشر القصائد . وقد ظهرت إحدى قصيدة منها في (البرناس المعاصر) ١٨٦٦ وكلا ( هيرودباد ) و قصيدة إله الريف بدأ يكتبتهما في توردون ، مع أن الكتاب الأول لم ينته أبدا ، والكتاب الثاني وجد شكله النهائي بعد عدة سنوات . ولكن ، كما أشار السيد شير ، فإن شدة الأزمة التي مر بها مالارميه عام ١٨٨٦ ، تبين بجلاء حقيقة أنه منذ ذلك الحين وحتى حوالي عام ١٨٨٤ أنتج الشاعر ثلاث قصائد جديدة فقط : ( Toast funèbre ) ( النخب الحزين ) و ( Le Tombeau d'Edgar Poe ) ( ادجار يو ) ( السوناتا ... Sur les bois oubliés ) ( في الغابات المنسية ) . وهذا يتعارض تماما مع غزارة الانتاج التي عرفها في الاعوام الخمسة السابقة .

(٣) Félibrige مدرسة ادبية تأسست عام ١٨٥٤ من قبل جماعة ادبية ، بينهم ( مسيترال ، رماتي ، أوبانيل ) لنح اللغة المستعملة في الاقاليم صفة اللغة الادبية .  
« المترجم »



## □ ستيفان مالارمييه □

وعندما استقر في باريس ، اتيح له متسع من الوقت لرؤية أصدقائه وليلعب دورا متزايدا في الحياة الادبية في العاصمة ، مع انه بقي يتذمر بسبب الزمن الذي يذهب هدرًا تبعًا لواجباته التدريسية . وفي عام ( ١٨٧٥ ) انتقل الى الشقة الشهيرة في ( ٨٧ رو دو روما ) ، وبدأ يقضي أيام الصيف في موضع آخر أصبح مألوفًا لأصدقائه والمعجبين به : وهو الكوخ في بلدة ( فالغان ) بالقرب من ( فونتنبلو ) حيث امتلك قاربًا صغيرًا ( وهو الزورق في قصيدة *Le nénuphar blanc* ) ( النيلوفر الأبيض ) ، مما سمح له أن يطلق العنان لمزاجه ويمضي الوقت وهو يحلم فوق صفحة الماء .

وفي عام ١٨٧٩ كان لموت ( اناتول ) ، ابن الشاعر البالغ من العمر ثمانية أعوام ، أشد لحظات الحزن قتامة بالنسبة لمالارمييه ، ذلك الحزن العميق الذي لم يعانهِ منذ موت شقيقته . والملاحظات غير العادية التي كان يسجلها وهو يجلس بجوار سرير موت ابنه تعتبر اكمل اثبات عن لوعته العميقة وانشغال باله بمشكلة الموت والتي لا يمكن تناسيها حتى بالأم . « جمالي - يقول الموت - يتكون من اللحظات الاخيرة ، الوضوح والجمال ، وجه ما سيكون أنا بدوني - لأنني حاليًا آكون ( حاليًا يموت المرء ) - فأنني أكف عن الوجود . » .

ويمكن أن تظهر هذه الواقعية الحارقة وكأنها غير إنسانية في محاولتها لتجريد ماهو خاص ، ولكنها تبدو في حالة مالارمييه كإشارة مؤكدة لفاجعة أثرت على كيانه بأكمله . وموت اناتول يمكن اعتباره دعماً لذلك التفكير العميق بالموت نفسه الذي حملته مالارمييه في كل عمله الابداعي .

وخلال تلك الأعوام التي قضاها مالارمييه في باريس قادته صداقته مع الكتاب والفنانين والموسيقيين ( خصوصًا فيليير دو ليل - آدام ،

## □ ستيغان مالميه □

فيرلين ، ومانيه ) اولا الى « المارديس » حيث استقبل مع زوجته الاصدقاء ، ثم تحول ذلك الى ما يشبه المؤسسة ، وفي تلك المناسبات كان باستطاعة المعجبين الشبان ان يقدموا له الطاعة ويستمعوا الى تعاليم الشخص الذي اعتبروه سيذا لهم بسبب نقاء مقاصده وشعوره الفياض . وليس من السهل ان نستجمع فحوى المحادثات التي كان مالميه يقوم بادارتها من الاوصاف المعاصرة له ولشئته . اما عن تأثير تلك المحادثات والجلسات ، فلاشك حول ذلك أبدا . وربما كان افضل وصف لها ما قدمه شاعر شاب ، وهو جورج رودينباخ .

« صوت لطيف . اشارات وكانت طقوس عبادة . وخطاب رائع لا تحس بالتعب في نبراته ، يضيئ نبلا على كل موضوع يطرقه بتزنيات نادرة : الادب ، الموسيقى ، الفن ، الحياة ، وحتى مواد الاخبار ، ليكشف عن التناظرات الكامنة بين الأشياء ، وتربط بين الابواب الموصلة والاشكال الخفية . ويصبح الكون بسيطا عندما يلخصه بالاقلام ، كما يحدث مع البحر عندما يتم احتواؤه بالهمس داخل صدفه » .

ويمكن اعتبار هذا الوصف ايضا وصفا جيدا لتأثير كتابات مالميه النثرية على القارئ ، ويمكننا ان نتخيل اقواله في ( الصالون ) في شارع ( رودو روما ) وكان لها مزية التأمل الخفي تم كشفه لبعض المريدن من شئته . ولا بد ان يكون للنفحة ذاتها نفس التأثير ايضا ، ونظرا للرونق الذي تنجلي به ، فان نثر مالميه يذكرنا دوما بالصوت الانساني ، والسحر الذي افصح عنه ذلك الصوت يمكن تخيله من قوة الانتباه الذي كان يضيئ له الكتاب الشبان الذين قدر لهم ان يكونوا اعظم الاسماء في الادب الفرنسي في القرن العشرين : ( اندريه جيد ، كلوديل ، فاليري ) .

## □ ستيغان ما لارميه □

وفي جو التمجيد الذي احاط بمالارميه خلال السنوات العشرين من حياته ، هناك بعض التواريخ الجديرة بالملاحظة . فقد ظهرت قصيدة ( بعد ظهر إله الرعاة L'Après - Midi d'un Faune ) عام ١٨٧٦ ، ( الكلمات الانجليزية Les Mots Anglais ) ١٨٧٧ ، ( الآلهة القديمة Les Dieux Antiques ) ١٨٨٠ ، و ( اشعار Poésies ) عام ١٨٨٧ ، وترجماته لادجار آلن پو عام ١٨٨٨ ، و ( Divagations ) هذيان ) عام ١٨٩٧ . ولكن الاعترافات الحقيقية لمعظمته كانت مازال وقفا على مجموعة منتقاة من تلاميذه واصدقائه الذين لم يستطيعوا دائما إخراس أصوات النقاد الذين يدعون بأن قصائده كانت « عقيمة » أو « لا يمكن فهمها » . وبعد أن تقاعد من مهنة التدريس عام ١٨٩٤ ، كان قادرا على أن يهب نفسه كلية لعمله ، ولكن العمر لم يمهله طويلا . ففي ٨ ايلول عام ١٨٩٨ ، بينما كان في مدينة ( فالفان ) ، أصيب فجأة بنوبة مفاجئة من الاختناق . وعندما شعر بدنو أجله ، جلس ليكتب لزوجته الوابسته اليوصيهما أن يحرقا الملاحظات التي كان قد دونها :

فلتحرصا الا يستفيد احد من تلك الملاحظات - وهذا صحيح تماما -  
- وانتما ، يا اعزائي المتعبين ، اوحيدان ائلدان باستطاعتكما احترام ،  
وبدرجة كبيرة ، حياة فنان مخلص باكملها ، وتصدقا انها ستكون جميلة جدا بملكما هذا » .

وفي اليوم التالي مات مالارميه ، وبقي الكتاب النموذج الاصلي الذي حلم به غير مكتوب . وشاهدة قبره نطق بها ( رودان ) ، المثال الشهير ، وهو عائد من الجنائز :

« كم من الوقت سيمضي قبل أن تستطيع الطبيعة خلق عقل مثله ؟ » .



## □ ستيفان مالارميه □

لكي ندرس شعر مالارميه ، فمن الضروري اولا أن نتفحص طبيعة الازمة الفكرية والروحية التي اتخذت شكلها الاصلي . ولحسن الحظ ، فان الادلة والشواهد لاتنقصنا في هذا المجال ، وخلال الاشهر التي قضاها مالارميه في صراع داخلي مرير ، فقد اضطر بسبب عزله في ( تورنون ) ، ( بيزانسون ) و ( آفينيون ) ، أن يسجل الصراعات الفكرية التي واكبته وذلك برسائل طويلة الى اصدقائه . واولى اعراض تلك الازمة يمكن تاريخها بدءا من الاشهر الاخيرة التي قضاها في ( تورنون ) . ففي ١٤ مايس ١٨٦٧ كتب الى ( كازاليس ) :

« لقد مرتت لتوي بسنة مريفة : لقد امعنت افكاري بأفكاري ووصلت الى مفهوم نقي . وقد أثر كل شيء على كياني وجعلني افاقي ، نتيجة لذلك ، خلال هذه المحنة الطويلة ، مما يستحيل علي البوح به ، ولكن ، لحسن الحظ ، أنا ميت تماما ، والخلود هو المنطقة الاثر قلة نقاء حيث بإمكان روحي أن يتخاطر بدخولها .. »

ومما يزيد الامر دلالة في هذا المجال انه كان قد كتب اولا في هذه الرسالة كلمة مفهوم سماوي مقدس ( divine ) ثم غيرها بكلمة ( نقي ) . وكل رسائله في تلك الفترة تؤكد على النوعية المتهورة والتي تكاد تكون تجديفية لهذه المحاولة الواعية لتنقية افتراضه الخاص ، الذي يستدعي نجاحه أن يجلب معه فقط الرعب واللوعة الواسعة الى حد كبير .

« بالنسبة إلي ، فقد انقضى عامان منذ أن ارتكبت خطيئة رؤية الحلم في عريه المثالي .. والآن ، وبعد أن وصلت الى الرؤية المربعة للعمل النقي ، فقد فقدت تقريبا فهم سبب ومعنى معظم الكلمات المألوفة » .

ومن جديد نسمعه يقول : « إن المرأة التي عكست كياني بالنسبة إلي قد كانت هي الرعب وبإمكانك أن تخمن اذا ما استطعت أن اعوض بقسوة عن هذه الجوهرة ذات الليالي التي لا اسم لها » .

## □ ستيغان مالايميه □

و « الخطيئة » و « التكفير » - هذه الكلمات ذات الدلالة الدينية ( اللاهوتية ) ، تعكس الاصل الميتافيزيقي لازمة مالايميه . وقد كان مالايميه في هذا الامر واحدا من شعراء كثيرين في القرن التاسع عشر ممزقا امام مشكلة الايمان ، التي حاول ان يحلها بطريقة بروميشية (٤) لكي يتجاوز الحالات الانسانية اليومية . وفي رسالة الى ( كازاليس ) تكلم ايضا عن « نضاله المريع مع حزمة الريش العتيق والشريرة ، التي تم التغلب عليها ، وهي الاله » .

ولكن الانتصار جلب معه العقوبة :

« ويمكن بما ان هذا الصراع قد اتخذ مسرحا له جناحه العظمي ، الذي حملني الى الظلال ، بمحنة اكثر شدة عما ظننت انه قادر عليها ، وسقطت منتصرا ، بلا امل وبشكل نهائي - حتى وجئت نفسي اخيرا في احد الايام امام مرآتي القينيسية (نسبة الى قينيسيا) ، تماما كما كنت قد نسيت نفسي منذ عدة اشهر قبل ذلك » .

واذا ما تم اقضاء الاله ، فان ما بقي كان مجرد هوة ابتلعت معها كل حقيقة . وعلى هذا النحو استطاع مالايميه ان يكتب في نفس الرسالة انه « لن يصبح شيئا ما بعد ذلك » ، بعد ان تم مواجهة خواء مرعب في نهاية بحثه الدؤوب عما هو مثالي .

ويمكن تتبع الحالة التي كانت تسيطر عليه في اصل بحثه وقد انعكست في قصائده الاولى . والشئ الاكثر تمييزا لهذه القصائد هي العاطفة

---

(٤) نسبة الى ( بروميتوس ) الذي سرق النار التي كانت حكرًا للالهة وعلم البشر استعمالها ، معاقبة الالهة .  
( المترجم )

## □ ستيغسان مالارمييه □

الرقراقة لاعمال الشباب الاولى وقد استبدلت - ربما بسبب موت اخته - بشعور من عدم المقدرة الذي يتخذ شكل الحنين الى هدف أعلى لا يمكن الارتقاء اليه أو الدنو منه .

هذه الفكرة يمكن الكشف عنها من قبل في قصيدة « قلعة الامل » ، وهي من الاعمال التي تعود الى فترة الصبا ، حيث صور الهجوم تلاشى في تراخ وكسل وبلا ايلام في الستانزا الاخيرة : « بدون اي نجم شاحب ينطلق كالسهم » . وفي قصيدة اخرى مثل « الشفق » تتضح الفكرة بشكل جلي . فالشاعر هنا تتملكه حالة ادراك واقعي متعال وهو الذي لا يمكن الحصول عليه أو النجاة منه . انه يهرب منه ، ولكن عبثا . والقصيدة الأكثر دلالة من جميع تلك القصائد ، مع ذلك ، هي « النوافذ » ، حيث نواجه صورة مريض في مستشفى يراقب عبر زجاج النافذة غياب الشمس وهو غير نادر على أن يجرب ذلك مباشرة ، وهي تدل على مصيبة الشاعر الخاصة :

**اهناك ثمة طريقة ، ابتها النفس انطافحة بالمرارة ،  
كي اكسر البلور انشغاف الذي دنسه الوحش  
وكي اهرب مع جناحي متتوفي الريش -  
وبخطر السقوط عبر الابدية ؟**

وفي محاولته لإختراق الجدار ، شغافا كان أم صلبا ، ذلك الجدار الذي يفصله عن التفوق ، السمو ، والذي ، مثل « الشفق » ، اجبره على تركيز انتباهه وارعبه جدا حتى ان مالارمييه وجد هوة فاعرة فاهها في طريقه ، هوة وجود يمكن الاحساس بها في الابيات الشعرية التي تجلب الدوران في مقدمته لهيرودباد ، وهي قصيدة مرتبطة تمام الارتباط بأزمته .

## □ ستيبان مالارمييه □

« ان الصمت الابدي لهذه الفراغات اللا متناهية يرعبني » . هكذا كتب ( باسكال ) ، ومراسلات مالارمييه توضح بان احساسه بالرعب كان مطابقا تماما لما تحمله هذه الكلمة من معنى . ولكن ، اذا كان مالارمييه يشارك هذا الراي مع باسكال ، فان طريقته لحلها كانت تدين بالشيء الكثير لديكارت ، كما اشار م . بوليه . ففي الرسالة الاولى التي كتبها الى كازاليس حول ازمته ، يمكن ان يتبين الطريقة التي خرج منها من جوف هذه الهوة :

« نعم ، انني اعرف ، اننا اشكال فارغة من المادة ، ولكننا اكثر رفعة ، لاننا خلقنا الاله وروحنا . اجلاء جدا ، يا صديقي ! حتى انني اريد ان احضر نفسي بهذا المشهد من المادة ، مدرك اوجودي ، ومع ذلك اندفع بحمية نحو الاحلام ، التي تعرف انها لا توجد ، محتفلا بالروح وبكل هذه التأثيرات الالهية التي تجمعت فينا منذ العصور الاولى ، والتي تظهر ، في وجه التفاهة التي تتخذ لبوس الحقيقة ، هذه التزييفات المجيدة ! » .

« التفاهة التي تتخذ لبوس الحقيقة .. » ، هذه التزييفات المجيدة « وفي حالة عكس القيم التي تنتهي بها هذه العبارة الرائعة عن الاعتقاد ، هناك الارضية التي يستطيع مالارمييه ان يبني عليها شعره ، وهو الكوجيتو الذي يمكن ان تركز عليه القيم . فلو ان الواقع عصي على فهمه ، حينئذ ، عندما يلتفت نحو نفسه ، فانه يستقبل الحقيقة الوحيدة التي عرفها : وهي الخيال الراقى الذي تولد في داخل وعيه الخاص . وعلى مستوى الاسطورة يمكن رؤية هذا الالفاء المتعمد للعالم « الحقيقي » كعبادل للقبول بالموت واعادة الميلاد . ومثل هذا التعريف قام مالارمييه بتقديمه بنفسه في وصفه ( ومن جديد لصديقه كازاليس ) لمحاولته التغلب على الدوامة التي احاطت به :

« ... دماغي ، وقد غزاه العظم وهو يرفض أن ينجز مهامه الخارجية التي لم تعد تثير انتباهه ، كان على وشك أن يتلاشى في الارق الابدي ، واستعطفت الليل الواسع انذي استجاب لصلواتي ونشر ظلاله علي . لقد انتهت المرحلة الاولى من حياتي . ووعبي ، انذي اتعبته الرؤى ، اخذ يستيقظ من جديد ببطء ، مشكلا رجلا جديدا ، وعلي أن اجد حلما من جديد بعد ان يتم خلق هذا فيما بعد » .

ويعود السبب الى أن القبول بالموت يجلب معه بعضا اكيدا .  
« لقد كنت ميتا ونهضت من جديد مع المفتاح المرصع بالآجوهرات المخصص لآخر صناديقي الروحية » . وبصبح الموت شرطا للحياة ، نغيا للوجود . وهذه هي الاسطورة التي تكمن خلف الشظايا الموجودة في قصيدة Igitur ( اجيتور ) ، وهي دراما حاول مالارميه أن يجسد بها تجربته الخاصة بخصوص ازمته التي وصفت بأنها « المثال الكامل عن الانتحار الفلسفي » ، والشخص الذي يتخذ اسم هاملت ، وهو بطل الدراما ، يؤكد هويته الخاصة بانتحار يتلاشى معه الزمن والفرصة التي تسمح بالانجاز النهائي لعمل ما :

« هو نفسه في النهاية ، عندما تختفي الاصوات ، سوف يقدم دليلا عن شيء عظيم ( بدون نجوم ؟ أن يلقى دور المصادفة ؟ ) من هذه الحقيقة البسيطة التي يسمح بواسطتها للظل بأن ينفث على الضوء » .

ان بعث بطل اجيتور ، بعد ان القى برعية زهر ، اغلق كتابه ، اطفأ شمعته ، واستلقى فوق رماد اسلافه ، والنقاء الذي ينوي أن يحصل عليه يشار اليه اشارة فقط . وفي ( رمية زهر ) ( Un coup de dés ) تتضح حركة الانبعاث من جديد بشكل اقوى من ذي قبل . ويمكن لرمية الزهر التي القى بها البطل الغار من ( والذي يمكن التعرف على هاملت من



□ ستيفان ما لارميه □

خلاله أيضا ) ان تصبح مجموعة متألفة من النجوم . وتنبعث من جديد  
إيماءة برومئية من ظلام الموت ورهبته وكأنها ضياء .

« كوكبة من النجوم وقد لفتها برودة النسيان وعدم الاستعمال –  
وليس يعني هذا انها لا تحسب حسابا للصدمة التي تتالى على طريقة  
النجوم التي تتشكل ، فوق سطح ما فارغ ومرتفع » .

وان مايرى في ( إيجينور ) كنتيجة لاختيار فلسفي ومتعمد يظهر  
في ( رمية زهر ) كمقل يائس يقوم به وعي إنساني يجد نفسه على الدوام  
في النزاع الاخير .

والحالة النفسية اقل جبرية ، مع انها ليست اقل المكافاة التي  
تأتي مع الفعل .

« القمر ، فوق الزمن ، وسوف يزع الستائر امامه . » .

وبما ان والارميه قد انطلق من التجربة البريرة لعدم كفاية الروح  
الانسانية ، فانه انتقل بعد ذلك باتجاه تأكيد انسانية واقفة من نفسها ،  
بالنسبة الى انحداره السابق نحو الخواء . وفي السوناتات ذات الاسم  
( Quand l'ombre menaça ... ) ( عندما هددت الظلال ... ) نجد وصفاً  
للمعملية التي بواسطتها يظهر امتقاد الشاعر بخياله الاعلى تسبب اولا  
تساؤل الكون ثم تقلصه ، في الابيات الثلاث الاخيرة ، بعد ذلك يتمدد  
بشكل لا يمكن قياسه مثل كل النجوم الدوارة التي تعتمد على كرة أرضية  
يتم التعرف عليها بوجود عقل حي (ه) .

(ه) إنني أتبع هنا شرح ( م . بوليه ) للقصيدة . ولكنني اظن ، أنه في الابيات الاخيرة ،  
يمتد احتفال عالم العقل الى كافة جوانب الحياة الانسانية .

وبعد ان تثبت الميزة الخيالية للخبرة الانسانية ، فان ما لارميه ، بعملية عكسية  
للمشاعر ، يحتفل بعظمته – تلك العظيمة التي تتألف بشكل رئيسي من ادراك  
ذلك الوهم .

## □ ستيغان مالارميه □

وبلا شك ، فان عملية عكس القيم التي تحدد شعر مالارميه يمكن ان يعبر عنها بتعابير فلسفية .

فمن الممكن التعرف عليها عن طريق مبدأ ( نفي النفي ) الذي يقود باتجاه ظهور قيمة ايجابية ، يمكن ان يكون الشاعر قد جمعها من قراءته لهيجل ، الذي تعرف على افكاره بواسطة صديقه ( يوجين لوفير ) . وحتى قصيدة ( الشيء المكتوب ) نفسها محددة بهذه التعابير :

« المجرة ، شغافة مثل الشعور ، وفي القاع ، مع نقطة ظلالها ، تدل على وجود شيء ما ... » .

ولكن ، وبالرغم من ان عادات مالارميه العقلية كان من الممكن ان تقوده للبحث عن تمييز فلسفي للأفكار التي كانت جزءا جوهريا من وجوده الخاص ، فانه كان يستطيع ان يصل اليها حتى بدون تأثير فكري خاص ليرشده . ان السلسلة التي تضم ( الحياة - الموت - البعث ) ، مع التناقضات التي تتضمنها ، هي سلسلة مألوفة لدى معظم انماط التفكير الديني ، وكان تحقيقها على مستوى الوعي ، من الناحية التقليدية ، جزءا من طقوس الصوفية الناهضة . وعلاوة على ذلك ، فان هذه السلسلة متفقة مع نفحات الطبيعة من شروق والى غروب الشمس والقمر وحتى التحولات السريعة جدا للفعل الجنسي .

وقد كان هناك ايضا المناخ الادبي : فقبول مالارميه بالظلام كان جريا على تقليد جيلين من الشعراء الرومانسيين . وحتى تسليمه بان للخيال القيمة العليا ، فانه مستمد بشكل جلي من تعلقه بالتأكيد الرومانسي بخصوص فعالية التجربة الذاتية . وبالنسبة لمالارميه ، لم يعد وعي الشاعر يعكس الواقع المتغير حوله ، ولكنه يخلق واقعا جديدا ، ويفعله هذا يثبت ذلك الى الابد . وبهذا المعنى ، فقد تبنى وجهة النظر

## □ ستيفان مالارمييه □

الرومانسية للحياة الى نهايتها المنطقية ، ولكن بمعنى آخر ، فان انجازه كان من الطرف المعاكس من الحركة الرومانسية . وبعيدا عن ذلك ، هناك في عالم مالارمييه انسياب للواقع يقوم مقام قسيمة في حد ذاتها ، فوعي الشاعر الخاص يعود وينبعث من جديد . انه الواقع الحقيقي الوحيد الممكن الذي بوسعه ان يعرفه ، وخلقه لخيال يكون الفاية الوحيدة التي بإمكان المعرفة ان تخدمه . وهناك ، لهذا السبب ، لا يوجد اي صراع بين الحياة والفن . وتعاما مثلما كانت كتابة الرواية بالنسبة ( لبروت ) تعني التحرر من قبضة الزمن ، فان القصائد بالنسبة لمالارمييه كانت الصدق الوحيد المستمد من المطلق والذي بدوره كان هو نفسه سيتدردى في الهوة التي حذق في اعماقها فيما مضى برعب شديد.

**« الشعر هو التعبير ، بوساطة لفظة انسانية ادت الى نفعها الاساسية ، تعبير عن الاحساس الفاضل الوجود ، وهكذا فالشعر يمنح اقامتنا على الارض اصالة ويولد المهمة الروحية الوحيدة » .**

فعند هذه النقطة ، يصبح الادب وسيلة - الوسيلة الوحيدة - للخلاص ، وخيالا مساويا للحياة .



ان علاقة مالارمييه بعمله الادبي الخاص تظهر الحاجة الماسة الى اسطورة تبريرية ، وهي شائعة بالنسبة لعدد من شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر بدءا من التركيب الفلسفي الجامد ( لو كنت دليل ) وحتى ( correspondances ) ( تطابقات ) بودلير ، واستعانة رامبو بالقوى السحرية للغة . وكان جوابه عن السؤال ( ما الفائدة من الشعر ؟ ) تأكيدا على ان الشعر وحده هو الذي يملك نفعا او معنى ، وتخيله عن انهيار المفهوم الرومانسي الاصلي للشاعر على اساس انه « مشرع للبشرية

## □ ستيغمان مالارمييه □

غير معترف به « كان أكثر راديكالية وأكثر منطقية من ذلك لدى أتباعه .  
وان مخاطر وقوع وجهة النظر هذه ضمن نوع من السحر يمكن تتبعها  
في حالة رامبو ، الذي يبدو صمته المفاجيء وكأنه انهيار الإيمان بأسطورة  
إبداعه الخاص .

لم يتم الفراق أبدا بين عقل مالارمييه وغريزته الشعرية بهذه  
الطريقة ، ولكنه كان على الدوام يريح نفسه من عناء الأزمة التي مرت  
به . والتسلسل الوارد في كلمات مثل : الحياة - الموت - البعث -  
الضوء - الظلام - إعادة الولادة - الضوء - اللعنة - العقم - والخلق ..  
يظهر في نسق معقد غير الكثير من شعره . ففي السوناتة الشهيرة ( اليوم  
الجميل ، الحي ، والبكر ... ) مثلا ، نجد ان محنة البجعة المتجمدة في  
الجليد نتيجة حقيقة أن المحنة لم تكن من صنع مالارمييه . وكما يقال ،  
فقد طال به العمر ، وعقوبة الجذب والعقم قد لحقت به . وتخدم صور  
الضياء التي تتكاثر في القصيدة فقط الى تحديد وجود مثال ، كما هو  
حاصل في قصيدة ( الشفق ) ، لا يمكن الارتقاء اليه بواسطة الطائر  
السجين وتعذيبه . ومع ذلك ، فهناك تلميح في عبارة « **منفى لانفع منه** »  
انه كان عليه اختيار ذلك المنفى ليجد له ملاذا . وفي السوناتة x « اظافرها  
النقية ترفع عقيقتها عاليا » التي كتبها خلال سنوات الازمة نجد السلسلة  
المذكورة اعلاه كاملة الحضور . ومن غرفة مظلمة يسكنها العقم والغياب  
يولد شعاع من ضوء يظهر نفسه كمجموعة من النجوم ويمكن التعرف  
عليه بسهولة مع النجوم المذكورة في « رمية زهر . » .

ان نفس ميلاد الضياء الجديد في غرفة مظلمة يرى في سوناتة « هل  
يصدر الدخان عن كل كبرياء في المساء ! » وهي الاولى من ثلاث سوناتات  
تتعامل مع أفكار تتعلق بوفرة الانتاج والعقم . والسوناتة الثانية « ناهضا

## □ ستيغان ما لارميه □

من بين القاع والفوهة» تمثل رفضا متصليا ( كما حدث مع البجمة ) للانتقال عبر الموت الى بعث خلاق . فآنية الزهر لن « تلفظ » وردة وتلقي بها الى الظلال ، وان اختيار الكلمة الفامضة ( يتوفى ) ( expirer ) مع النغمات التوافقية للموت تحدد الارتباط بأسطورة مالارميه الرئيسية . وفي السوناتة الاخيرة « قطعة دانتيل تختفي ... » نجد ان الحركة اكثر تمقيدا . فالستائر التي تتحرك الى الامام والخلف كأشباح تشير الى وجود عقم ونشاط غير هادف ، ولكن ، في عالم النوم ( الذي هو ايضا عالم الموت ) ، تقوم عملية عكس الادوار الخلاقة بالاستعداد، وترمز لها آلة موسيقية تود أن تكون عملية البعث على شاكلتها . وهنا يكون اختيار عالم الاحلام الطوعي كرفض آنية الزهر في القصيدة السابقة . واذا ما اخذنا السونيتات الثلاث معا ، فانها تشكل سلسلة متتالية حيث التوهج حديث الولادة في السوناتة الاولى يواجهه النهاية المسببة للاجهاض في الثانية ، فقط كي نجد كمالها في الوفرة الموعودة في الابيات الاخيرة من السوناتة الثالثة .

وكما يمكن أن يتوقع ، فان الاتجاه نحو اعادة عملية الولادة الخلاقة غالبا ما يرتبط من قبل مالارميه بالافكار الجنسية . ففي « بنجاح هربت من الانتحار الجميل » يأتي الوهج في الفرفة الفارقة في الظلام من انعكاسه على شعر امرأة ، بينما في قصيدة « الشعر » ، يقترن الشعر بالشمس التي تغرب، واخيرا يتخذ حياة جديدة ، مثل « مشعل يضج بالفرح ويقوم بالحراسة . ».

والشخصية المميزة للعميان تتأكد بكونها مرتبطة بالضوء الذي يسقط في نهاية القصيدة وينساب من الشعر ومده . « هي ، التي لاتتحرك نجما ولا نارا فوق اصابعها ... » .

وينبغي ان نتذكر انه في السوناتة « اي حرير مع بلسم الزمن .. » يبدو شعر الرأس في المقطع الثاني وقد تحول الى نمط ذي مغزى وأكثر جنسية حالما يصل الى الابيات الثلاثة الاخيرة . وفي نهاية « آلة القطعان .. » — وهي قصيدة من انتاج مبكر نسبيا — نجد هذا البيت : « ايها الأزواج: وداعا ، إنني ذاهب لأرى الظل الذي أصبحته » الذي يقترح ان الطريقة الوحيدة من اجل آلة الحقول والقطعان كي يتغلب على العوائق الغامضة حتى انمام العملية الجنسية التي تلمح القصيدة لها ، هذه الطريقة هي ان يدخل طوعيا داخل الظلام من المعجز الجنسي الكسول لضوء الشمس الواهن الذي طارد فيه حلمه اليقظ . ونجد في شعر مالارمييه الصورة التقليدية للفعل الجنسي كموت ، وهي مرتبطة باللب القابع في مركز أسطورة الخلق لدى الشاعر (٦) .

ولكن ، اذا كان لازمة ١٨٦٦ وتصميمها على الدوام ان تعود وتنشط في الافكار المتكررة وفي صور شعر مالارمييه ، بالرغم من حقيقة ان كثيرا من قصائده ، بمعنى ما ، تعد « شعر مناسبات » ، فان تأثيرها العام القاطع كان يهدف الى تقديم تبرير فلسفي لاعتقاد غريزي فيما كان فاليري قد دعاه « الوقار الدائم للشعر ، الذي لم يخلقه سوى المصادفة . » وهذا صحيح ، لان التنظيم اليائس الذي قدمه الشاعر للكون لم يلغ الصدفة ولكنه خلق على الاقل شيئا أبعد من متناوله . وهي كوكبة نجوم « رمية زهر » وفي وقت مبكر ، كان مالارمييه قد كتب الى فرانسوا كوبيه : « لائس المصادفة بيتا واحدا من الشعر ، وهذا هو الشيء الرائع . » ولا يمكن الغاء الصدفة برمية من نرد ، بعيدا عن كل التعديلات

(٦) هناك الشيء الكثير حول صور مالارمييه اكثر مما يمكن ان يقال هنا . والصور التي يستخدمها وارتباطات بعضها ببعض يناقشها المستر م. ريتشارد بشكل واسع .

## □ ستيفان مالارمييه □

المحتملة للغة ، تلك التي تخلق قصيدة ، وكذلك فانها لا تستطيع التأثير ايضا على العمل الفني بعد ان يتم خلقه ويبقى خارج سلطة الصدفة .

ان الايمان الراسخ بالشعر الذي قاد مالارمييه الى اعتباره ( *raison d'être* ) سبب الوجود بالنسبة للانسان جره ايضا ليشارك بالطموح ، الذي كان معروفا جدا في فرنسا إبان القرن التاسع عشر ، المنصب نحو انجاز عمل يتضمن جميع الفنون الاخرى . ان التفوق الواضح للشعر من وجهة نظر مالارمييه اعطى الشعر الحق باستخدام الفنون الاخرى كخدم له . ومثل هذه الفرضية التي توحد الفنون كان على مالارمييه ان يجدها لدى الموسيقار فاغنر (٧) ، ولكنه لم يقع في الخطا الذي وقع فيه اتباع المدرسة الرمزية من اجل المساواة بين الشعر والموسيقى وقد جهز نفسه للكتابة الى رتييه جيل :

« سوف اوجه لك اليوم لشيء واحد فقط : وهو أنك في هذا العمل العادل للاسترداد ، الذي يجب ان يكون لنا ، استرداد كل شيء من الموسيقى .... قد سمحت لمبدأ البيت القديم للشعر ان يختفي بعض الشيء . »

وقد بقي المظهر المطبعي الجميل الذي يلفت النظر والتأثير السيمفوني الواعي ( لرمية الزهر ) كدرجات على طريق الوحدة الاكثر شمولاً بين الفنون ، وقد آمن مالارمييه الفكر من اجل دمج كل الكتب في كتاب واحد الذي سيكون « العمل ، العمل العظيم » ، كما اعتاد اسلافنا

---

(٧) يشير المؤلف هنا الى الفكرة التي ابتدئها وحاول تطبيقها في معظم أعماله الاوبرالية الموسيقار العظيم (ريتشارد فاغنر) ١٨١٢ - ١٨٨٢ ، ويعرف هذا التعبير بالألمانية GESAMTKUNSTWERK أي ( عمل الفن الذي يوحد كل الفنون . ) .  
( الترجمة )

□ ستيفان مالارمييه □

**الكيميائيون أن يقولوا .** » وبما أن الشعر قدم شرحا كافيا عن العالم ، فسيكون من المناسب أن تكون العبارة الوحيدة عن الحياة البشرية ، تلك العبارة الممكن صياغتها ، ظاهرة في مجلد واحد . وهذا الكتاب وضعه مالارمييه في الملاحظات التي دونها من أجل ذلك وفي مكان آخر :

**« اعتقد أن الادب ، الذي يؤخذ من مصدره اندي هو الفن والعلم ، سوف يقدم لنا مسرحا ستكون عروضه اتشكل انحقيقي العصري للعبادة ، كتابا سوف يكون توضيحا للانسان كافيا من أجل احلامنا الاكثر جمالا ... » .**

فالمعمل سيكون في الحال كتابا وتلاوة ( ربما مثل ذلك الوارد في « البيان المتنقل » ) ، والذي تفاصيله ( ترتيب الصفحات ، الامكانات المادية ، عدد المتفرجين ، الخ ... ) يتم اخراجها بأدق عناية ، والذي فكرته ، التي تم الإشارة إليها بشكل عابر في الملاحظات ، تستعيد من جديد ( اجيتور ) أو ( رمية زهر ) ... ، رجل عجوز يموت جوعا ويجد في ذلك الموت بداية جديدة .

**« الموت بسبب الجوع يعطيه الحق ليولد من جديد » .**

وربما لن يكون من المدهش أن مالارمييه تصور الكتب على شكل درامي . فكلا « اله الحيوانات » و « هيروديار » كانتا في الاصل مجهزتين للمسرح ، وهناك خاصية درامية في وجهة نظر مالارمييه للحياة تنعكس في معظم شعره .

ولكن الكتاب الذي كان سيجد بشكل هائل الدراما الاسطورية التي شغلت تفكير مالارمييه بالكاد أن بدأ التحضير له ، وقد كان في موقف الشاعر الخاص تجاه هذا العمل نوع من التردد ، واعتراف بالتنوع الافتراضية لتراكيبه العقلية المتزايدة في علوها . « إن كل اعجابي منصب نحو



□ ستيفان مالارمييه □

المجوسي (Mage) العظيم ، اندي لاعتزاء له وهو باحث عنيد وراء غموض سر لايعرف أنه يوجد أصلا والذي سيتابع الجري وراءه ، الى الأبد لذلك السبب ، مع حزن وآلم يأسه الشفاف ، لانه بذلك سيكون هو الحقيقة ... » .

وربما كانت تلك حالة لمحاولة مالارمييه للتغلب على أزمته النفسية الخاصة مما جعله يتصرف كما لو أن بعض الأمور كانت صحيحة ، ومن وقت لآخر ، فانه يصبح مدركا لمثل هذا العمل . وكان على الشعر في القرن التاسع عشر ، كقضية رئيسية ، أن يقوم بخلق أسطورة ، ولكن ، بالنسبة للشعراء ، كانت النتيجة جهدا يهشم عملهم أو يترك ذلك العمل ناقصا . ومالارمييه ، بالرغم من كل عظمته ، لم يستطع أن ينجو تماما من رباط القيود المفروضة على جيله . وإذا كان الخلق الشعري بالنسبة له إعادة الولادة الوحيدة التي كانت الإنسانية قادرة عليها ، فقد كان أيضا نتاجا لمحاولة متعمدة لترك وراءه حياة « حقيقية » غير مرتبطة بالموت ، وبقيت في الوقت نفسه عقوبة هذا الطلاق : تردد أمام العمل الإبداعي المتضمن فشلا مبدئيا لتحقيق وحي الشاعر في هذا الجانب من الظلام .

لقد كان هناك تردد مشابه في وجهة نظر مالارمييه حول وسائل التعبير المناسبة لـ « السر » الذي كان يبحث عنه . لقد كان يهدف الى وصف شيء ما ، معتم فقط داخل التجربة الإنسانية ، نوع من التعميم الذي يمكن أن تعزى له قيمة مطلقة . ولذلك ، فان شعره غالبا ماينتقل من العام الى الخاص ، بخلاف شعر الشعراء الآخرين حيث ينشأ التجريد من الخبرة المباشرة . ومع مالارمييه ، قد ينشأ احساس لدى المرء بان الخبرة هي التي تقوم بالتنظيم - وغالبا ما يتم ذلك اعتباطا - بالنظر الى رؤيا شديدة تكمن في مستوى الواقع الرفيع :

□ ستيفان مالارمييه □

« اقول : زهرة ! ومن النسيان ، حيث يختفي صوتي وراء اي محيط ، وبقدر ما هو شيء آخر غير كاس الزهرة ، تنشا بشكل موسيقي ، كفكرة في حد ذاتها واريح ، الواحدة الغائبة من كل باقات الزهر . ».

ولكن مثل وجهة النظر اللغوية هذه كتعبير مباشر عن شيء ما تقترب من الافكار الافلاطونية والتي لايمكن الاحتفاظ بها من الناحية العملية ، وفي قصيدة ( نثر من اجل إيسانيت ) تلمح اقتراحا يشير الى ان التجريد الملهب الذي رغب مالارمييه في ايجاده بالكلمات ، يمكن الوصول اليه بطريقة غير مباشرة فقط . وتقدم عبارة « زهرة سيف الغراب الكبير جدا » في المقطع الاخير تعليقا تقديرا حول المقطع المتبسط اعلاه . وبطريقة هامة وذات مغزى ، فان مثل هذه الزهرة تثبت فوق قبر منقوش عليه اسم ( بولشيري ) (٨) :

الجمال . وهنا نجد أنفسنا من جديد في حضرة مثال مالارمييه لايمكن تحقيقه الا وراء حدود القبر . وليست اللغة فقط ، بل ايضا شهرة الشعراء ، التي تحصل على خاصيتها المجردة الكاملة بعد ان تكون قد عبرت « جدولا ضحلا سيء السمعة ، الموت . » ومن وراء تلك الحدود يمكن للأسلوب ان يصبح كامل التجريد ، ويصبح الشاعر نفسه « غير شخصي » ، او ، كما قال مالارمييه : « مقدرة يملكها الكون الروحي من اجل رؤية نفسه وكي يتطور عبر ما كنته انا نفسي . » .

ومع ذلك ، فأسلوبه ليس غامضا كما كان يعتقد بعض معاصريه ، او كما كانت تظهره طبيعة المادة / الموضوع الصعبة بشكل اصيل . فهو

---

(٨) ( Pulchérie ) القديسة بولشيري ، ولدت في القسطنطينية (٣٩٩-٤٥٢) ،

وهي ابنة إيمادبوس ، تزوجت من هارسيان ، وكانت تشاركه الحكم . عيدها في

( الترجم )

١٠ ايلول .

□ ستيفان ما لارميه □

نفسه قد انكر بشدة ان يكون اسلوبه غامضا ، بينما يعترف بأنه طلب من قرائه :

« اذا اطعمتم دعوة ذلك الفضاء الأبيض الواسع المتبقي بشكل متعمد في اعلى الصفحة كما لو انه يدل على انفصال عن شيء ما ، عن اي شيء ما ، عن اي شيء قرا من قبل في مكان ما ، واذا وصلتكم بروح جديدة وطاهرة ، حينئذ سوف تفهمون انني اقدم بعق وبدقة القواعد، وان كتابتي خالية من الغموض ، وان جملةتي هي ما ينبغي ان تكون وان تكون الى الأبد ... » .

ولكن اسلوبه مرّ عبر تطور طويل قبل ان يصل الى الكمال المعقد للقائد التي تنهى كتابته المعروف باسم « اشعار » . ففي قصيدة أولى مثل « الشفق » نرى ان تأثير بودلير ما يزال موجودا ، ليس في مجال الفكرة فقط ، ولكن ايضا في الالبيات البطيئة والتشديد وفي التقدم المستمر والمتاني للصور الشعرية . فقصيدة ( المهرج الذي تلقى عقابه ) ، التي تحوي في شكلها الاخير كثيرا من الاضافات وتحريفات قواعد اللغة المرتبطة بطبيعة اسلوب مالارميه ، كانت في البداية شكلا مباشرا ومستقيما في مدلولها ، ولم تكن قصيدة اصلية حيث يمتزج فيها تأثير بودلير وشعراء البرناس . ولم تبدأ المزايا الخاصة الاكثر التصاقا بأسلوب مالارميه بالظهور حتى قصائد مثل :

( نسيم البحر العليل ) و ( هدية القصيدة ) . وهناك تراكم الصور الشعرية المتعلقة بصورة تخيلية لكل قصيدة على حدة بالإضافة الى كونها من الناحية اللغوية مرتبطة بموضوع القصيدة ، ( ففي قصيدة « نسيم البحر العليل » يدل البياض الموجود في الصفحة على حبيب الزوجة الشابة التي ترضع طفلها ، وفي قصيدة « هدية القصيدة » ، يسترجع صوت

## □ ستيغان مالايميه □

المرأة نعم الفيولا « ضرب من الكمان » ولا يفعل الصوت ذلك لانه مجرد موسيقى ، بل لان تلك الآلة ، مثل آلة المندور « آلة تشبه العود » التي يذكرها مالايميه فيما بعد ، رمز للولادة عبر شكلها الخاص نفسه ) . وهنا تصبح الصورة الشعرية متعددة القيم والمعاني بطبيعتها الخاصة وكذلك بسبب مكانتها في القصيدة . وفيما بعد ، اندمجت الصورة الشعرية الفردية بشكل عميق داخل القصيدة ذاتها . وفي « قطعة دانتيل تختفي » تصبح آلة المندور اكثر من رمز للولادة وتزيد عن كونها آلة موسيقية ، ويكاد يختفي عملها الاصلي كأداة لخلق الموسيقى .

وفي الادراك البطيء لامكانيات اللغة والقواعد التي تحاد تطور أسلوب مالايميه ، فان قصيدة « آلة الحيوانات » لها مكانة خاصة في كونها شكلا دراميا وفي محاولتها لتمثيل عالم نصف مستيقظ يسمح للشاعر بأن يخفي حداثته ما يحاول القيام به وذلك بواسطة الإيمان بواقعية تأثيرية . ومن جديد، أصبحت القصيدة معقدة بشكل متزايد في تفاسيرها المتعاقبة، وحتى في شكلها النهائي نجد ان العبارات التي تتردد على فترات طويلة تستقل بشكل تام حتى تصبح تعبيرا عن الحركة البطيئة للرغبة الحسية . وكان باستطاعة مالايميه ان يحكم على سرعة تطور شعره بشكل تام ، ونفس الحالة التي انتشرت في القصيدة المذكورة اعلاه ، تعود لتظهر من جديد في صفحة ما كما في الأبيات الستة الأخيرة من « بانتصار هرب الانتحار الجميل » ولكن بتباطؤ النغم فيها . اما كيف استطاع مالايميه السيطرة على العبارة الشعرية الطويلة بشكل حسن ، فان ذلك يمكن رؤيته أيضا في « النخب الحزين » ، حيث عظمة النغمة ونبلاتها ليست بدون تأكيد بلاغي ما ، وتعيد للذهن بشكل جلي القصيدة الرائعة التي كانت تدور حول موت « جوتيه » : وهي مرثية فيكتور هوجو .

## □ ستيغلان ما لارمييه □

وفي الحقيقة ، كان الجزء الكبير من شعر مالارمييه شعر مناسبات ، حيث أن سببه المباشر كان حادثة ما يمكن الاستفادة منها : مثلا ، الرغبة في تقديم الاحترام للذكرى شاعر ميت او نظم قصيدة حول مروحة ابنته . ولكن الفائدة التي استمدتها من هذه الفرص والمناسبات يمكن رؤيتها في كتابه « إجلال وقبور » حيث الحالة السائدة في « النخب الحزين » تصبح أكثر دقة وذات متانة في حبيبتها وسبكها . وفي أسلوبه الكامل ، نجد أن كل سطر منه محشو على حدة ، والصور الشعرية مصطفة ومرتبطة بشبكة من الامور الغامضة التي تسمح لتلك الصور بتغيير اشكالها امام عين القاريء .

ان قراءة قصيدة من قصائد مالارمييه الاخيرة تشبه مراقبة تتابع الاضواء المتحركة والالوان المتتالية التي تظهر وهي تتغير من لحظة لآخرى ، بينما يبقى النمط المميز لتلك الاشكال شيئا واحدا ثابتا . ان الارتباط الحاصل بين الكلمات المتنافرة ، واللفة التي تبدو وكأنها تشير الى جهة ما وفي النهاية تقود الى جهة مغايرة ، وكذلك وجود نوع من الذكاء الحاد في اختيار الكلمات . كل هذه الملامح في أسلوبه تعطي للقصيدة ، من امثال ( Pour des Esseintes ) ( نثر من اجل اسانيت ) (٩) ، سرعة تسبب للقاريء الاصابة بالدوار والتي يمكن ان تحدث في القاريء ايضا تأثيرا مرهقا حتى في حدود الجسم ، بينما الصور الشعرية تطوّر كل احتمالاتها المتقلبة الالوان .

---

(٩) اسم شخصية في رواية هويسمان ( A Rebours ) ( بالمعكس ) حيث يود ان يعيش حياة نكفية في الفن ، وتعد هذه القصيدة من القصائد الغامضة جدا لمالارمييه .  
( الترجمة )

ومثل هذا الشكل المركز للكتابة لابد أن يقدم الصعوبات في فهمه، ولكن هذه القصائد الأخيرة يمكن اعتبارها بدقة بعضا من أعظم انجازات مالارمييه حيث المهارة المبهرة للأسلوب قد وضعت في خدمة عنف المشاعر والاحاسيس وحدة الذهن ، ومثل هذه الامور نادرة جدا حتى في الفترة الفنية بالشعر كما في فرنسا القرن التاسع عشر .

\* \* \*

### نماذج من شعر ستيغان مالارمييه

#### ملاحظة :

لقد سمعنا كثيرا باسم هذا الشاعر الصعب ، بل وقرأنا عنه بما فيه الكفاية ، ولكن المحاولات الجادة ، التي لا تستطيع حصرها بهذه العجالة، التي حاولت تقديم شعره نفسه الى القراء العرب قد اصطدمت بصعوبته وغموضه بل وتفتقر تعابير منه واغراقه في الرمزية . وما هذه المحاولة البسيطة هنا لتقديم « عينة » من نصوصه الشعرية « السهلة » الا خطوة لابد منها لينجرا على ترجمة شعره كاملا - او قصائد كاملة على الاقل - من يجد في نفسه المقدرة والرغبة معا للقيام بذلك .

لقد اعتمدت اعتمادا شبه كلي على الترجمة الانكليزية المرافقة للنص الفرنسي الاصلي ، واستأنست - بما يسمح به المامي باللغة الفرنسية - بهذا النص .

إنه شاعر متعب فعلا عندما نصطدم بنصوصه الشعرية مباشرة . وكما وصفه ( هوجو فريديريش ) ، الذي ترجم كتابه الدكتور عبد الغفار مكايي باسم « ثورة الشعر الحديث » ، بأنه شعر « يوحى ولا يفهم » .

« المترجم »

( Le Chateau De L'espérance )

قلعة الأمل

شعرك الشاحب يتموج

وسط عطر جللك

مثل راية بيضاء مرحة ،

يشع حريرا اصفر في الشمس

قلبي ، وقد تعب من عزف لحن

بالدموع فوق طبل ،

ينكر ماضيه ، ويستعد للهجوم

يحل صفائك في الماء ،

ويتساق - او يتدحرج بشماله

في مستنقعات الدم -

كي يغرس هذه الراية النهبية النقية

فوق تلك القلعة النحاسية المظلمة

حيث ينتحب الأمل فاطر الهمة

ويبتعد عن جادة الصواب ،

ويبرز الليل البهيم

مثل قطرة سوداء بدون

نجم شاحب ينطلق الى الامام .

### النخب ( Salut )

لاشيء ، هذه الرغبة ، قصيدة عنراء  
معدة فقط لوصف القندح ،  
تندفع بعيدا مع شلة من حوريات البحر  
ورؤوس تلك الحوريات الى الاسفل .

إننا نبحر ، يا اصدقائي الكثر  
وانا فوق مؤخرة السفينة  
وانتم مثل القيدوم الفخم  
تقطعون موج الرعد والشتاء .

ثمالة لذيدة تجبرني  
حتى بدون الخوف من سورتها  
كي يبقى هذا النخب مشرعا  
العزلة والصخور الخطرة والنجم  
او مهما يكن -  
مما يستحق اهتمام شراعنا الابيض .

\* \* \*

### تجدد ( Renouveau )

الربيع الشاحب قد اخفى بحزن  
الشتاء ، فصل اتفن الهادئ ، الشتاء الشفاف  
ومن خلال كينونني ، راقبت بدمي الكئيب  
حيث الضعف يتمطى بتأؤب طويل .  
شقق ابيض دائيء تحت جمجمتي  
المكبلة بقيد حديدي مثل قبر عتيق ،



وبحزن اتجول وراء حلم جميل غامض  
عبر حقول هائلة حيث النسغ يتباهى بذاته .  
ثم اسقط ، واعصابي تبلغ مداها مع رائحة الاشجار  
متعبا ، وافتح بوجهي قبراً لاهلامي ،  
اغض بناجذي الارض حيث ينمو الليلك ،  
وانتظر ، وقد قيدت ، كي يظهر سنمي للعيان  
بينما يضحك الازرق الالزوردي فوق الحافة  
وتستيقظ طيور عديدة مزدهية ترفرف في الشمس .  
\* \* \*

لوعة ( Angoisse )

لست قادما هذا المساء لاغزو جسدك ، ايها الوحش  
حيث تنغمر فيه خطايا الناس ،  
ولا لاحفر في شعرك الملوث عاصفة حزن  
اضفيه على السام الذي لا شفاء منه  
الذي تحدثه قبلتي .

كل ما اطلبه من سريرك ، نوما خاليا من الاحلام  
يتارجح تحت ستائر الندم المنسية  
نوماً قد تتذوقه بعد كذبك الاسود ،  
انت يا من تعرف عن العدم اكثر مما يعرفه الموتى .  
لان الخطيئة ، وهي تلتهم نبلي الاصلي ،  
قد دفعتني كما فعلت بك بقممها ،  
بينما ما يزال نديك الحجري جانما  
بقلب لم ينهشه ناب اية جريمة .

إنني اهرب ، شاحب الوجه ، اشعث الشعر  
وقد احتواني كفني ، خشية  
الموت وأنا استلقي وحيدا .

\* \* \*

نسيم البحر ( Brise Marine )

إن الجسد لحزين ، وآسفا ، وقد قرأت كل الكتب .  
لكي اهرب ، اهرب بعيدا !  
اشعر وكان الطيور تملأ لكونها  
بين زبد مجهول والسماء !  
لا شيء - بلا حداثق قديمة تنعكس في العيون -  
سيكبح هذا القلب من ان يتلاشى في البحر .  
آه ، ايتها الليالي ! ولا انعكاس مصباحي  
فوق صفحة الورق الفارغة .  
يدافع عنها بياضها ذاته ،  
ولا الزوجة الشابة تطعم وليدها .

سوف اغادر ، ايتها الباهرة ذات الصواري المترنحة  
ارفعني مراساتك لتنتقلني نحو مناظر خيالية !

سام ، احزنته آمال قاسية  
ما يزال يؤمن بالدواع الاخير المنبعث عن المناديل الملوحة !  
وربما تكون الصواري داعية للعواصف ،  
بين تلك الحطام التي ضاعت ،  
بدون صوار ، بدون صوار او اراض خصبة ..  
ولكن ، آه ، يا قلبي ، فلتصغ لآغاني الحياة !

□ ستيفان ما لارميه □

### مروحة ( Eventail )

ورود متجمدة لكي تعيش  
كلها متشابهة ، سوف تقاطع عبير الازهار  
بكاس الزهرة ولغاقتها الخارجية  
عندما تصبح صفيحا .

ولكن ، اذا ما استطاعت ضربتي ان تحرر  
الباقة بوساطة صلدة عميقة  
هذه البرودة سوف تنصهر  
وتتحول الى ضحكة تفتح ازهار ثعلی .

ولكي تفتت السماء قطعا قطعا

عليك ان تشاهد ان مروحة جيدة  
لها نفع اكثر من نفع القارورة .  
ولا احد يقلقها بسدادة

بدون ان يفقد او ينتهك حرمة  
الرائحة التي تنبعث من ( ميري ) ( Méry )

\* \* \*

### مصلح الطريق ( Le Cantonnier )

إنك تسدي هذه الحجارة  
ولانني مغن جوال ،  
فانا ايضا

علي ان افتح مكعبا من الادمغة كل يوم .

\* \* \*

قبر ادجار بو ( Le Tombeau D'Edgar Poe )

كما كان في قرارة نفسه ، غيرته الابدية اخيرا  
والشاعر بسيف عار يوقف  
زمانه ، وقد خشي الا يعرف  
ان الموت هو المنتصر في ذلك الصوت الغريب !

وهم ، مثل هيدرا متعددة الرؤوس  
تستيقظ فجأة بازدياء لدى سماع الملاك القديم  
يهب معنى اكثر نقاء للكلمات القليلة ،  
يطنون بصوت عال عن السحر الذي ابتلع  
داخل الموجة الملونة اريج ما دامن اللون .  
الارض المعادية والفيوم ، يا حزن !  
إن لم تنقش نقشا ضئيل البروز معهم  
من اجل تزيين قبر بو المبهر للنظر ،

كتلة حجرية هادئة هنا وقد سقطت على الارض  
من كارثة مختبئة ،

ترك هذا الجرائيت يظهر على الاقل  
والى الابد حدوده لطيران الالحان المظلمة  
وقد تبشرت في المستقبل .

\* \* \*

□ ستيڤان ما لارميه □

قبر شارلز بودلييه (Le Tombeau De Charles Baudelaire)

المعبد المدفون ينشر بوساطة الفتحة المقبرية ،

الوحد الملوث والياقوت ،

وبشكل مقيت وثن الإله الزائف ،

والفكان ملتهبان مثل وعاء بري ،

او عندما يحرف الفاظ الحديث

الفتيلة الذابلة ، التي كما نعرف ،

تكتسح الاهانات التي قاسيناها طويلا ،

وبهلع تشعل عظيم العانة غير الخالد

الذي يتحرك بطيء أنه مثلما المصباح .

اية اوراق ، وقد جفت في متن بدون مساء ،

مقدمة كربة ، يمكنها ايضا ان تبارك ،

وقد جلست بنفسها عبثا على رخام بودلييه ،

غائبة ومر تجفة من الوشاح الذي يطوقها كحزام

وهي ، ظله الظليل ، كالسم الحارس ،

ينبغي دوما ان يستنشق

مع أننا نموت بسببه .

\*\*\*

L'Après - Midi D'un Faune  
Eclogue

كم أرغب في تخليد هذه الحوريات  
ضوؤها البراق جدا لحمها الوردي  
حتى انها تحوم في الهواء وقد نعمت  
بسبات ذي خصل .  
هل وقعت في هوى حلم ؟  
شكي ، كتلة من الليل القديم ،  
تنتهي بفرع رائع ، والذي  
يبقى كالغابات الحقيقية نفسها ،  
يثبت ، ويا للأسف ! انني  
الوحيد الذي عرضت نفسي  
كخطا مثالي للورود  
بدلا من الانتصار . دعنا نتفكر ...  
او اذا كانت المرأة التي تخبر عنها  
تمثل رغبة من رغبات حواسك الخرافية !  
إله القطعان ، وهم ينساب مثل نبع باله  
من العيون الزرقاء الباردة  
للاكثر طهرا :  
ولكن الاخرى كلها تنهدات ،  
هل تستطيع ان تقول بانها تتعارض مثل التسييم النهاري

وقد ازداد دفنا على جزتك الصوفية ؟  
كلا !

عبر الخدار الكسول الذي لا حراك فيه  
وقد خنق بالحرارة الصباح البارد  
إذا ما ناضل ،

هناك لا يدمم ماء ولا ينسكب  
من الفلوت الذي اعزف عليه فوق الأيكة  
وقد تزين بالنغم العذب :

والريح الوحيدة ، سريعة في خروجها من  
بين القصبتين ،

قبل ان تبشر الصوت في مطر مسفوع بالحرارة  
تلك الريح ، فوق الأفق بدون تجعدات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هي النفس الواضح الهادي والاصطناعي  
لوحى عائدا الى السماء .

آه ، ابتها الشيطان الصقيلية لبركة هادئة

نفوس فيها كبرياتي وخيالاتي ،

تنافس مع الشمس ،

صامتة تحت ازهار ذات ضوء متلاليء ،

فلتخبري :

« انني كنت اقطع القصب الفارغ وقد اخضعته الموهبة ، عندما

بتموج بياض حيواني حتى يرتاح فوق خضرة مذهبة بعيدة النور التي

تعرض كرمة عنبها الى الجبال .

□ شيفان ما لارميه □

وانه عند الافتتاحية البطيئة لهذه المزامير مجموعة البجع هذه ،  
كلا ! ،

مجموعات الحوريات التي تهرب أو تفوص ... »

بلا حراك ، كل شيء يشتعل في الساعة ذات السمرة المصفرة .  
بدون أن يبدي بأي فن تسربت معا هذه الاعداد الكبيرة من الترتيلات  
وقد رغب فيها ذاك الذي يبحث عن الطبيعة :

حينئذ ، سوف استيقظ لدى التوهج الأول ،

منتصبا ووحيدا ، تحت طوفان ضوء عتيق ،

زنايق ماء ! ولكم اهديتم للسداجة .

أيتها الحوريات ، دعونا نفتخر ببعض الذكريات المختلفة مرة أخرى :

« عيني ، تخترق دغل القصب تلمس كل عنق خالد

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يدفن لهيبه في الموج مع صرخة غضب

نحو سماء الغابة ،

وحنائم الشعر الفخم يختفي في الضوء والرعدة ،

آه ، أيتها الحجارة الثمينة !

إنني أحلق ، بينما عند أقدامي تتلاقى

( وقد أرقها الكسل لكونها ذاق طعم الثنائية )

فتيات نائمات وحيدات أزرعهن الخطيرة ،

أحملهن وأبعدهن بدون فصلهن ،

وأطير الى هذه الضفة ،

وقد كسبت عداوة الظل للعب ،



والورود تجفف كل عطر في الشمس ،  
حيث تشبه رياضتنا اليوم المنصرم .  
اعبدك ، يا غضب العذراء ،  
آه ، ايتها البهجة المتوحشة للحمل العاري المقدس  
ينزلق بعيدا كي يهرب من شفتي الملتهبة  
التي ، ترتجف كالبرق ، ترشف الرعب السري للجسد :  
فمن قدمي الجبان الى قلب الخائف ،  
وقد تخطت عنه البراءة ،  
وقد بللته الدموع المتوحشة او الإبرة الأقل حزنا .  
» وبعد فرحي لقهري هذه المخاوف الخادعة ،  
وجريمتي انني قسمت القللات المبشرة  
التي احتفظت بها الآلهة ممتزجة ،  
لأنني اخفيت سرا الضحك العاطفي  
تحت التمرجات السعيدة لفتاة واحدة  
( ماسكا بالصفيرة التي تظت بالسداجة  
ولم تحمر خجلا ، بمجرد اصبع  
حتى ان يياضها الريشي قد تشويه  
حرمة عاطفة اختها وهي تلتهب )  
ومن بين ذراعي ، وقد تلحلت بميتات غامضة ،  
وهذه الضحية غير الشاكرة تحرر نفسها ،  
بدون شفقة للدمعة التي ما زلت ثملا بها . «  
لايهم ! آخرون سيقودوني



□ ستيفان ما لارميه □

هيروديات ( Hérodiade )

الافتتاحية القديمة ( Ouverture Ancienne D'Hérodiade )  
لهيروديات

المربية ( تعويذة )

مقضي عليه ، وجناحه المخيف في دموع  
البركة الملقاة ، التي تعكس المخاوف ،  
ضارباً الفراغ القرمزي للذهب العاري ،  
فجر ، ريش طائر مبشر ،  
اختار برجنا القرباني والمدفني ،  
قبر " ثقيل هجره طائر جميل ،  
نزوة الفجر الوحيد بريش  
غامق اللون وفارغ ...

<http://Archivage.Sakhrat.com>

آه ! مقعد أراضٍ حزينة ونخرة !  
لا ارتطام للأمواج برفق بالصخور !  
الماء داكن اللون مذعن ،  
لم تعد تتردد عليه البجعة التي لا تنسى :  
يعكس الماء خراب الخريف  
ويضع مشعله عليه :

عن البجعة عندما ينغمر رأسها  
وسط القبر الشاحب أو الريش ،  
وقد احزنه الالامس النقي لنجم ما ،  
ولكن بشكل أبكر ولم يتلألا أبدا .  
جريمة ! محرقة جثة ! فجر قديم ! عذاب !  
أرجوان سماوي ! بركة ، شريك للأرجوان !

وفوق الوان الورود ، مفتوحة على مصراعها هذه النافذة الشعرية  
( الشبيكة ) .

الغرفة الغريبة ذات المشهد المعد  
فخمة لعصر يشب الحرب ،  
شكل ذهبي باهت ، كانت فيما مضى  
بلون الثلج لصفتها المتيقة ،  
ونسيجها المزدان بالصور ، وزجاجها اللؤلؤي كالصدف ،  
بطيات لانفع منها مع الاعين المدفونة  
للعرفات يعرضن اظافرهن القديمة للمجوس .  
إحتاهن ، بماضي الأغصان فوق نوبي  
وقد ابيض بالفاج نحو السماء  
المزدانة بالطيور وسط الفضة المنظفة ،  
تبدو وكأنها تهرب كشبح ذي صورة زائفة ،  
رائحة ، آه أيتها الورود ، تحمل من السرير الفارغ  
أخفته شمعة مطفاة ، رائحة ذهب بارد  
يتلكا فوق كأس النور المعطر ،  
باقة زهر حائثة بقسمها للقمر  
( واحدة ما تزال تلقي بتوبيجاتها على الشمع الميت ) ،  
حيث اسفها وسيقاتها تتبلل بزجاج مفرد  
مع بريق باعث على الوهن والتراخي .  
فجر يجرُ أجنته في الدموع !

\* \* \*

□ ستيغان ما لارميه □

( Un coup de Dés )

رمية زهر

( Préface )

مقدمة

أبدأ

حتى عندما يلتقى بطروف خالدة

من اعماق حطام سفينة

فيما إذا

ازدادت

الهوة أيضاً

بهوجة متوانية

وعنيفة تحت مقدم

صعوبة هزيمة طيراتها

وتغطي النفاذ

المدفونة في العمق

بهذا الوشاح البديل

الى المركب الرئيسي

متكناً على جانب او الجانب الآخر

ميتل يرفرف يباس

باجنحة خاصة به

وقد تراجع بالندفاعات يقطع القفزات

يستأنف بعيداً جداً

داخل الرجفة المعتادة

عمقها فاغر الغم

كثيراً بقدر بدن السفينة

□ ستيفان ما لارميه □

ربان السفينة  
خارج حسابات عتيقة  
تنسى فيها المهارة  
احتراق عند قدميه  
لأفق الجماعي  
حيث هناك مصر  
والرياح مهددة  
الرقم الوحيد الذي يقسم  
ويتابع بكبرياء  
يتردد  
جثة بقيت منفصلة بلعب جنوني  
الشريك باسم الأمواج  
واحد  
يفزو الإنسان بدمع سفينة  
عبثاً الى لا مكان  
مثقلاً بالعمر  
وقد نهض  
متدخلاً  
أمسك بالقيدوم مرة  
موشوم ومختلط مع القبضة  
التي ربما تمسك به  
لا يمكن ان تكون أخرى

احترس ان تلقي به  
داخل العاصفة  
وتعيد طية النراع  
من السر الذي تمسك به  
اكثر من راس اشتعل فيه الشيب  
يتسلل داخل اللحية الخاضعة  
يوجه حطام السفينة  
كملاقة قديمة الا يفتح اليد  
المطبقة وراء الراس  
الذي لا فائدة منه  
وحش ممعن في القدم  
قد استمال من بلاد خالية  
ظله الطفولي  
ربت ولت وصير  
وضاعت العظام بين الالواح الخشبية  
وقد ولد من العريدة  
البحر يحاول فرصة  
خطبة زواج  
قناع اوهاهما يتدفع قدماً ثانية  
من الارض الداخلة في البحر

\* \* \*

---

# الامبراطور شاكا العظيم

(ملحمة من الزولو)

شعر: مازيببي كوينيني  
ترجمة: ممدوح عدوان

---

كتب الشاعر مازيسي كوينيني هذه الملحمة بلغة الزولو . ثم قام ، هو نفسه ، بترجمتها إلى الانكليزية .

الملحمة من القائد العظيم شاكا الذي له في نفوس الافارقة ما لقيصر في نفوس الاوربيين من مكانة . وقد جمع كوينيني مادة الملحمة من التراث الشفوي لشعب الزولو ولم يستطع في البداية طباعتها باللغة الاصلية فطبع النسخة الانكليزية اولا . وبالتالي فنحن نقرأ ملحمة الشعب قبل ان يتمكن الشعب نفسه من قراءتها بسبب الاحتلال والتمييز العنصري .

## الكتاب الاول

### النبوة

يقدم هذا الكتاب ظروف ولادة شاكا . ويتحدث باختصار عن الاسلاف الذين تشكل مآثرهم التاريخ المجيد الذي يلهمه فيما بعد لبناء الامبراطورية الزولية . وقد انتقى سلفه الشجاع الرائع جاما كشخصية محورية تفقد حلم البطل العظيم الذي سيولد . وتواجه هذه الرؤيا عقبات



## □ الإميراطور شاكَا العظيم □

في أيام الملك المستهتر سينزانفاخونا . فهو لا يرى هذه الفكرة بغيضة وحسب بل انه يحاول ماديا أن يقضي على الطفل شاكَا . وهو فظ بشكل خاص مع زوجته الاميرة الابية ناندي التي تنتمي الى عشيرة لانجيني . غير ان الصوت المتنبيء يلح . وتكشف رمزية الحلم الحوادث التاريخية وبالتدريج يتحول الخيال الى واقع . ولم يعد الحالم الثاني نبيا يتصور احداثا بعيدة بل صار شارحا لواقع آني . واعادة صياغة الحالم في هذا الجزء مفصلة للتاكيد على هذه النقطة .



ايتها الترنيمة العظيمة ، حطمي بقوتك حدود آفاقنا  
وعبئي مدى الارض الشاسع بأغانيك الخرافية !  
ثم قللي : ان للشعب قوة ، والشعب يمزق حجب الليل  
وباقدامه يخط على الارض حياة جديدة .  
الكل يهتفون ! لقد وصل المعبودون  
ووراءهم الاسلاف

يهمسون : « مهرجان عظيم سيكرر مرة بعد اخرى ! »  
جيل بعد جيل يأتي الى هنا ليلعب .  
ها هم : اجدادنا الاولون . انهم يبرزون من الضباب .  
يعبرون الارض الى لا مكان ،  
وهم ينادون الاسم الذي يثير مقدسي للمهرجان .  
والكل يحيون انهار الاصيل المرتعشة !



بعد ان غطي الليل الارض  
ايقظنا من كابوس النسيان  
لكي نحكي حكاياتنا .

□ الإمبراطور شاكيا العظيم □

سترونهم ، اجدادنا في القى القمر .  
سترون مواكبهم العظيمة وهي تدخل الجبال !  
وخالدة تتصاعد ترنيمااتهم .  
كيف نستطيع ، عندها ، ان نصمت امام الشمس المشرقة ؟  
يا للعجب ! اننا نستطيع ان نغني اغاني اجدادنا المقدسة !  
بملاحمنا القديمة تجميلنا .  
الافاعي الفاحة تاتي وتعلق اقدامنا .  
ستستعاد كبرياؤنا من جديد ،  
وستجواب البراري باغانينا !  
سنتجه الى الشمال ، منبع حياتنا ،  
حيث مسقط رأس امتنا يتدلى مع الظلال الراجفة .  
من رحم ناندي تاتي لغة اسرارهم  
مرتعة على جبين ذلك الذي سيكون عظيما .  
لقد كان السبب نبوءات اجدادنا هذه ، اصفينا ؛  
فتحدثوا الى آذان الفيلة عن الايام القادمة .  
مثل مالانديلا ، ابن مدلاني من تكوزينكولو ؛  
مثل فونغا وماجيبا من المصور القديمة ،  
الذين كانوا يجلسون ليحلموا بتحقيق عظمتهم في عصرنا .  
كانت ذريتهم مصدر تفخيانهم .  
واقسموا : « ستظل سمعة جاما ملتزمة تحت الشمس »  
وتبأ العرافون بعظمة بيته ،  
وبكلمتهم الحاسمة قالوا ان امة من الحراب الحمراء ستولد .

\* \* \*

تكلمت العرافة في بيت جاما الملكي وقالت :  
« انظروا ! صراع الانهار المتدفقة القاسي ؛

فهو يتلع الآخر قرب المحيط

ويحول نفسه الى نهر جبار

لكي يدخل المحيط مزهوا

وهو يشير جبلا عاليا من الامواج .

حولوا اعينكم الى اضطراب الرياح

راقبوها وهي تجوب المنطقة الوسطى مثل اسد صياد

راقبوها وهي تقفز مثل الرؤوس الفاضبة للزوابع

الاشجار تقتلع من جذورها

وتلقى على التلال

لتعطي خصبا ابديا للارض الحمراء .

على هذه الارض سينمو نبات النار الفتى .

وحين يبلغ النضج ستأتي العاصف

لننتقي اسرار المتعة من تحت الاوراق »

هكذا تكلمت العرافة ملقية بنبوءاتها على الجلس

وتدخل جاما نفسه وقال : « يكفي يا كاهنتي !

لاتفلقينا باشيء لا نعرفها !

ما من حاكم يكون سعيد او هو مرهق بالكثير من الحقيقة

او وهو يسمع عن عصر اعظم من عصره »

لكن العرافة تابعت وكان شيئا لم يقل .

« ارى رؤيا لبيوت تلتهمها جبال من النيران

ذات يوم سينهض هؤلاء الناس الصغار

وسيفزون الأرض كلها من بوابة ( الميك )  
أرى حشودا من الأرواح السلفية تتبادل الكلمات عند الفجر .  
يهرأهم بالآخر وهم يحملون حرايا متلاممة  
وحين يصلون إلى الخرائب يبدأون بالتحدث إلى :  
( تحدثي عن هزيم التروس السوداء  
وأخبرهم عن الجهة التي جاءت منها )  
أربأ أبيض تحمله بعيدا طيور أبي منجل  
أنا تأخذه لتبني أعشاشها الصيفية  
ومن هنا سيولد الفتى الجميل . »  
ومرة أخرى حاول جاما أن يسكت كلمات الكاهنة المروعة  
قال أن عليها أن لا تنسى أولئك الذين يعيشون  
والذين يمتزون بأعجاد عصرهم  
والذين لا يعرفون إلا مشهد أنجازاتهم .  
وكانما قد حشها من جديد  
أقلت بنفسها إلى الأرض  
وهي تحتقر ، بضحكة ، أولئك الذين يسمعونها .  
أخبرتهم كيف كانوا يخضعون أنفسهم  
وهم يدعون المساواة مع الأفلاك الخالدة  
متجاهلين أشرأك أصلع الفناء .  
( الذين لا يعرفون نعومة الأرض تبتلمهم الأرض .  
ينخسف الوسط فيفرقهم في أبديتها .  
أما أولئك الذين يقاومون أو الذين يبحثون عن خلودهم  
فسيفنون تماما ! )

بعثرت الكاهنة كمشة من التراب وقالت  
« هي ذي صلاتكم !

وهاهم أولئك الذين كانوا يحتفلون في العصور القديمة !

نحن ، الذين هنا ، نمشي فوقهم

لقد عاشوا بحماقة مع رؤى أيامهم القادمة

لكن الحجر وحده يبقى ليحكى حكايتهم ؛

ان حارس الحياة ينتظر الى الابد لكي يفتح الجبل ! »

ولم تكد تنتهي حتى جمعت حوائجها

وتلاشت في ظلمة الجبال ،

مختفية مع ارواح الاسلاف

التي تظل تطلب من الرياح ان تقني اغنية جديدة .



وقف احدهم ليعلم طائفة العرافين كلها

راغباً في جعل صوته اقوى من صوت الملك .

كان هستيريا ، مثل كل من يتزلف للمديح

والذي تنحني حياته كلها للارضاء .

جاما ، نفسه ، اعترض عليه قائلا :

« لا ترفضوا كلمات العرافات رفضاً كاملاً

فكل حكم ، في النهاية ، يرسى اساس حكم آخر

من ماثرنا سيبيني اطفالنا نصبهم

اضافة الى ان اقوال السلف لم تات عبثاً

حتى لو صدرت عن شفاة الحمقى »

وفيما كان جاما يتكلم سمع الاصوات المبعثرة لتنبؤاتها :

□ الإمبراطور شاكا العظيم □

« الجيل القادم سوف يحكم الأرض »

وأثارت أصداء الريح عقله .

لأن من يأمل في ولاء تابعيه

عليه أن يكافح الكلمات الآتية من الجهات كلها

ويحاول إزالة الشكوك من تابعيه

زارعا كلمات حكمته في عقولهم

ليجعلهم يرون عظمتهم القادمة من خلال كلماته .

ليس من الحكمة ترك الرعايا

يتهامسون عن مثالب الحكم القائم .

ويجب أن تمنع أغنيات كهذه :

« العظيمة التي ستأتي كان يجب أن تكون لنا

كان يجب أن نولد بعد مئة عام . »

كان جاما يتعذب بهذه الأفكار كلها

وتحدث إلى المستشار الحكيم :

« ما رأيك في هذه الكلمات التي تدفننا أحياء ؟

إنها تحفر لنا قبرا عند أقدام الأزمنة القادمة . »

كان الحكيم صامتا يجني من أعماقه حكمة عقله

وأخيرا تكلم : « هكذا هي دورات الحياة -

الزمن يلقي ظلاله على الرمال

لا عصر ولا حكم يظل على ما هو عليه .

أحيانا ينمو عصر من حكاية بهجته ذاتها .

والأفانه لايقدم الا ذكرى تزيد خرابته .

محسود هو الجيل الذي يورث عظمته

وستقول الاجيال الاخرى عنه :

( بفضل اولئك الذين وضعوا الحجر على الصخرة

نرت اغاني الجبل المقدسة ) »

وفيما كان يتكلم كان جاما يهز براسه موافقا

على الرغم من انه لم يرحب بهذه الكلمات .

نظر بامعان الى ابنه ، سينزانفاخونا

وهو يتساءل ما اذا كانت هذه النبوءات ستقع على كاهله .

ثم لام نفسه لانه ، على الرغم من مهارات سينزانفاخونا ،

لم يكن مثل الجامحين الذين يشقون دروب الانسان .

راح يراقبه وهو يلتفت ليحقق الى ظله .

وتابعه وهو يتأمل جسده باعجاب

ويفكر : ليس المفضلون لدى الآلهة هكذا ابنا

ان الاسلاف حريصون ؛ يبدؤون مع الفجر

بالتلصص الى القلب

وعند المساء فقط يختارون .

عندها فقط يقررون : « لم يزل على الحماة ان يولدوا »

وحينما يتكلمون تتلاشى المبادئ والخيالات .

وتتغذى اصول ايمان الانسان على حكمتهم .

\* \* \*

سينزانفاخونا ، ابن جاما ، « حزمة الرماح القاسية »

التقى بالحسناء ، بالاميرة ناندي .

قال لنفسه : « سائير هذه المرأة بالفاضلين »

وتحدث عنها ، عن ناندي ، ابنة بهيهي .

حين كانت تمشي كانت تهز الأرض  
لقد كانت خوف الجبناء ،  
وعنها كان الشعراء الملكيون يفنون :  
« المرأة ذات اللسنة العديدة ،  
وريشة المراكز السامية في المجلس »  
لم تكن تخاف أحدا .  
كانت تقتحم مجالس الرجال وتقول متحدية :  
« أنا ابنة أمير عشيرة أباسيما لانجيني »  
ظن بعضهم أن لديها روحا ثائرة .  
وحتى في ذلك اليوم ترأف هذا العاشق المتعجرف  
كانت عيناها تلتهمان غضبا .  
بصقت على كلماته وعيناها تنالقان كبرياء .  
ولكن سينز انفاخونا ، أيضا ، تحلت بغضب :  
« لم يسبق أن ظلل الغريب بيت أبي » .  
وشق طريقه وسط جمع أصدقائه  
وهو يصرخ : « ابتعدوا ! دعوني أر هذه المرأة بصيني »  
ولكن ما أن اخترقهم  
حتى أوقفته القوة القاسية لابنة بهيبي .  
وارتمش جسده رغبة ، وتعلقت كلماته متكلية على شفثيه  
كان حضورها مثل لهيب النار المتأججة  
مثل اللهب الجائع الذي يلتهم الإلهة الأخرى  
وخفق قلبه مثل حلق صفع خالف .  
وبنعمومة ولطف كلمها : « أيتها المرأة العنيعة



أنا أمنك ، وأتبعك ، من التقدم  
دعيني أعر على صخرة كبيرة أضعها في الماء  
لامكنك من العبور بأمان إلى أراضي  
فلتسرعي ! ولتجبي كل عطايا قبيلتك  
وليكن جمالها مثل الطباء المنطلقة فجرا  
ومثل قطعان الوحوش النظامية التي تشرب من بركة إلى بركة .  
حين نشبع من طعام يديك  
سنضطجع لنحتفل على ظلال المساء الطويلة .  
امنحني هذا لبنتنا ، امنحني لعشائرك الفلكية ، لنا جميعا .  
وحين تسير الأجيال التالية في طريقنا  
فلتسر مع اصدااء حكاياتنا «  
حتى ناندي قالت لنفسها : « لقد التقيت الآن بقرين روحي »  
كلمات العشاق تخلق أوهاهما الخاصة بها  
وفي كل جيل تتالق طازجة  
وكان كلمات الحكماء وحدها هي التي ترسو في قلب الأرض  
وهي وحدها التي تغذي ، فعلا ، كل جيل  
تخلت ناندي عن تظاهرها وبدأت تضحك  
ظلت تضحك بصوت مرتفع حتى تلاشت أنجبال عن النظر  
وقالت لسينزانفاخونا : « لقد أفسدت ،  
كنت تصغي لأولئك الذين لا يعرفون إلا جانباً واحداً منك  
انهم لم يروا التنن الخبيء في عظامك »  
واحس الشاب من أرض الزولو أنه قد طعن  
لفحت حدة كلماتها عقله .

وحتى ناندي هيمن عليها الحزن .  
قالت تواسيه : « اعذرني ايها الغريب  
واغفر للساني اللاذع  
انني ارح به فيدمي قلبي للضحية »  
ومدت يدها اللطيفة وهي تتكلم  
وشردت بعينها الجميلتين .  
فالتقط سينزانفاخونا الرسائل الدافئة من رغبتها  
وشفيت جروحها  
وسقطا معا خلف الشجيرات النامية  
وتحابيا وكانهما يحتفلان بآخر يوم لهما على الارض  
وكانه ما من شيء سيعود لازعاجهما في نشوتهما  
وحتى اولئك الذين حرمتهم الحياة من متع كهذه  
فليساهموا الآن بفنى أخيلتهم .  
هناك حالات حب عديدة - بعضها كبير وبعضها صغير  
بعضها يجسد كمال الحياة وبعضها يلقي بذوره في الالم .  
ما اجمل منظر المشاق  
حين يكونون ما يزالون يفنون اغانيهم السحرية عن نومالومبو !  
هي ، الفاتنة الليلية ، تشد اطفالها بخيط مرئي  
وتقودهم بحكمتها الى حقول الخصب  
الا انها لا تظهر غبطتها الى الابد .  
وهكذا كان حين لعنت الصبايا سينزانفاخونا  
« لقد لوئت شرف قريتنا  
فاخرج اذن وهدى الغضب

الذي انزلته علينا انت وناندي  
لقد انتهكت عادات اجدادنا القديمة «  
هكذا آلت حالات الحب التي كانت ذات يوم حديث المهرجانات  
التي كانت اغانيها تغنى من قبل رجال ارض نفوني ونسائها  
لقد ابتلع سينزاناخونا ونيندا عشباً ساماً .  
صرخت النسوة كأن الجنون حل بقولهن .  
حملن الحراب لينحرن عجول جاما السوداء .  
وخرت الماشية على الارض وهي تخور خوارة رهيباً  
وامتلا الوادي كله بانينها .  
كانما سينزاناخونا بفعلته هذه  
قد استنزل غضب الآلهة .  
ان رابطة العائلات هي النبتة المقدسة للاجيال القادمة .  
ومنها تشق الاصوات الجميلة لارض  
راشقة اصداؤها عبر البوابات الالفية لايام المستقبل  
هذا هو القانون الذي دنسه سينزاناخونا  
وعنت النسوة ناندي قائلات : « لقد خنتنا ! »  
لعنها وادرن لها ظهورهن  
وتركتها في عارها .  
وجلست ناندي كئيبه بين الغرباء .  
وهكذا كانت بدايات مصير ناندي .  
في البدء اهينت ، ولكنها فيما بعد وقفت تتحدى الرياح  
وفي كل يوم كانت ناندي تنتظر سينزاناخونا  
كانت تأمل ان عودة شملهما ستشمل جبهما من جديد .

لعله يتذكر

لحظاتها المظيمة المليئة بالحب والأحلام .

ولكنها ظلت تنتظر عبثاً

في المختلى المعتم لقرى أبيه الملكية .

كانت الظلال تتماوج جيئةً وذهاباً في الضريح الذي أصبح الآن بيتها .

وهسهسات الأفاعي الرهيبة اتت تتماوج من حولها ،

كانت تحيط بأضلاعها ، وتكتم صوتها .

وبدأت تفقد عقلها وهي تهتف باسم حبيبها

كانت تنادي باسمه ولا يجيب .

وكانت الأصدااء وحدها تأتي متقافزة من المهاوي البعيدة .

وفي جنونها كانت تسمع خطى

كانها صادرة عن حشد عابر

أحياناً كانت تبدو مثل أصوات اليقة لأصدقاء .

وهكذا كان خيالها يخادعها .

مرت شهور عديدة من البؤس والانتظار

حتى سمعت أناس يوتون معنين موت شخص ما

أرهفت أذنيها مصغية ، فسمعتهم يهتفون باسم الملك جاما .

وراحوا يصرخون مرة بعد أخرى : « مات الملك ! مات الملك ! »

وأعلت الجبال الشاهقة أحزانهم الى السماء

وعبات الأفاق أناشيد العشائر والإقوام المتحدة

واهتزت المدن والقرى الفخمة من أصوات الحزن

وبدأت ناندي ، أميرة أبا سيما لانجيني ، تصرخ :

« فليختم مصري أخيراً بالدموع

- في الماضي البعيد كان يجب ان يتغذى على الامال الجديدة .  
ولكن حين يذوب يومي من ضباب الغد  
لن اكون وحيدة بعد ، بل ساكون مع حامي  
وله سانظم اغنية ، وسارقص له .  
اولئك الذين نبذوني كاعشاب الشتاء سيبتلعون كلماتهم  
وسيزحفون ، باسمه ، على بطونهم «  
هتفت بكلمات المرارة ضد اعدائها  
ولم يفهم مشيعو الملك تنبؤاتها  
وهي وحدها التي فهمت الفجر المعلق فوق الليل .



بسبب ناندي وصل اللانفا والزولو الى حافة الحرب  
ارسل اللانفا رسالا الى جاما ملك الزولو  
<http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com>  
ولكن هؤلاء الرسل عادوا يقولون :

- « لقد انكروا مسؤوليتهم عن الطفل  
وادعوا ان حملها لم يكن إلا مرضاً ناجماً عن حشرات مؤذية  
وهو مرض يصيب العقل بالجنون «  
هذه الإهانات هي التي جعلت ناندي تنكمش على نفسها بمرارة  
ولم تعد تهتم بالحزن الذي تسبب به موت الملك .  
لقد انسحق حبها له تحت عزلتها  
لانه يصعب ان تندب مع الآخرين وانت مثقل بحزنك .  
واقسمت ان تحكي لابنها هذه الامور الجارحة  
وكان لابد لرابطتهما ان تصبح خالدة بدموعهما .

وظلت ناندي تصرخ بكلماتها :  
« عقلي يلتهم الورقة المرة  
ولكنني ، غدا ، ساجلس الى جانب انحكam »  
وتجاهلوا مكتفين بالتعقيب :  
« كثيراً ماتولد العزلة خيالات كهذه  
فتمسك مع الجنون بالجذر العفوي لللسان »  
 واجتمع المجلس الكبير لعشيرة ( ابا سيما لاتجيني )  
لقد ولدت الاميرة ( ناندي ) صبياً  
ودون إبطاء ارسلوا رسولا الى ( سينزانفاخونا )  
ليقول له : « هذا هو ، اذن ، المرض الذي حاولتم نبذه »  
ومع هذه الكلمات الغاضبة ارسلوا ناندي وابنها الى ( سينزانفاخونا )  
وكان ( مولدي ) ، احدا افراد عشيرة الملك ،  
الذي اعترف بذنب العائلة حين رآهما .  
وهكذا بقيت ناندي في مكان ليس فيه حب ولا فرح .  
وكلما سمعت الحشود تحتفل في الأراضي الملكية  
تنطوي على نفسها وتنكمش في ظلمة بيتها .  
ومع رسلها ارسلت هذه الكلمات الى الملك :  
« حيّ الملك باسمي ، وقل له مازلت حية .  
وما ازال احتفظ بذكرات حبنا في بالي  
وقل له انه حين يحتفل بما يرضي قلبه  
فان عليه ان يتذكر انه ليس وحده الموجود على الأرض  
إننا ننتظر ولادة يوم افضل في ظل رحمته  
فنحن مانزال نحتفظ بذكرى ماكان جميلا .

و ذات يوم ستنجز الشمس وعدّها بالحرب الالامعة  
ومن المناطق كلها ستاكل النصال الأحياء  
وستكمل ايامنا باستعدادنا للمعركة «  
وارسلت هذه الكلمات اتي ( سينز انفاخونا )  
وهي تلومه على إهماله لابنه الجميل .  
وطالما ان في القلب حياة فانه يظل مفتوحا لسهام الحزن ،  
ويضم بين جوانحه تورمات الالم النابض .  
يتالم ليلا ويحسد من ينامون  
في اعشاش الاحلام السعيدة .

ذات ليلة اسرع ( سينز انفاخونا ) الى ( مخاباي ) ولية العهد  
وقال لها : « احملي ثلثة توفض الشفاء »  
وكلما حاولت ان اضيع نفسي في النوم  
اسمع صوت ( ناندي ) يخترق الظلمة .  
كانها قد سلطت علي سحراً «  
التفتت الاميرة العظيمة لتتطلع الى ( سينز انفاخونا )  
وحذقت إليه بعينين محقرتين كانما تتدين جيله الواهن  
الذي يلعب بانطين بينما المصائب تحل .  
واخيراً اجابت : « يا ابن ابي !  
العدة الملكية التي تراها معلقة على الجدار  
كانت ذات يوم تحمل من قبل اسلافك في العصور القديمة

✽ : الجزء الأول ، وسيلي الجزء الثاني في العدد القادم  
( التحرير )

---

## حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد المئاة

للكاتب النمساوي: هوغو فون هوفمانستال  
ترجمة: صلاح حاتم

---

كان ابن تاجر شاب على جانب كبير من الحسن وكان يقيم الاب والام ، وما بلغ الخامسة والعشرين حتى ملّ مجالس الأتس و حياة الضيافة. فأغلق معظم غرف داره وأخلى سبيل خدمه كلهم إلا أربعة أحب فيهم تعلقهم وطبعمهم . ولما لم يكن يهيمه اصدقائه في شيء ولم يأسره جمال ابة امرأة بحيث تصوّر الشيء مستحبا او حتى مطاقا ليكون ابدا في صحبتها فانه عاش حياة اقرب الى العزلة ناسبت اكثر مما ناسبت مزاجه وطبيعته . لكنه لم يكن إنطوائيا ينفر من الناس ابدا ، بل كان يطيب له ان يتنزه في الشوارع او الحدائق العامة ويراقب وجوه الناس ، كما انه لم يهمل العناية ببذنه ويديه الجميلتين وزينة داره ، بل إن جمال السجاد والنسيج والحرير وجمال الجدران المنحوتة والمبطنة بالخشب والشمعدانات والاحواض المعدنية والأواني الزجاجية والخزفية بدت له ذات معنى وشأن على نحو لم يخطر بباله قط . وانضح له شيئا فشيئا كيف كانت اشكال



## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

الوجود والوانه كلها تعيش في ادواته . ورأى في زخارفه المتشابهة صورة فاتنة لأعاجيب الدنيا المتشابهة . واهتدى الى اشكال الحيوانات والزهور وتحول الأزهار الى الحيوانات، الدلافين والاسود والزنابق والآلئ ونبات الاقنشا . واكتشف النزاع بين نقل الاعمدة ومقاومة الأرض الصلبة وتطلع المياه الى اعلى ثم الى اسفل . واكتشف غبطة الحركة وعظمة الهدوء والرقص والموت . واهتدى الى الوان الزهور والاوراق والوان جلود الحيوانات البرية ووجوه الشعوب والوان الاحجار الكريمة ولون البحر في هيجانه وتآلق هدوئه ، لابل إنل اكتشف القمر والنجوم والكرة .

الصوفية الفاضلة والحلقات الصوفية الفاضلة التي نمت عليها اجنحة السرافيم نموا شديدا . وانتشى طويلا بهذا الجمال العظيم ذي المعنى العميق الخاص به . وسارت أيامه كلها على نحو أجمل وأقل فراغا وسط هذه الأدوات التي لم تعد تمثل شيئا مثيرا أو مضميحا ، بل كانت إرنا كبيرا وعملا اليها للأجيال كلها .

على انه احس بعدمية هذه الاشياء كلها ، كما احس جمالها أيضا . ولم تفارقه فكرة الموت على المدى الطويل . وكثيرا ماداهمته وهو بين ناسم يضحكون ويصيحون ويصخبون ، تارة في الليل وتارة في اثناء تناول الطعام . ولما لم يكن فيه مرض فان الفكرة لم تكن رهيبة مخيفة ، بل كان فيها شيء مهيب مبهرج وكانت تآنيه بشكل زائد حين كان ينتشي بالتفكير بأفكار جميلة أو بحسن شبابه وعزلته . اذ كثيرا ما استمد ابن التاجر اعتدادا كبيرا من المرأة ومن أبيات الشعراء ومن ثروته وحكمته . ولم تكن تثقل على روحه الاقوال المأثورة الفاضلة . كان يقول : « قدامك تسيران بك الى حيث تموت » ، ورأى نفسه في حسن ، ملك ضلّ في اثناء الصيد وهو يواجه في غابة مجهولة تحت أشجار غريبة مصيرا عجيبا غريبا . وكان

يقول : « حين يكون البيت جاهزا يأتي الموت » ، ورأى الموت يصعد ببطء من فوق جسر القصر الذي تحمله أسود مجنحة ، جسر البيت الجاهز الذي امتلا بفنائم الحياة الرائعة .

وطنه انه كان يعيش وحيدا كل الوحدة ، لكنما خدمه الأربعة كانوا يحيطون به كالكلاب . ومع انه لم يكن يتحدث معهم اذ قليلا فانه أحسن على نحر ما أنهم كانوا يفكرون باستمرار بأن يقفوا على خدمته أحسن خدمة . وبدأ هو أيضا يفكر بهم بين الحين والحين

كانت مدبرة المنزل امرأة مسنة . وكانت ابنتها المتوفاة مرضعة لابن التاجر كما أن أبناءها الآخرين كلهم كانوا قد ماتوا . كانت جد هادئة . ومن وجهها الشاحب ويديها الناصبتين انبعث برودة السن . ولكنها كانت قريبة من نفسه لأنها كانت دائما في منزله ولأن ذكرى صوت أمه وطفولته التي أحباها في لهفة كانت ترافقها في حلها وترحالها . ويأذن منه كانت قد أحضرت الى البيت قريبة لها في الخامسة عشرة من عمرها . وكانت هذه شديدة الإنطواء على نفسها وكانت تقسو على نفسها وكان صعبا فهمها . وذات مرة القت بنفسها في فورة غضب مفاجئة غامضة من إحدى النوافذ في الغناء ، لكنها سقطت بجسدها الذي يشبه جسد طفل فوق تربة خديقة كانت مكومة بالمصادفة فلم ينكسر فيها الا الترقوة لأن حجرا كان مغروزا هناك في الأرض . وحين وضعها المراء في سريرها بعث ابن التاجر طبيبه إليها . وفي المساء جاء هو بنفسه إليها ليستفسر عن صحتها . وبقيت مقمضة العينين . ولأول مرة أنعم النظر فيها وعجب من وسامة وجهها الغربية المبكرة النضج . والثفتان وحدهما كانتا دقيقتين جدا وكان فيهما شيء قبيح رهيب . وفجأة فتحت عينيها ونظرت إليه نظرة باردة شريرة . واستدارت الى الحائط وهي تعض

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

على شفتيها من الفضب متغلبة على الالم بحيث إنها استلقت على الجانب المجروح . وفي طرفه عين تلون وجهها الباهت كالاموات بلون ابيض مائل الى الخضرة واغمي عليها وعادت الى وضعها السابق .

وحين استعادت صحتها لم يبادرها ابن التاجر بالكلام زمنا طويلا اذا التقاها . وسال المرأة المعجوز غير مرة ان كانت الفتاة تكره وجودها في داره ، لكن هذه نفت ذلك دائما وايدا . اما الخادم الوحيد الذي كان قرر ان يستبقه في داره فكان قد تعرف عليه لما تناول ذات مرة طعام العشاء في منزل مبعوث ملك الفرس في هذه المدينة . وآنذاك قام هذا على خدمته وابدى من الادب والحدر والعزلة الكبيرة والتواضع ما جعل ابن التاجر يسر بمراقبته اكثر من الانتباه والانصات الى احاديث الضيوف الآخرين . واغتبط كثيرا لما تقدم منه هذا الخادم في الشارع بعد اشهر كثيرة وحياه بنفس الرقانة العميقة التي عهدا فيه في ذلك المساء . ومن دون إلحاح عرض عليه خدماته . ومن فورة عرفة ابن التاجر من وجهه الكالح ذي اللون التوتي . وبسبب حسن ادبه قبله في خدمته علي الفور واخلى طرف خادمين شايعين كانا لا يزالان يعملان عنده ، ومن هنا لم يسمح لاحد آخر ان يقدم له الطعام الا لهذا الانسان الرزين الهادي المتواضع . وقلما كان هذا الانسان يغادر المنزل في المساء رغم السماح له بذلك . فلقد اظهر تعلقا نادرا بسيده الذي كان يلبي له رغباته ويحذر بصمت ما يجب وما يكره بحيث إن ابن التاجر هذا صار يكن له ايضا مودة صارت تكبر مع الايام .

ولئن سمح لهذا الخادم ان يقدم له الطعام فان صحاف الفاكسة والحلوى اعتادت ان تحملها خادمة تكبر الصغيرة بعامين او بثلاثة . وكانت هذه الفتاة من اولئك اللواتي اذا ماراهن المرء من بعد او يرفض في ضوء

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

المشاعل لم يعدن جميلات جدا لان الملامح تفقد عندئذ دقتها ونعومتها . ولما انه كان يراها كل يوم عن كثب فقد هزه جمال اجفانها وشفتيها الذي ليس كمثله جمال . اما جسدها الجميل فكانت له حركاته المتناقضة الكثيرة التي كانت في نظره اللغة الغامضة المألوفة لعالم مبهم عجيب .

واذا اشتد قيظ الصيف في المدينة وسبح الوجه الضعيف على طول المنازل وعقدت الريح في الشوارع الخالية سحاب غبار بيضاء نزع ابن التاجر مع خدمه الاربعة الى البيت الريفي الذي كان يملكه في الجبال في وادٍ ضيق تحيط به جبال سوداء حيث كان للاغنياء هناك بيوت ريفية كثيرة من هذا النوع . فمن كلا الجانبين كانت الشلالات تتساقط في الودية العميقة وترطب الجو . وكان القمر يتخذ مكانه دائما وراء الجبال تقريبا ، على أن سحاب بيضاء كبيرة كانت تتصاعد من وراء الجدران الصخرية السوداء وتصبح بمهابة فوق السماء الممتعة ثم تختفي في الطرف الآخر . وهنا عاش ابن التاجر المألوف من حياته في منزل كان يطوف بجدران الخشبية دائما عبر الحدائق الرطبة والنفحة الرطبة الالنية من الشلالات الكثيرة .

وفي العصر كان يجلس في حديقته الى أن كانت الشمس تغيب وراء الجبال ، وكان يقرأ أكثر ما يقرأ في كتاب اشتمل على حروب ملك عظيم من ملوك الماضي . وفي بعض الأحيان كان يضطر الى التوقف فجأة وسط وصف للآلاف من فرسان الملك المعادي وهم يلوون ، بين صراخ وصياح ، اعنة خيولهم او وسط وصف لعرباتهم الحربية وهي تهوي عند منحدر نهر ، إذ انه كان يحس من دون أن يرفع بصره أن أعين خدمه الاربعة مسلطة عليه وكان يعرف من دون أن يرفع رأسه انهم ينظرون اليه بصمت ، كل واحد منهم من غرفة غير غرفة الآخر . لقد عرفهم حق المعرفة .

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

واحس بهم يعيشون اشد واكثر الحاحا من احساسه بنفسه وهو يعيش . واحس بين الفينة والاخرى بتأثر خفيف او تعجب من نفسه ، لكنه احس بسبب هذا بانقباض غامض . واحس في وضوح كابوس كيف عاش كلا العجوزين حياتهما وجها لوجه مع الموت في كل ساعة وفي التغير المستمر البطيء للامحما وحركاتهما التي عرفها معرفة جيدة . واحس كيف عاشت الفتاتان بلا اكتراث الحياة الخالية القفر الخائقة ان صح التعبير . وكالرعب والمرارة القاتلة لحلم مربع بطواه النسيان عند الاستيقاظ احس بوطاة حياتهما التي لم تعرفا عنها اي شيء .

وكان عليه احيانا ان ينهض ويتجول لكي لا يكون في قبضة فزعه . وعلى حين كان ينظر الى الحصى الفاقع عند قدميه ويفكر بجهد كيف كان اريج القرنفل يتصاعد اليه من نفحة العشب والتراب الرطبة في انفاس صافية ويتخلله شذى التبات في سحاب منمشة مفرطة في الحلاوة احس باعينهم ولم يستطع ان يفكر بشيء . ومن دون ان يرفع الرأس عرف ان المرأة العجوز كانت تجلس عند نافذتها ويدها الشاحبتان على الافريز الذي غمرته الشمس بأشعتها ووجها الشاحب المنقع وطن يزداد هولا ، فيه العينان السوداوان الحائرتان اللتان لم تتمكنا من الموت . ومن دون ان يرفع الرأس احس بالخدام وهو يرتد لدقائق عن نافذته وينشغل بالخزانة . ومن دون ان يتطلع توقع في رعب مخيف اللحظة التي سيعود فيها الى مكانه . وعلى حين كان يرمي بكلتا يديه بغروع لينة وراء ظهره لكي ينزوي في أكثر اركان الحديقة تشابكا والتفاقا وافكاره كلها تلحف بطلب جمال السماء التي سقطت من عل قطع صغيرة من فيروز مبلبل من خلال الشبكة السوداء المكونة من الافنان والاعصان المتسلقة ، عندها

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

سيطر على قلبه وتفكيره شيء واحد وهو انه عرف ان امين الفتاتين كانت مركزة عليه وان في عيني الكبرى الخاملتين الحريتين مطلباً مزعجاً وفي عيني الصغرى كان انتباه واحتراس ازعجه اكثر من اي شيء آخر لما فيه من قلق وقروح صبر وسخرية واستهزاء . وفي أثناء ذلك لم يخطر بباله فقط انهما كانتا تنظران اليه مباشرة ، اليه هو وهو يتجول خافض الرأس ويركع عند قرنفلة لكي يربطها بلحاء او ينحني تحت الافنان ، بل خيل له انهما شاهدتا حياته كلها ونظر الى اعماق نفسه ورأى قصوره الانساني الفاض .

وتهلكه انقباض مخيف وخوف قاتل من الحياة التي لاسبيل الى الهرب منها . والشئ الأرهيب ممن كانوا يراقبونه باستمرار هو انهم اكرهوه على ان يفكر بنفسه على نحو عقيم ومرهق . حتى ان الحديقة كانت صغيرة جدا بحيث يهرب منهم . ولكن خوفه كان يتلاشى نهائيا اذا ما وجد نفسه على مقربة منهم بحيث انه كان ينسى الماضي تقريبا . ثم انه لم يكن في وسعه ان يراقبهم او ينظر مليا في حركاتهم التي كان الفها جيدا فاستشف منها اشفاقا على حياتهم او ينظر مليا في حركاتهم التي كان الفها جيدا فاستشف منها اشفاقا على حياتهم وعطفا مستمرا وجسديا عليها ان صح التعبير .

ولم تقابله الفتاة الصغيرة الا بين الغينة والاخرى على السلم او في الفناء . اما الثلاثة الآخرون فكانوا دائما الى جانبه في غرفة واحدة . وذات مرة لمح الكبرى في امرأة مائلة . فقد مرت من غرفة جانبية مرتفعة ، اما في المرأة فقد جاءت صوبه من تحت ، من العمق . سارت في تودة وباجهاد ، لكنها سارت منتصبه القامة . وحملت في كل ذراع إلهة

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

هندية نحيلة العود ثقيلة الوزن من البرونز الاسود . فكانت اقدام التمثالين المزخرفة في باطن اليد ، ومن الخصر الى الصدغ بلغ طول الإلهتين السوداوين اما الراسان الاذكتان بغم الثعابين الخبيث والاعين الثلاث الوحشية في الجبهة وبالزينة الرهيبة في الشعر القاني الاشيب فقد تحركا الى جانب اوجنتين التين انبعثت منهما القوة والحيوية ولانسا الصدغين الجميلين في ايقاع الخطوات البطيئة ، لكنه في الحقيقة لم يبد عليها انها كانت تنوء بحمل الإلهتين وانما كانت تنوء تحت وطأة جمال راسها هي المزين بثقل الحلي من الذهب الاسود الخالص وبضفيري حلوين كبيرتين مقوستين على جانبي الجبين الوضاء كملكة في الحرب . وتأثر بجمالها العظيم . لكنه في الوقت نفسه عرف بوضوح ان هذا لن يعني انه سيحتويها بين ذراعيه وعرف تمام المعرفة ان جمال خادمته قد اقم صدره بالشوق ، لكنه لم يغمه بالرغبة أو الشهوة فلم يركز نظراته عليها طويلا ، بل غادرت الغرفة الى الزقاق وتابعت سيرها بقلق عجيب بين البيوت والحدائق في ظل رقيق خفيف . واخيرا توجه الى شاطئ النهر حيث كان يقيم البستانيون وبائعو الزهور وبحث طويلا ، مع انه عرف انه يبحث من غير طائل ، عن زهرة شكلها وعطرها ، او ربما عن تابل يمكن ان تمنحه رائحته المتطايرة لحظة واحدة نفس الاغراء الحلو لتملك هادئ انطوى عليه جمال خادمته الذي لبلب افكاره واقلقه . وعلى حين كان ينعم النظر بلهفة وشوق في البيوت الزجاجية وينحني في المراء فوق احواض الزهر الممتدة التي حل الظلام فوقها فان عقله راح يردد عن غير قصد ورغم ارادته كلمات الشاعر : « في سوق القرنفل المتمايل وفي نفحة الحب الناضج تثيرين شوقي . ولكن لما وجدتكم لم تكوني تلك التي كنت بحثت عنها ، بل بنات روجي » .

- ٢ -

وفي تلك الايام جاءته رسالة اقلقته بعض الشيء . ولم تحمل الرسالة اي توقيع . وعلى نحو غامض اتهم كاتب الرسالة خادماً ابن التاجر بأنه ارتكب في بيت سيده السابق ، المبعوث الفارسي ، جرماً شنيعاً . وبدأ المجهول أنه يكن بغضاً شديداً للخادم وضمن الرسالة سيلاً من التهديدات . على أنه لم يكن في الامكان استشفاف نوعية الجرم الذي المحت اليه الرسالة ولا الغاية التي ابتغها كاتب الرسالة من رسالته هذه حيث انه لم يذكر اسمه ولم يطلب شيئاً . وقرأ ابن التاجر الرسالة مرات ومرات واعترف انه شعر بخوف شديد لدى التفكير بأنه سيفقد تابعه على نحو بشع مقبوت . وكلما انعم التفكير ازداد انفعاله واضطرابه وقل احتمالته للفكرة بأنه سيفقد احد هذه الكائنات التي نقأ وترعرع معها بالعادة وبواسطة قوى اخرى خفية .

ومشى جيئةً وذهاباً واهاجه الانفعال الساخط كثيراً بحيث انه رمى سترته وحزامه وداس عليهما بقدميه . وبدأ كان شخصاً ما قد اهان خاصة نفسه وهدهد و اراد اكراهه على ان يهرب من ذاته وينكر ما كان محبباً، الى نفسه .

اشفق على نفسه وشعر كما كان يشعر دائماً في مثل تلك اللحظات بأنه طفل . ورأى خدمه الاربعة وهم ينتزعون من داره انتزاعاً وخيل اليه كأن حياته افرغت من معناها كله بهدوء وصمت وكان كل الذكريات الخطوة المفعمة بالالام وكل توقعاته التي يغلب على بعضها الشعور وعلى بعضها الآخر الا شعور وكل ما هو عظيم ويجل عن الوصف قد طرح جانباً في مكان ما لكي لا يكثر له كحزمة من الطحالب والاعشاب البحرية ، وأدرك



## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

للمرة الاولى ما كان يشير فيه الفيظ والفضب وهو صبي ، ذلك الحب الملى بالخوف الذي كان يشد اياه الى ما كان قد اقتناه ، الى ثروات متجره المقنطر واطفال بحته وهمه الحسان القساء والى الفامض من ولیدرغباته المبهمة العميقة في حياته وأدرك ان الملك العظيم في الماضي كان لا محيد له عن الموت لو أن المرء كان سلبه بلاده التي كان قد اجتاحتها وأخضعها من البحر غربا الى البحر شرقا والتي حلم بأن يسيطر عليها وكانت ، مع هذا ، واسعة الأرجاء بحيث انه لم يسيطر عليها ولم يتلق اية جزية منها ما عدا الفكرة بأنه كان أخضعها وما من ملك آخر غيره كان ملكا عليها .

وعزم على ان يفعل كل شيء لكي يهدىء ذلك الشيء الذي افزعته فزعا شديدا . ومن دون ان يبوح للخادم بكلمة عن الرسالة سافر وحده الى المدينة حيث قرر ان يقصد قبل كل شيء الدار التي كان يسكنها مبعوث ملك الفرس ، اذ انه كان لديه الامل الفامض بأن يجد هناك ، بطريقة ما ، دليلا ومستندا . ولكنه حين وصل كان الوقت قد دخل في الاصيل وما من احد كان في الدار ، لا المبعوث ولا احد من مرافقيه الشباب ، الا الطاهي وكاتب صغير عجوز كانا يجلسان في المدخل في الظلمة الوانبة الرطبة . ولكنهما كانا في غاية من الفطاعة واعطيا اجوبة مقتضبة فطة فادار لهما ظهره بقلق وفروغ صبر وقرر ان يعود في اليوم التالي في ساعة انسب وافضل .

ولما كانت داره مغلقة ولم يكن قد ترك خدما في المدينة فقد كان عليه ان يفكر كغريب في البحث عن مأوى له يقضي فيه هذه الليلة . ومشى في الشوارع المعروفة مستطلعا مثله مثل اي غريب .

ووصل في نهاية المطاف الى شاطئ نهر صغير كانت مياهه على وشك الجفاف في مثل هذا الوقت من السنة . ومن هناك سار ، شارد الافكار ،

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

في شارع حقير كانت تسكنه الكثرات من البغايا اللواتي كن يمارسن البغاء والمهر علنا . ومن دون ان يلقي بالا الى طريقه انعطف الى اليمين ووصل الى زقاق مقفر ساكن سكoon الاموات انتهى بسلم مائل وعال تقريبا علو الابراج . وبقي واقفا على السلم ونظر وراه الى طريقه . واستطاع ان يرى على ارتفاع البيوت الصغيرة . وكانت هنا وهناك ستائر حمراء على النوافذ وزهور كريمة يغطيها الغبار . وكان مجرى النهر العريض الجاف يوحى بكآبة قاتلة . وتابع صعوده حتى وصل حيا لم يستطع ان يتذكر انه رآه من قبل . ومع هذا بدا له تقاطع طرق وضيفة سفلية كأنه يعرفه فجأة في الحلم . وواصل سيره حتى بلغ حانوت صائغ ، وكان حانوتا متواضعا جدا يليق بهذا القسم من المدينة وكانت واجهته مليئة بمثل تلك الحلبي النافهة التي يبتاعها المرء لدى المرتين ومتلقي المسروقات أما ابن التاجر الذي كان خبيرا ممتازا بالجواهر فقد صعب عليه ان يجد حجرا جميلا بعض الشيء بين هذه الحلبي

<http://Archiv>

وفجأة وقع نظره على حلبة قديمة الطرز مصنوعة من الذهب الدقيق ومرصعة بزرجد ذكرته بطريقة ما بالمرأة المعجوز . ويحتمل انه كان قد رأى عندها ذات مرة قطعة مماثلة تعود الى تلك الايام التي كانت هي فيها امرأة شابة . كما بدا له ايضا ان ذلك الحجر الباهت الذي كان يميل الى الكآبة مناسب على نحو غريب لسنها ومظهرها . وكان للاطر العتيق الطرز الكآبة نفسها . وعلى هذا دخل الحانوت الوضيع لبيتاع الحلبة . وشر الصائغ سرورا عظيما اذ رأى زبونا حسن الهندام يدخل حانوته فأراد ان يعرض له احجاره الاكثر نفاسة التي لم يضعها في واجهة الحانوت ومن باب المجاملة للرجل المعجوز تركه يعرض له الكثير ، لكنه لم يكن يرغب في ان يبتاع المزيد ولم تكن له في حياته ، حياة الانفراد والعزلة ،

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

معرفة أو خبرة في استعمال مثل هذه الهدايا . واخيرا فرغ صبره وحار في الوقت نفسه ، اذ انه اراد ان يتخلص ولكن على الا سيء الى الرجل العجوز . ورأى ان يتناع شيئا آخر غير ذات قيمة ثم يغادر الحانوت بعد ذلك . ونظر ، وهو شارد الفكر ، من فوق كتف الصائغ فرأى امرأة يد فضية صغيرة عوراء ثم طالعتنه من امرأة اخرى في داخل صورة الفتاة ذات الراسين الادكنين للالنتين المعدنيتين على كلا الجانبين . واحس احساسا سطحيا عابرا ان في ذلك الكثير من فتنتها وجاذبيتها لما حمل الكتفان والعنق في رشاقة طفل متواضعة جمال الرأس ، راس ملكة شابة . وعلى نحو سريع خاطف استحس ان يرى سلسلة ذهبية صغيرة ناعمة تطوق هذا العنق وتذكره تذكير طفل ويدرع ايضا . وطلب رؤية مثل هذه السلسلة . وفتح الرجل العجوز بابا ورجاه ان يدخل الى حجرة اخرى واطئة حيث عرضت حلي كثيرة في خزانات زجاجية وعلى رفوف وحوامل مكشوفة . وسرعان ما وجد هنا السلسلة التي أعجبته وطلب من الصائغ ان يخبره بسعر الحليتين كليهما . ورجاه الرجل العجوز ايضا ان يلقي نظرة على بعض السروج القديمة المذهشة المطعمة بالاحجار الكريمة غير النفيسة . لكنه اجاب انه ابن تاجر لم يتعامل قط بالخيل ، حتى انه لا يجيد ركوب الخيل ولا يستحسن لا السروج القديمة ولا الجديدة . ودفع له قطعة ذهبية وبعض النقود العضية لقاء ما ابتاعه وابدى شيئا من القلق ليفادر الحانوت . وبينما كان الرجل العجوز يفتش صامتا عن قطعة ورق حريرية جميلة ناعمة ليلف السلسلة وحلية الزبرجد ، كلا على حده ، صادف ان تقدم ابن التاجر من النافذة الوحيدة الواطئة المشبكة ونظر منها . ولمح حديقة خضراوات تابعة ، كما يبدو ، للبيت المجاور وقد تم الحفاظ على جمالها وشكل خلفيتها بستان زجاجيات وسور عال . ورغب من فوره في ان يرى هذين البيتين الزجاجيين . وسأل الصائغ هل

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

في امكانه أن يدلّه على الطريق . وناولّه الصائغ كلتا الصرتين وسار به عبر غرفة جانبية الى الفناء الذي كان يصله بالحديقة المجاورة باب صغير مزود بشعيرية . هنا توقف الصائغ عن السير وضرب بمطرقة حديدية على الشعيرية . ولما أن كل شيء في الحديقة بقي هادئا وما من احد في البيت المجاور حرك ساكنا فانه دعا ابن التاجر الى أن يتفقد البيتين الزجاجيين من غير حرج وان يتعلل به لو أزعجه احد ما فهو يعرف صاحب الحديقة جيدا . ثم فتح بسقاطة من خلال قضبان الشعيرية . وسار ابن التاجر من فوره على طول السور الى اقرب بيت زجاجي . دخل ووجد كثرة من الترجس والشقائق النادرة وأوراقا نادرة كل الندرة وغريبة عنه بحيث انه لم يستطع أن يشبع نظره منها طوال الوقت . واخيرا رفع نظره فرأى ان الشمس كانت قد غابت وراء البيوت من دون أن ينتبه الى ذلك . عندها لم يرغب في أن يبقى وقتا أطول من ذلك في حديقة غريبة غير محروسة واكتفى بأن يلقي نظرة من الخارج من خلال الواح زجاج بيت النباتات الثاني ثم يمضي في حال سبيله . وما مر بالجدران الزجاجية متمهلا منعما النظر حتى ذعر فجأة ذعرا شديدا وتراجع . اذ ان شخصا ما كان وجهه على الواح الزجاج وكان ينظر اليه . وبعد لحظة هدا روعه وعرف أن هذا كان طفلة صغيرة في الرابعة من عمرها على اكثر تقدير . وكان ثوبها الابيض ووجهها الشاحب مرصوصين على اللوح الزجاجي . ولكنه ما نظر عن كثب حتى ذعر مرة اخرى وقد تملكه احساس ممض بالخوف والفرع يخنقه شيئا فشيئا ويمتصر صدره في اعماقه ، اذ ان هذه الطفلة التي نظرت اليه نظرات هامدة غاضبة شريرة اشبهت على نحو غامض الفتاة ذات الخامسة عشرة التي عنده في الدار . كل شيء كان متشابهها . الحاجبان الابلجان والخبابتان المرتعشتان والشفتان الدقيقتان وكان للطفلة كتف أعلى من الاخرى كما هي الحال لدى الفتاة الاخرى .

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

كل شيء كان متشابها . على أن كل شيء في الطفلة عبر عما القى في روعه الهول والفرع . ولم يعرف مما خاف وفرع وفرعا شديدا . لكنه عرف انه لم يطبق صبرا على أن يلتفت ويعرف أن هذا الوجه خلفه كان يحرق من خلال الألواح الزجاجية . وفي خوفه غد الخطى نحو باب البيت الزجاجي لكي يدخل . كان الباب مغلقا وموصدا من الخارج . وانحنى في عجلة على المزلاج الذي كان واطئا جدا ودفعه بعنف شديد بحيث أنه جرح إحدى عقد خنصره واتجه مهرولا صوب الطفلة . ومشيت الطفلة صوبه . ومن دون أن تنبس ببنت شفة دفعت من ركبتيه بقوة جسدها وحاولت اخراجه بيديها الصغيرتين الضعيفتين ووجد مشقة في الا يدوسها لكن خوفه تضاعف في القرب منها وانحنى فوق وجه الطفلة الذي كان ممتقعا وارتعشت عيناها من الغضب والكراهية على حين التصقت اسنان الفك الاسفل الصغيرة بالشفة العليا في غضب رهيب . وتلاشى خوفه لحظة من الزمن لما لأطفالها بالمسح على شعرها الناعم القصير . على أنه تذكر في تلك اللحظة شعر الفتاة التي في داره وكان قد لمسها ذات مرة حين كانت لازمت فراشها بوجه شاحب شحوب الاموات وعينين مغلقتين . وعلى هذا سهرت قشعريرة في أوصاله فتراجعت بداه . كانت قد تراجعت عن رغبتها في دفعه الى الخارج وتراجعت بضع خطوات وسرحت ببصرها . وشق عليه تقريبا منظر وجه الطفلة الممتقع المفرع الذي امتلأ بالاحتقار والأزدراء . كان صدره مغمما بالخوف والفرع حتى أنه أحس بوخز في الصدين والطلق حين لامست يده شيئا باردا في الجيب . وكان هذا بضع نقود فضية . أخرجها وحنا على الطفلة وأعطائها النقود لأنه كان لها لماتها ورينيتها . وتناولتها الطفلة وألقت بها أمام قدميه فاخفت في شق في الأرضية الخشبية . ثم أدارت له ظهرها وانصرفت ببطء . وقبيرة من الزمن من دون حراك وخفق قلبه خفقانا شديدا من الخوف من أن تعود

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

مرة أخرى وتنظر اليه من الخارج من خلال الواح الزجاج . وكان في مكانه الانصراف في تلك اللحظة . لكنه آثر أن يترتب برهة حتى تكون الطفلة خرجت من الحديقة . وحل الظلام بعض الشيء في البيت الزجاجي وأخذت النباتات تتخذ اشكالا غريبة . وعن بعد برزت من الفسق على نحو مزعج فروع سوداء مهددة لامر ما ، ومن ورائها تالق بياض كما لو كانت الطفلة تقف هناك . وكان على لوح خشبي اصص فخارية فيها زهور مصنوعة من الشمع . ولكي يخفف من وطأة الزمن قليلا عد الزهور التي غايرت في جمودها الازهار الحية وكان لها شيء من الاقنعة ، اقنعة خبيثة ذات ثقب للعيون ملتصقة . ولما انتهى توجه الى الباب يريد الخروج . ولم يفتح الباب . فالطفلة كانت قد أوصدته من الخارج . واراد ان يصرخ ، لكنه خاف من صوته . وضرب بقضيبه على الواح الزجاج . وبقيت الحديقة والدار صامتتين صمت الاموات . الا وراءه فقد انزلق بين الشجيرات شيء ما مجددا خشخشة . وحديثه نفسه أن هذا كان صوت توقف عن الطرق وتفحص بعينين ثابتتين الخشخشة الغامضة للاشجار والفصون . ثم رأى في الجدار الخلفي الاغبش شيئا اشبه بمربع ذي الاوراق التي وصلتها هزات الريح الرطبة فسقطت ارضا . ومع هذا خطوط سوداء .

وزحف في ذلك الاتجاه غير مبال الآن انه كان يحطم الكثير من الاصص الفخارية وان الجدوع الرفيعة العالية وذؤابات الاشجار المروحية الورق كانت تتحطم فوقه ووراءه على نحو رهيب . وكان المربع ذو الخطوط السوداء جزءا من باب انفتح امام الضغط . ولفح الهواء الطلق وجهه وسمع وراءه الجدوع المكسرة والاوراق المهشمة تنهض مخشخشة خشخشة خافتة كما هي الحال بعد عاصفة .

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

ووقف في ممشى ضيق مسور . ورأى فوقه السماء الرحبة . ولم يكن ارتفاع السور على كلا الجانبين ليزيد على القامة . أما الممشى فقد كان مسورا على بعد خمس عشرة خطوة تقريبا . وفي حيرة من أمره خطا الى الامام . وهنا كان السور مثقوبا على الجهة اليمنى بمقدار عرض الرجل . ومن الفتحة امتد لوح خشبي في الهواء الى بسطة درج قبالة السور . ولكن هذا المنبسط كان مقلقا بشعيرة حديدية واطئة على الجهة الواقعة اليه وعلى كلا الجانبين الآخرين من الجهة الخلفية لمنازل عالية مسكونة . وهناك ، حيث استقر اللوح الخشبي على الحافة مثل جسر متحرك كان للشعيرة باب صغير .

وبلغ من شدة قلق ابن التاجر ليخرج من نطاق خوفه انه وضع من فوره رجله على اللوح الخشبي وخطا الخطوة الثانية مركزا انظاره على الناحية الاخرى وراح يقطع الى الجهة الثانية . ولكنه ، لسوء الحظ ، أدرك انه كان مقلقا فوق حفرة مسورة عميقة عمق طوابق كثيرة . وشعر بالخوف والاضطراب في باطن القدم وباطن الركبة وبالذوار في انحاء جسمه كله وباقتراب الموت . وجثا وأغمض عينيه . واذا ذاك اصطدمت يده اللتان كانتا تتلمسان الى الامام بقضبان الشبكة . وشد قبضته عليها . واستجابت له . وبصرير خافت قطع جسده كائفاس الموت انفتح حياله نحو الهاوية باب تعلق به . وفي الشعور بالكلال والقنوط احس مسبقا كيف تملصت القضبان الحديدية المساء من بين اصابعه التي بدت كأصابع طفل وهوى مرتطما على طول السور . على ان انفتاح الباب البطيء توقف قبل ان تغادر قدماء اللوح الخشبي . وبدفعة واحدة رمى بجسده المرتعش من خلال الفتحة الى الارض الصلبة . وصعب عليه ان يفرح . ومن دون أن يلتفت ، وباء حساس غامض اشبه بالكرة لتفاهة هذه الآلام دخل أحد البيوت وهبط سلمامهلا وخرج الى زقاق كريمة حقير . ولكنه كان حزينا جدا ومتعبا ، فلم يستطع ان يتذكر شيئا بداله

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

جديرا باي سرور . وعلى نحو غريب ضاع منه كل شيء . واحس بالفراغ والوحشة وهو يسير من زقاق الى زقاق . ومشى في اتجاه عرف منه انه سيعود به الى حيث كان يسكن اغنياء المدينة وسيكون في مكانه ان يجد مبيتا لقضاء هذه الليلة . اذ انه كان في رغبة زائدة الى سريره . وبشوق صبياني تذكر جمال سريره الواسع وخطرت بباله كذلك الاسرة التي كان الملك العظيم في الماضي قد نصبها له ولاصحابه حين تزوجوا ببنات الملوك التابعين ، فكان للملك العظيم سرير من ذهب وللآخرين اسرة من فضة تحملها ثيران مجنحة وحيوانات خرافية نصفها نصور ونصفها اسود . وفي اثناء ذلك كان قد بلغ البيوت الوضيعة التي كان يسكنها الجنود . ولم يمر ذلك انتباهها . فالى نافذة ذات قضبان جلس بضعة جنود بوجوه مصفرة وعيون حزينة وصاحوا به . عندها رفع راسه وتنفس الرائحة العفنة التي جاءت من الحجرة وكانت رائحة خانقة على شكل استثنائي . ولكنه لم يفهم قصدهم .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولما كانوا قد أزعجوه وهو سائر في طريقه سادرا مشيت الافكار فقد نظر الى داخل الساحة حين مر بالبوابة . كانت الساحة كبيرة جدا وكثيية . ولما ان الدنيا ادفشت فقد بدت ارحب واكثر كثابة . كما ان قلة من الناس كانوا هناك . اما البيوت التي احاطت بها فكانت واطنة وضيعة وذات لون اصفر كلون الطين . وهذا ما جعلها اكثر خواء ورحابة . وكان في احد المواضع عشرون حصانا تقريبا مربوطة في صف مستقيم الى اوتاد . وامام كل واحد منها جثا جندي في رداء من الخيش القذر وكان يغسل له الحافر . وعن بعد خرج من احدى البوابات آخرون كثيرون مثنى مثنى ببزات مماثلة من الجنسين ومشوا ببطء وتشاقل وحملوا اكياسا ثقيلة على الاكتاف . وحين دنوا منه رأى ان في الاكياس الفتوحة التي عتلوها خبزا . وراقبهم وهم يختفون شيئا فشيئا في مدخل ويواصلون



## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

مسيرهم كأنهم حملوا حملا مهلكا كريها ويحملون خبزهم في مثل هذه الأكياس مثلها مثل تلك التي اكتست بها كآبة أجسادهم .

ثم اتجه الى أولئك الذين جثوا امام خيولهم ليفسلوا حوافرها . كما ان هؤلاء شابهوا الذين كانوا عند النافذة والذين كانوا حملوا الخبز . لا بد انهم جاؤوا من القرى المجاورة . كما انهم لم يتبادلوا الكلام مع بعضهم . ولما كان صعبا عليهم ان يمسكوا بقائمة الحصان الامامية فان رؤوسهم تمايلت وارتفعت وجوههم المتعبة الشاحبة وانحنى كما لو كانت عرصة لريح قوية . وكانت رؤوس معظم الاحصنة كريهة وظهرت خبثا من خلال آذانها التي أمالتها الى الخلف ومن خلال الشفاة العلوية المرفوعة التي كشفت عن الانياب العلوية ، كما انه كان لها عيوب تقلب النظر ترسل اغلبها نظرات شريرة . وكان لها طبع غريب في دفع الهواء من مناخر مائلة دفعا يقيم عن قلق وفروع صبر واحتقار . وكان الحصان الاخير في الصف قويا بصورة خاصة وقبيحا . وحاول ان يعض الرجل من كتفه على حين انحنى هذا امامه يجفف له حوافره المفسولة .

كان للرجل وجنتان غائرتان وعينان مرهقتان تعبران تعبيرا حزينا حتى ان ابن التاجر غمرته شفقة عميقة اليمية . واراد ان يروح عن البائس التعيس لحظة من الزمن بهدية وبحث في جيبه عن نقود فضية . ولم يجد شيئا وتذكر انه كان احب ان يهب الطفلة في البيت الزجاجي آخر تقوده الفضية وكانت قد رمتها امام قدميه بنظرة ساخرة مأكرة . واراد ان يبحث عن قطعة ذهبية ، اذ انه كان قد دس في جيبه سبع او ثمانين قطع للسفرة .

وفي هذه اللحظة ادار الحصان راسه ونظر اليه باذنين مرفوعتين الى الوراء في مكر ودهاء وبعينين متحركتين بدنا اكثر خبثا ووحشية لان غرة سقطت فوق الراس القبيح حجبت العينين . ولدى المشهد الكريه خطر بباله في لمح البصر وجه انساني كان منسيا زمنا طويلا . ولو انه بذل

فصارى جهده لما استطاع ان يستعيد ملامح هذا الانسان بصورة دائمة . لكنها كانت الآن حاضرة . اما الذكرى التي برزت مع الوجه فلم تكن واضحة كل الوضوح . لكنه عرف انها تعود الى زمن طفولته قبل بلوغه الثانية عشرة حيث ارتبطت ذكراه بطريقة ما برائحة اللوز المقشر الحلو الدافئ .

وعرف ان هذا الوجه كان وجها مشوها لانسان قبيح فقير كان رآه ذات مرة في حانوت والده . وعرف ان هذا الوجه كان شوهه الخوف والفزع لان الناس توعدوه وهددوه لان قطعة ذهبية كبيرة كانت في حوزته ورفض ان يقول من أين كان قد حصل عليها .

وعلى حين اضمحل هذا الوجه من جديد فقد راحت اصبعه تبحث في ثنابا ثيابه . ولما أوقفته فكرة مفاجئة غامضة أخرج يده مترددا واسقط في اثناء هذا الطية الملفوفة في الورق الحريري والزبرجد تحت حوافر الحصان . وانجنى . فسدد اليه الحصان ضربة قوية بحافره أصابته في الخاصرة فوقع على ظهره . وتعالى أنينه وارتفعت ركبتاه وأخذ يضرب بعقبه على الارض . ونهض بعض الجنود ورفعوه من كتفيه وباطن ركبتيه . وأحس برائحة ثيابه ، الرائحة نفسها النتن البامشة على الحزن والياس التي كانت انبعثت قبل ذلك من الغرفة وجاءت الى الشارع . وأراد ان يتذكر اين كان تنفسها قبل ذلك بزمن طويل ، طويل جدا .

وفي اثناء ذلك فقد وعيه . وحملوه على سلم وطيء عبر ممشى طويل نصف معتم الى احدى الغرف ووضعوه على سرير حديدي واطيء . ثم فتشوا ثيابه وأخذوا منه السلسلة والقطع الذهبية السبع ثم ذهبوا أخيرا ليحضروا له أحد أطبائهم الجراحين رحمة ورافة بأنينه المستمر . فتح عينيه بعد حين وشعر بالامه المبرحة . والشئ الذي أخافه وأفرعه

## □ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

اكثر واكثر هو انه كان وحيدا في هذا المكان الموحش المهجور . وبصعوبة ومشقة ادار عينيه في المحجرين المولمين الى الجدار وراى على لوح خشبي ثلاثة ارغفة من ذلك الخبز الذي كانوا حملوه على الساحة .

وما من شيء كان في الغرفة الا اسرة وطبئة قاسية ورائحة حلفاء يابسة حشيت بها الاسرة ، ثم تلك الرائحة العفنة الكريهة التي تقبض الصدر . ولم يشغله برهة من الزمن الا الله والخوف الخائق من الموت هذا اذا قيس الالم بهذا الخوف كان فرجا . واستطاع أن ينسى هذا الخوف من الموت لحظة ويفكر كيف حدث هذا كله .

وهنا شعر بنوع آخر من الخوف ، خوف حاد اقل وطأة احسبه غير مره . اما الآن فقد احس به كأنه شيء ثم التفلب عليه . وكور قبضته ولعن خدمة الذين كانوا ساقوه الى الموت . أحدهم قاده الى المدينة ، والمرأة العجوز الى حانات الصائغ والفنأة الى الغرفة الخلفية والطفلة بواسطة شبيبها الخبيث الماكر الى البيت الزجاجي الذي رأى نفسه ابتداء من هنا يتعثر ويترنح فوق سلالم مخيفة وجسور حتى انتهى تحت حافر الحصان . ثم عاوده خوف شديد خانق . ثم انتحب مثل طفل ، لامن الالم ، بل من الاسى والبؤس . واصطكت أسنانه .

وبمرارة شديدة حلق في حياته الماضية وانكر كل شيء كان حبيبا الى نفسه وكره موته المبكر كرها شديدا بحيث انه كره حياته لأنها ساقته الى هذه النهاية . وهذا العنف الداخلي استهلك آخر مالهديه من قوة . واصابه دوار . وراح لحظة من الزمن في سبات مضطرب رديء . ثم افاق من نومه وأراد أن يصرخ لأنه كان لايزال وحيدا في الغرفة ، لكن صوته خانه . وأخيرا تقيا مرة ثم دما ومات مكشر الوجه . كانت الشفتان مهترئتين بحيث ان الأسنان واللثة كانت عارية واضفت عليه سيماء شريرة غريبة .



# هُوفمانستال و«ألف ليلة وليلة»

دراسة بقلم: صلاح حاتم

يمرّ نجاح «ألف ليلة وليلة» في الغرب إلى المستشرق الفرنسي انطوان جالان الذي بدأ ترجمة «الليالي» في سنة ١٧٠٤ وافرغ منها في سنة ١٧١٧ وأخرجها في اثني عشر مجلداً . ومع أن ترجمته كانت حرة وغير أمينّة للنص وغير كاملة فقد صارت أساساً لكثير من الترجمات الأوروبية الأخرى . وبناء على هذه الترجمات الأوروبية توصل أدباء الغرب إلى تقدير قيمة الليالي الأدبية ، بل أنهم ما كانوا يعالجونها على أنها عمل أجنبي ، بل وصل الأمر بهم إلى أنهم كانوا يعدونها عملاً من أعمال لغتهم التي اغتنى بها آدبهم وعمرت بها مكتباتهم ، والحق أن كتاب «ألف ليلة وليلة» يعد من الكتب الأكثر انتشاراً في العالم ، إذ يكاد لا يخلو بيت أو مكتبة من هذا العمل الأدبي الفريد .

وتعود شهرة حكايات شهرزاد العظيمة إلى أهميتها من حيث بناء الفكر وتنقيف الإنسان وتهذيب النفس البشرية ، وهذا ما جعلها ترقى إلى مصاف القوى التنقيفية الكبرى وتحتل منزلتها إلى جانب الإنجيل وهوميّد ودانتي وشكسبير (١) .

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

هذا وإن كتاب « الف ليلة وليلة » حكايات لاغنى للمكتبات الأوربية عنها ، وهي مصدر متعة لانهاية لها ، بل انها أجمل هدية قدمها الشرق الى العالم ، كما انها أغنى كتاب بالصور في العالم ، كما يقول الكاتب الروائي الكبير هيرمان هسه ( ١٨٧٧ - ١٩٦٢ ) (٢) .

ومن هنا كان اثر الكتاب في الادباء والكتاب والشعراء واسعا متشعبا فالحكايات لاتخاطب طاقة الانسان الفكرية وحدها ، بل تخاطب الانسان الكلي . اذ ان الخيال الذي يبتكر هذا الفن القصصي يشمل الانسان والعالم الانساني والكون كله ويواجهه بالروح والعقل وقوانين الحياة .

وشاعرنا هوغو فون هوفمانستال ، النمساوي الاصل ، ( ١٨٧٤ - ١٩٢٩ ) واحد من هؤلاء الشعراء والكتاب الكثر الذين لم يفهمهم انهم ادركوا أهمية هذه الحكايات العربية فحسب ، بل فتحوا نوافذ تفكيرهم لحكايات شهرزاد ليتلقوا شتى مؤثراتها الحية (٣) .

ان المقالة التي كتبها الشاعر النمساوي في سنة ١٩٠٧ بعنوان « الف ليلة وليلة » وقدم بها للترجمة الالمانية التي انجزها المستشرق الالمانسي إتوليتزمان (٤) لاتحدد علاقة الشاعر النمساوي الوثيقة بالليالي فحسب بل تقدم الدليل الحي على ما يكنه الغرب من تقدير كبير وتمجيد عال لهذا الكتاب الذي لم يلق في الشرق الا الازدراء ، وهذا ما أبعدته عن دائرة البحث في الشرق وحال دون معرفة القيمة الادبية لحكايات شهرزاد ، على حين يرى هوفمانستال في الحكايات كتابا أدبيا لاغنى عنه لكل قاري ، وتلك ظاهرة أساسية للأدب العالمي (٥) .

على ان السن التي تصلح للاستحواذ على حكايات شهرزاد ، وهذا يعني فهمها فهما صحيحا ، هي سن الرجولة ، سن التضج والوهي ، اذ انها ليست مغامرات وأحداثا فحسب ، بل « ان هنا عالما شعريا » ،

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

« انها قصيدة شارك في نظمها اكثر من شاعر ، لكنها تبدو وكأنها انبثقت من روح واحدة . انها كل واحد ، انها عالم ليس الا . » وفي هذا العالم « ألوان متعددة ومعنى عميق وخيال فياض وحكمة لازعة » وترتبط فيه « أجرا الروحانيات بأكمل الشهوانيات » . وتناثر حواسنا كلها من الأعلى الى الأدنى ، وكل ما فينا ينتعش هنا ويدعى الى الاستمتاع . انه كتاب « يجب أن يتمكن المرء من نسيانه نسيانا كليا لكي يعود الى قراءته بممتعة متجددة . » .

الحق ان الشاعر النمساوي ينظر الى الحكايات ، حكايات الماضي القديم واساطيره ، نظرة جديدة ، كما رأينا ذلك حين حللنا قصة « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة » التي كتبها في سنة ١٨٩٥ وذلك قبل ان يكتب مقالاته عن الف ليلة وليلة وعقد ونيف . ويستعين بهذه الحكايات لكي يفك رموزا دلت عليها ظواهر عصره . وعلى هذا كانت الحكايات مادة للاستعمال . فهي ليست بحكايات خيالية فحسب ، بل هي أيضا واقع له فعاليته المستمرة ، وليست هي استحضارا لعالم خيالي ، بل يتخذ بها موقفا من عصره ، كما سبق لنا في تحليلنا للقصة الأنفة الذكر (٤) .

هذا وان الشاعر الغربي لا يخفي تحفظه ازاء الترجمات الالمانية او غير الالمانية لالف ليلة وليلة ، اذ يقول في مقاله : « ان الشيء الذي سبق لنا ان شاهدناه كان تنقيحات وتعديلات وحكايات أعيد سردها . ومن ذا الذي يستطيع ان ينقح او يصوغ من جديد كلا شعريا من دون ان يحطم جماله وقوته في الصميم ؟ » .

والمحق ان الترجمات التي سبقت ترجمة إنوليمان كانت عديدة . فأحدث ترجمة المانية لليالي كانت ترجمة ماكس هينينغ التي ظهرت في

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ثمانية مجلدات واستغرقت أربع سنوات ( ١٨٩٦ - ١٩٠٠ ) . هذا وان هوستاف فايل ( Méil ) كان قد ترجمها في مجلدين ، وذلك بين سنة ١٨٢٧ و ١٨٤١ م .

ليس المهم اية ترجمة قرا الشاعر ، بل الاهم انه أدرك أن لهذه الترجمات نقائصها . وحين قرا الشاعر « الف ليلة وليلة » في ترجمتها الألمانية سجلت ذاكرته هذا العمل الادبي في انتقاء محدد ووجهات نظر محددة . وحين كتب قصة «حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة» وقصصا أخرى (١) تعود الى تلك الفترة عاد هوفمانستال الى مخزون ذاكرته وما فيه من شذرات وانطباعات ليضوغه في عملية خلق جديدة فكانت صياغة جديدة لعلم الف ليلة وليلة المتداخل المتشابك . وعلى هذا ستكون هذه القصة محور اهتمامنا ومطلقنا الى فهم العلاقة القائمة بين الشاعر النمساوي هوفمانستال والف ليلة وليلة ، وتبيان اهمية هذه العلاقة في عالم الشاعر الثري الذي يشمل القصة والمقالة . فالعلاقة ديناميكية قوامها الحوار وتحدد بالتملك والافتناء .

وتحكي حكاية هوفمانستال قصة ابن تاجر اغدقت عليه الحياة وافر نعمها : الشباب والجمال والغنى . ويموت ابواه ويتركان له ثروة طائلة . على ان ابن التاجر الشاب يسأم حياة الانس والمجتمع وهو بعد في الخامسة والعشرين . اذ لم يستهوه شيء الا جمال الاشياء والتأمل في الكون . وعلى هذا كرس نفسه لتأمل ادواته الثمينة ومنسوجاته التي جمعها في داره على حين كان ذهنه متفتحا للمعاني العميقة .

وكثيرا ما خطرت فكرة الموت بباله ، على انه لم يكن يرى فيها شيئا عنيفا ، وكلما فكر بموته استقطب تفكيره موت بهي سينجز حياته الجميلة على نحو جميل .

□ هوفاتستال و « الف ليلة وليكة » □

وكان الى جانبه في عزلته الفردية أربعة اشخاص يشاركونه حياته وهم خدمه : إمراة عجوز أرسمته بعد موت أولادها وكانت تذكره بأمه بعهد طفولته الحبيب ، وفتاة مراهقة منطوية على نفسها نافرة من سيدها متجنبة نظراته ، ووصيفة أخرى في السابعة أو الثانية عشرة على جانب كبير من الجمال . ومع ان فتنها اثار في ابن التاجر احساسا صوفيا بالجمال ، الا انها لم تشعل في جوانحه أية رغبة أو شهوة حسية ، ثم خادم رابع كان تعرف عليه في حفل عشاء ، في دار مبعوث ملك الفرس واقيل هذا الخادم آنذاك على خدمة ابن التاجر في كثير من الاهتمام والتواضع ، ولما ترك العمل في بيت المبعوث الفارسي استقبله ابن التاجر خادما في منزله . وكان هذا شديد التعلق بسيده وشديد الحرص على راحته .

وفي الصيف كان ابن التاجر ينزح الى الجبال الى مقره الصيفي برفقة خدمه ، على حين كان يجلس في حديقته الفتاة يطالع اسفار الحروب والغزوات .

وذاث يوم تأتبه رسالة من مجهول يتهم فيها خادمه الامين بجريمة بشعة كان قد ارتكبها في منزل سيده السابق ، وتحمل الرسالة سبلا من التهديدات ، حتى ان ابن التاجر نفسه لم يسلم من لهجة التهديد والوعيد . ويفضض اذ لا يريد أن يتخلى عن احد من خدمه الذين التحموا به وصاروا جزءا من كيانه بحكم العادة وبحكم قوى أخرى مجهولة . ويخفي أمر الرسالة عن خادمه ويقرر الذهاب الى المدينة لعله يجد هناك ما يلقي الضوء على القصة الغامضة المزعجة . وحين يصل لا يجد في دار المبعوث الفارسي من يستطيع أن يزوده بالمعلومات فيقرر أن يعود في وقت آخر .



□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ولما كانت داره في المدينة مغلقة والخدم في البيت الصيفي فقد راح يبحث في المدينة عن مكان يقضي فيه ليلته مثلما يفعل الغرباء في مدينة غريبة .

وتقوده قدماء الى حي فقير لم يستطع ان يتذكر انه طرقه من قبل . ويواصل السير حتى يجد نفسه امام حانوت صائغ متواضع ، وبلغت نظره في معروضات النافذة حلية قديمة تصلح هدية للمرأة العجوز ، ويدخل ابن التاجر يشتريها مع سلسلة ذهبية اخرى لوصيفته الحسنة التي تقدم له اطباق الفاكهة والحلوى . ومن النافذة يرى حديقة خلفية فيها بيتان لحفظ النباتات . ويرغب في رؤية المشتلين ويساعده الحانوتي في فتح الباب المفلق ثم يتركه يجول في الحديقة التي بدت كأنها مهجورة .

ويلوح له وجه طفلة في الرابعة تحملق فيه في غضب من وراء زجاج المشتل وتذكره سيماؤها بالفتاة الانطوائية المراهقة ، وتحاول الطفلة ان تمنع ابن التاجر من دخول المشتل ، ثم يرى وجهها حقدا دفينا موجها اليه ، ولكي يطرد الذعر من نفسه راح يتحسس شعرها ، على انها تنفر منه ، فيعمد الى ارضائها ببعض النقود الفضية ، لكن الفتاة ترمي بها ارضا وتنصرف من المشتل غاضبة وتفلق الباب عليه من الخارج .

وبعد لاي يخرج ابن التاجر من مخرج خلفي قاده الى زقاق ضيق حقير . ويجد نفسه تائها يضرب على غير هدى تدفعه رغبة في الراحة والنوم على سرير وثير في حي الاغنياء .

ويمر بشكنة عسكرية يفصل فيها الجنود حوافر الجياد بوجوه صفراء وعيون متعبة . ويرى في آخر صف الخيول حصانا بدا اكثر رعونة واشد رغبة في العدوان على حين استلقى من تحته جندي هزيل يجفف له

□ هوفمانستال و « ألف ليلة وليلة » □

خوافره على حين حاول الحصان أن يعضه من كتفه ، ويرق له قلب ابن التاجر ويرغب في أن يروح عنه بهدية ولو كانت نقودا ويتذكر انه ما زال لديه بعض القطع الذهبية .

ولما أراد أن يخرج احداها سقطت الحلية تحت حوافر الحصان الارعن . وحين ينحني ليلتقطها يسدد الحصان ضربة قوية تصيبه في مؤخرة ظهره وسقطه أرضا . ثم يتعالى صراخه وانينه . ويحمله الجنود الى احدى غرفهم المظلمة ويضعونه على سرير حديدي لا يصحبه الا الفزع من الموت . ويلعن خدمه الذين ساقوه الى هذا المصير ، كما يلعن حياته لانها انتهت هذه النهاية البشعة . ويريد أن يصرخ وهو في وحدته وانفراده ويخونه صوته ، واخيرا يتقيأ مرة ثم دما ويموت مكشرا الوجه وتتعري الاسنان واللثة وتضفي عليه سيماء شريرة غريبة .

ان اول ما يلفت انتباهنا في قصة الشاعر النمساوي هو عنوانها الذي يدل دلالة واضحة على ان هنالك صلة مباشرة بحكايات ألف ليلة وليلة . فالحكاية مرقمة كحكايات شهرزاد ، كما ان الثوب شرقي ، ومكان الحادثة يكاد أن يكون شرقي الطابع حيث انه كان يطيب للشاعر ، كما طاب لغيره ابدا ، ان يطوف بخياله في أرجاء الشرق .

وباديه ذي بدء يخيل الينا ان هنالك تقاربا او شيئا من التقارب في الشكل والمضمون بين قصتنا هذه وقصص شهرزاد ، اذ يتكلم الشاعر الغربي كما تكلم القاص الشرقي بلغة الرموز والاطفال . ومع هذا ، ورغم ان الشاعر تزييا بزي مطرئ بخيوط مشرقية ، بان شخصيته بما فيها من مقومات خاصة وما اشتملت عليه من خصائص ومشاكل لتفرض نفسها على مسار القصة وتحدد قالبها الفني من بدايتها الى نهايتها .

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ان الشيء المشترك بين ابن التاجر في قصتنا هذه وابناء التجار والامراء في حكايات الف ليلة وليلة هو لفني والشباب والجمال ورهافة الذوق ورقة المشاعر والاتصال بالحكام .

انها قصة قصيرة لا يجاوز طولها العشرين صفحة وتتألف من قسمين رقمهما الشاعر القاص ترقيا رومانيا ويختلف القسمان في الطول . فالقسم الاول اشبه بمقدمة تصور لنا المناخ العام الذي يضم ابن التاجر وخدمه الاربعة الذين تربطه بهم علاقة سرية عجز عن ان يفسر طبيعتها . بل ان القصة اشبه بلوحة فنية مؤلفة من منظرين متمايزين من بعضهما في الموضوع والالوان . فالصورة الاولى تمثله في منزله وحديقته وهي صورة مصفرة عن حياة النعيم ، حياة ملؤها الامن والاستقرار والحماية وتحف بها الطيوب ، فلا شيء قبيح يعكر صفوه ، لا هم ولا ألم ولا ذكرى ولا حاجة ، حتى فكرة الموت لم يكن يرى فيها شيئا عنيفا ، فابن التاجر يعيش في قناعة روحية لا يجمال احدا ولا يسيء الى احد . وتمثله الصورة الثانية في اللوحة الفنية وهو يغادر هذا العالم المألوف ويدخل عالما آخر يجهله كل الجهل ، ولا يدخله عن رغبة او ارادة ، وهذا العالم هو عالم القبح والعماء . والصورة هنا بالوانها وتقاطيعها صورة مصفرة عن الجحيم . ففي هذا العالم يفقد كل شيء معناه ، ولم يعد الانا الضمان الوحيد ، فحين يتجرد العالم من المرأة يصير فيه كل شيء هاوية وقاعا .

ان حديقة ابن التاجر الشاب صورة مناقضة لعالم الآخرين ، عالم الفقر والقبح والظلام ، وهي موجودة لكي ينسحب اليها ويلوذ بها من واقع غير متجانس ، كما ان الرسالة التي تحمل الاتهام الصريح لخدمه هي وسيلة فنية لا تحمله على السفر ولا تخرجه من حياة وادعة آمنة فحسب، بل تكسب القصة سمة الطرافة او الفجاءة ، لتقترب من حكايات الف ليلة وليلة .

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ان الدافع الى سفر ابن التاجر هو البحث عن معرفة موضوعية مطلقة ؛ اما في الف ليلة وليلة فكثيرا ما كانت حياة الاسفار مبعثا للغرر لابناء التجار وغيرهم .

ومع ان هؤلاء كانوا ينتقلون مثل ابن التاجر في قصة هوفمانستال من حالة اشبه بحالة البراءة والامن والاستقرار الى حالة اشبه بحالة الجهل والتشتت والضياح ، الا ان نهاية ابن التاجر هي الموت على حين تصور لنا حكايات شهرزاد ابطالها وقد فازوا بما خرجوا من اجله .

ان كل ما يمر به ابن التاجر ويصادفه في سفره القصيرة يشير الى النهاية التي آل اليها . ان مصيره ليرسم في صورة الابواب المغلقة بدءا من باب المبعوث الفارسي (\*) **إن بحثه** لن يتحول الى عمل ايجابي تكتمل به حياته ويتحقق به وجوده الانساني ، بل ان ما يتخلل هذا البحث من احداث واهور غريبة يعمل عمله في تمهيد النهاية المقدرة له وهي الموت تحت حوافر حصان ارعن في فناء لكتة عسكرية . وفي حجرة مظلمة خلت من كل شيء الا من الروائح الكريهة النتنه . فكل ما في القصة من بشر وحيوانات ونباتات واحجار وبيوت وحدائق وابواب يوحي بأن هنالك اتفاقا على ابن التاجر الشاب حيث ان كل شيء يتم على نحو بسيط وغير ملفت للنظر (٥) .

ويضل ابن التاجر سبيله وكان شيئا لم يكن ؛ ويقوم ضياعه في ان الاشياء من حوله لا تحرك ساكنا ولا تعره انتباها ، على غير ما نعرفه في حكايات الف ليلة وليلة ، اذ ان البطل يجد من ينتشله من محتته ويساعده في شدته ويرشده في لحظة ضياعه . وتتخلل فكرة التيه حكايات الف ليلة وليلة ، اذ يضل ابطالها سبلهم لامر مقدر .

ويرى ابن التاجر نفسه « في حسن ملك ضل اثناء الصيد وهو يواجه في غابة مجهولة تحت اشجار غريبة مصيرا عجيبا غريبا » (٦) ؛ وفي مقالة

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الف ليلة وليلة ، يتناول هوفمانستال فكرة التشبه هذه اذ يقول :  
« كم اشبهنا اولئك الامراء الذين تاهوا عن اوطانهم وابناء التجار الذين  
مات آباؤهم واستسلموا الاغراءات الحياة » (٧) . على ان كل ما يخطط  
له ابن التاجر او يتوقعه يتعارض مع الواقع الذي يواجهه في المدينة .

ان دكان الصانع محطة مهمة من المحطات التي يرسمها القدر لابن  
التاجر الذي لم يخطط لذلك ؛ وسنذكر هذه المحطة ابن التاجر بخدمة  
الذين تركهم وراءه ولن تكون له رجعة اليهم البتة . وهنا سيشتري الهدية  
التي ستكون سببا لموته .

والحق ان البحث عن هدية من طبيعة حكايات الف ليلة وليلة .  
على انه ليس للهدية التي ينتقيها الطابع السحري الذي تتصف به هدايا  
شهرزاد ؛ ويعتمد هو فمانستال هنا الى ابطال عنصر السحر بصيغته  
الشعبية القديمة ويستعير عنه شيء آخر هو الافتتان بحيث يكون للقصة  
مدلولها الواقعي وحضورها الادبي . على انه لا ينسى ان مثل هذه  
الاشياء يجب ان يكون لها قدمها ، فضلا عن ان وسائل الاقتناع عند التاجر  
الصانع تتميز بروح مشرقية .

هذا وان الشاعر النمساوي يلجأ الى توظيف عنصر الفضول ،  
كما هي الحال في الف ليلة وليلة ؛ اذ ان الفضول يدفع ابن التاجر الشاب  
الى دخول حديقة ليست بحديقته ، كما كان الفضول يقود ابطال شهرزاد  
الى عالم غريب عجيب . وفي الحديقة التي لم يفتح بابها بسهولة في وجه  
ابن التاجر يجتذبه بيتان زجاجيان ، احدهما مفتوح والآخر مغلق ؛ ففي  
الاول « كثرة من النرجس والشقائق النادرة واوراق طبيعية نادرة كل  
النردة وغريبة عنه . » (٨) وهنا يبرز التضاد بين عالم حديقته وهذا  
العالم الغريب . فالاوراق والنباتات العجيبة خاصة بهذا المكان الذي

ينتمي الى عالم الحكاية التي تصفه شهرزاد . ويجب ان يكون للعالم الجديد سحره الغريب لكي يجذب البطل اليه وينساق الى المصير الذي ينتظره .

لا شك ان عنصر الجذب والتشويق هنا اضعف مما هو عليه في الليالي . كما اننا نفتقد في قصة هوفمانستال الى مشهد الاستقبال او الترحيب الحار الذي تصوره لنا حكايات شهرزاد وذلك حين يدخل البطل مقصورة الحديقة او الفسطة او سرادق الخليفة ويفاجأ وكأنه على موعد مع المجتمعين .

ان الطفلة الصغيرة التي تعترض طريق ابن التاجر وتحاول طرده من المشتل لا تلبث ان تختفي بعد ان تؤدي دورها المتمثل في بليلة افكار ابن التاجر الشاب واشعاره بأنه غير مرغوب فيه بحيث يصب عليه فيما بعد، ان تميز الجهة او الطريق التي يسلكها .

ويعود اختفاؤها الى انها لا بد ان تكون روحا ينتمي الى عالم غير انساني او جنية ظهرت بمظهر الفتاة المراهقة اذ يجتمعهما شبه عجيب يصل الى حد الشبه في التشوه الذي منيت به الفتاتان وهو ان أحد الكتفين اعلى من الآخر . على انها جنية شريرة « نظرت اليه نظرات هامة غاضبة شريرة » ، وكل ما في الطفلة « عبر عما القى في روعة الهول والفرع » (٨) ، مثلها مثل الجنية في حكاية « علاء الدين ابي الشامات » التي تمثلت له بصورة زبيدة وتظاهرت بالموت وشقت القبر وخرجت منه » (٩) .

اما الثكنة العسكرية ، المحطة الاخيرة لابن التاجر ، فهي المكان الوحيد المنفتح وهو نقيض للحديقة ، حديقة منزله في الجبال (\*) . فبشاعة الرجال والخيول والرائحة الكريهة القابضة والاردية القدرة لا تشير فيه الا الشعور بالخوف من شر يترصد به . حتى ان الحصان

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

القبيح المنظر ليدكره بصورة انسان تعود بها ذاكرته الى زمن الطفولة .  
« كان وجهها مشوها لانسان قبيح مسكين كان رآه ذات مرة في حانوت والده » (١٠) .

وليس بمستبعد ان يكون هذا الحيوان القبيح جنيا ايضا ، حيث ان الجني يتخذ في الحكايات هيئة حيوانية وبشرية (١١) . ويقوم دور هذا الحيوان في تنفيذ حلم الموت في ابن التاجر ، مع ان ابن التاجر اخذ يموت موتا بطيئا قبل ان يغادر حديقته الغناء او جنة نعيمه ومنذ اللحظة التي داهمه فيها هاجس الموت .

والحق انه لا يخاف الموت الا لانه خشي الحياة ؛ كما انه لا يطمئن الى الموت لانه لم يعيش الحياة بحرارة وعمق كما يفعل ابطال شهرزاد ، اذ تربى ( الليالي ) ابطالها على الحياة وتصورهم شديدي الالتصاق بالحياة ، فلا يستغرقون في الاحلام وافكار الموت ، كما يفعل ابن التاجر الذي شغله عن الحياة تفكيره بالموت ، واستغراقه في التذكير والتوقع .

انه لم يعيش لانه لم يفهم ما يمكن ان تكون عليه الحياة الحقيقية ، انه يعيش حياة هي مرآة ذاته ، ولم يقبل على الحياة على انها شيء حقيقي يهمه ، كما سيدرك ذلك عند مواجهة الموت ؛ وعلى هذا كانت فكرة تنتابه على نحو شديد حين كان ينتشي بالتفكير بافكار جميلة او بحسن شبابه وعزلته (١٢) .

ان الموت في مفهوم الف ليلة وليلة ليس رفضا للحياة او تقيضا لها ، بل هو باطن فيها وملزم لها ؛ وعلى هذا يدرك ابطال الحكايات ان حب الحياة يجب ان ينطوي على حب الموت . وما غياب الخوف من الموت الا دليل على الاحساس النابع من التوكل على الله ، وان الرزق رزق الله . والامتكال على الله فكرة اخلاقية تتخلل الحكايات على حين يطرحها ابن التاجر من دون ان يلتزم بها عمليا .

ان عبارة « قدامك تسيران بك الى حيث ينبغي ان تموت (\*) » . مستوحاة من أبيات الف ليلة وليلة على حين تطرح الحكايات فكرة التسليم لله والايمان بالقضاء والقدر على انهما مرتكز قوي للبطل في حركانه وسكناته وهذا يعني القبول بما هو كائن موجود يخضع لمبدأ العدالة والكمال الربانيين . وهذا لا ينفي الجانب الايجابي الذي يعمل الى توكيد الفعل وتوكيد الحياة عن طريق الفعل والعمل ، اذ ان الحياة ، حياة الفرد، وقف على الاشياء وعلى الاحياء الاخرى التي تستطيع ان تحدد مصيره كما يحدد هو مصيرها . ولما ان كل شيء يرتبط بالآخر بنوع من السببية فانه يبطل التمييز بين المصادفة والحتمية . فالارتباط الدنيوي في الف ليلة وليلة امر مسلم به ، وليس نتيجة لعملية ادراك داخلية ، بل نتيجة للايمان بحتمية ربانية وايمان بالله عادل قدير . انه الايمان بالمصير المقدر له من إله عادل قدير . وهذا ما سماه الشاعر النساوي هوفمانستال بالازلي الذي يخلق بصفاء وحرية فوق آلاف المصائر المتشابكة (١٣) ؛ وعلى هذا يسلم بطل الف ليلة وليلة بقدره عن طيبة خاطر ويخضع له ويعرف ان الدنيا لا تثبت على حال واحدة وان الخطوط تنقلب . ولئن كان للقدر الدور الكبير اذ يجعل من المرء ادوات مسخرة لتقبل النتائج فان ابن التاجر في قصة هوفمانستال يلعن الظروف التي فعلت فعلها كمؤثرات خارجية قادته الى هذا المصير ، لكنه ينفي بذلك الشعور بتبعيته للمصير وتسليمه للرادة العليا التي تهيم على الاشياء ، ولما انه يلعن حياته ولا يبارك النهاية التي آل اليها فانه يرفض الحكم الذي نزل به ، مع ان ارتباط النهاية المؤلمة بالبداية العظيمة كارتباط النتيجة بالسبب والتوبة بالذنوب (١٤) . ان في لعنة الحياة تعبيرا عن انه لم يقر بالواقع ولم يقبل به . ان الكيفية التي مات بها ابن التاجر الشاب لتلقي ضوءا على طبيعة حياته .



## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

والموت هنا دور مزدوج : انه ينتقم للحياة التي اعرض عنها ابن التاجر اعراض المزدرى ، لذلك كان خوف ابن التاجر من الموت تعبيرا عن غياب المشاركة في الحياة ودليلا على فراغ هذه الحياة . وعلى هذا يقول هوفمانستال في هذا الصدد : « ليس على المرء ان يقف موقف المشاهد ، انه سيمرض مما لم يعشه » . فالحياة ليست تلك التي منحت للمرء ، بل ان الحياة هي التي يعيشها هذا المرء . كما ان الحياة لا تسمح بان تكون موضع سخرية ولا مبالة . فاذا نفدنا ها ارتدت علينا خصما لدودا والقت حبالها حول اعناقنا (١٥) .

هذا وان الحياة نسج من المسؤولية والذنب . فمن يحاول ان يتخلص من الحياة لكي لا يقع في الذنب توان عن الحياة من دون ان يتعد عن ارتكاب الذنب . فالمسألة هنا ليست مسألة القيام بعمل ينطوي على الشر ، بل هي مسألة وجود زائف وذنب ارتكبه ابن التاجر بحق نفسه وحياته . فتعريبه من الحياة يعني تهريبه عن إمكانية القيام بأي عمل يكون فيه اختبار للنفس بأنها أمانة بالسوء . فما هو في هذه الحال الا مأفوك أحق وضع نفسه خارج كل اغراء وكل مسؤولية وهذا يعني خارج الاخلاق .

ليس من شك ان ابن التاجر بريء ؛ على ان البراءة التي يتسم بها ليست ضمانا له من الخطر . بل انها الخطر نفسه (١٦) .

هذا وان للموت ايضا دور القاضي الذي يقضي في امر حياة ضائعة . والخوف من الموت صفة للانسان الذي لم يأخذ كفايته من الحياة ولم يدرك ان الوجود الانساني موجود من اجل الموت حيث ان هذه الحقيقة يجب ان تقوي تصميم الانسان على الحياة فيعيشها منعما « بغنائم الحياة الرائعة » كما يفعل ابطال الف ليلة وليلة الذين يفوزون باللذة ويعيشون

في هناء الى ان يأتي « هازم اللذات ومفرق الجماعات » . فمن اجل الحب والخير والاحسان لا يتركون فكرة الموت تسيطر على تفكيرهم ؛ انهم يؤمنون أن الموت بيد الله ، ولا بد انه آت بحسب الاجل المحدد . ويدرك هوفمانستال هذه الحقيقة ، وعلى هذا يكتب في يومياته : « حين اعتقد انني تعلمت ان احيا ساكون تعلمت ان اموت (١٧) » .

ان الموت في نظر هوفمانستال نهاية لكل الاكاذيب والنسبيات والادهام والاختايع . ويموت ابن التاجر ، على ان الوجه المشوه يحتفظ بذلك التعبير الغريب وتلك السيماء الغاضبة الشريرة ، ويكسو الوجه قناع مخيف ، وهذا يعني ان الموقف لم يتم عن وفاق مع الحياة والموت ، اذ ان ابن التاجر لم يكن ليتمنى هذا الموت . فما اوصله الى هنا ليس جسرا تحمله اسود مضجعة ، بل ممر ضيق فوق حفرة مسورة ، وبين قصر الموت بانه ليس الا حجرة مظلمة كريهة في ثكنة عسكرية تملؤها الروائح النتنة (١٨) .

لقد اراد الشاعر الغربي ان يكون لقصته هذه طابع الحكاية كان تقرا مثل اية حكاية اخرى ، فتمتع القاريء من جهة ، كما تفعل حكايات الف ليلة وليلة ، وتحادثه بلغة بعيدة عن التزييق والتنميق لتفتح عينيه على مالا يراه .

لقد افاد الشاعر النمساوي من حكايات شهرزاد في انها ، رغم جنوحها الى الخيال ، لا تفارق ارض الواقع ، ويرى ان « الحياة الشديدة الروعة تسود هذا الكتاب كليا » ، فضلا عن ذلك ففي عالم الف ليلة وليلة « ألوان متعددة ومعنى عميق وخيال فياض وحكمة لاذعة » .

ان لحكاية هوفمانستال معنى حسيا ، كما هي الحال في الف ليلة وليلة ، على ان وراء هذا المعنى الحسي معنى آخر رفيعا . ونحن نتراجع

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

بين هذا المعنى وذلك الى ان نصل الى ماهو سام ورفيع ، وعلى هذا فحكايات الف ليلة وليلة ليست للتسلية فحسب ، بل ان فيها معاني رمزية وترمي لغتها الى أن « تجعل الحي أكثر حسية والحيوي أكثر حيوية » ومن خلال مسامات اللغة الشعرية البسيطة نتنفس نسيم عالم قدسي تزدحم فيه العفاريات والجن والملائكة وتظهر فيه «حيوانات الغابة والصحراء وثورة مهيبة كالآباء الاولين والملوك .» (١٩) .

ومع ان هوفمانستال ، الفنان المرهف الحس ذا النزعة الجمالية، عاش في بداية حياته الادبية حياة الصالونات ترفا وفكرا ، الا انه خبر الطرد المفاجيء العنيف من هذه الحياة الجميلة الى عالم كرهه خائق ، اذ نجده بين خريف سنة ١٨٩٤ وصيف ١٨٩٦ جنديا تطوع بمحض ارادته في فرقة الخيالة في الارياف وهو ابن مدينة فيينا وشاعرها المدلل وسليل أسرة بورجوازية غنية وكان نجمه تالق في أوروبا وهو لم يجاوز الثامنة عشرة مثله مثل ابن التاجر غني وموهوب وصغير السن .

والقصة التي بين ايدينا تعود ، اذا ، الى سنة ١٨٩٥ ، وقد كتبها الشاعر وهو في الواحدة والعشرين . وتشكل تلك الفترة التي امضاها في الجندية الاختيارية عطفة مهمة في حياة الشاعر وفكره .

ويشير الى هذا التحول في احدى رسائله تاريخ ١٨٩٦/٥/٤ اذ يقول: « كل شيء قبيح وبائس وقذر : الناس والخيول والكلاب والاطفال ايضا . » (٢٠) .

وفي رسالة اخرى تاريخ ١٨٩٦/٥/٢ يكتب ايضا : « اني لاصح مفهومي عن الحياة ، مما هي الحياة في نظر معظم الناس انها أكثر كآبة وعتمة واحط مما يطيب للمرء ان يتصوره ، بل أكثر حقارة وضعة . » (٢١)

وفي القصة يعدل الشاعر من ملامح الجنود الذين لبسوا اردية الخيش القدرة ليقوموا بالعمل اليومي المألوف الذي يتمثل في تنظيف الاسطبلات وحس الخيول بالمحسسات وتنظيف حوافرها ، ويعرضهم امامنا وكأنهم جنود شرقيون بوجوه منغولية صفراء .

ويكتب في يومياته تاريخ ١٨٩٤ : « عمل كثير في الاسطبلات نهوض في الرابعة صباحا . الخيالة والخيول ينامون كالاموات على القش . » .

لقد خرج هوفمانستال بتجربة جديدة تتنافى مع الواقع الارستقراطي وارستقراطية الفكر . وادرك ان الحياة الجميلة تجرد الانسان من كل قوة وتضعفه امام الواقع ، وبذلك أدرك ضعف جيله وقصور الحياة الجميلة .

فالواقع لا يتكشف عن وجهه المخيف الا اذا ادار المرء له ظهره واختار ذلك النوع من الحياة الحلوة الناعمة المترفة ، كما هي الحال لدى ابن التاجر . وعلى هذا يصور لنا هوفمانستال خطورة هذا النوع من الحياة التي تتنكر للواقع وتتعالى عليه .

وابن التاجر شبيه بهوفمانستال الذي ينتمي الى الجيل الذي تربي تربية انحصرت اهتمامها في تقوية ميول الطفل الفنية اكثر من تشجيعها له على الانخراط في الحياة العملية والقيام بعمل او وظيفة.

وهو رمز للطبقة التي تكونت من النبلاء والبورجوازيين وانفصلت عن واقعها وانسحبت من الحياة العملية وغابت بوجودها في لجة المتعة الذاتية الجمالية . فطاقاته لم تعد مرتبطة بشيء خارجي ، بل توجهت الى الداخل ، الى اعماق النفس ، وهذا ما جعله يعمل مجالس الانس ويعيش في محراب الفن في دائرة تأملاته الصوفية .

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ان عالم ابن التاجر الشاب هو عالم الانانية ( النرجسية ) التي لا تفلح في اختراق جدر العزلة بحيث يصل الى الآخرين ، فهو لا يرى الا نفسه ، وعلى هذا فهو يعيش حياة هي مرآة ذاته . واذا ماتحطم جدار العزلة النرجسية البغيضة فانه في الوقت نفسه تخلص عن آخر امان له في عالمه الشعري الصوفي .

الحق ان خروجه من المنزل الريفي بعد مواجهة مباشرة مع الحياة وواقع الطبقة الفقيرة في الاحياء والازقة الحتمية البائسة . وما عالم الفقراء الا البيئة الغريبة التي يريد ان يهرب منها ويلجأ الى البيئة الجميلة التي هي عالم لاغنياء . انه يهرب ممن هم اقل حظا من غيرهم .

فبدلا من ان يوليهم اهتمامه يتصدق عليهم . وبالمال بالحب يحاول ان يحل الصعوبات التي يتعرض لها . انه يتصرف على هذا النحو طبقا لطريقة طبقية في التعامل مع الناس والحياة ، فبواسطة المال يحاول ابن التاجر ان يخلص روحه .

انه ليس من السهل ، بل انه لمحال على هوفمانستال ان يرى نفسه وحيدا منفردا ، ذلك لانه يرى ان لكل علاقة انسانية تربط انسانا بانسان معنى سريا . وعلى هذا يكتب في « رسائل عائد » :

« لا اريد ان اقوي في أعماقي ما يعزلني عن الناس . » ( ٢٢ ) .

والحق ان خدم ابن التاجر اكثر واقعية من سيدهم . فهم ينظرون اليه بصمت واسى . اذ ينتظرون منه ان يملأ عليهم حياتهم الفارغة بالحب والاهتمام . فهو ، من الناحية الاخلاقية ، قاصر وعاجز عن ان يتوصل اليهم ، وعلى هذا يبقى وحيدا وبعيدا عن كل واحد منهم بالدرجة نفسها والمسافة نفسها .

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ان محاولة الفتاة الكبرى لجذب انتباه ابن التاجر تفصح عنها لغة العيون فيتجلى في المطلب المزعج والرغبة في الحب . انه نداء المرأة للرجل الذي رفض ان يلبي هذا النداء لان « قصوره الانساني الغامض » حال بينه وبين تلبية تلك الرغبة ، « شيء واحد سيطر على قلبه وتفكيره وهو انه عرف ان امين الفتاتين كانت مركزة عليه ، وأن في عيني الكبرى الخاملتين الحزينتين مطلبا مزعجا وفي عيني الصغرى كان انتباه واحتراس ازعجه اكثر من اي شيء آخر ( . . . ) لما فيه من قلق وفروغ صبر وسخرية واستهزاء . » ( ٢٢ ) .

ان موقف الرفض الذي يتخذه ابن التاجر ازاء الفتاة الكبرى ليقابله موقف رفض من جانب الفتاة الصغرى التي تتصف نظراتها بالخبث والمكر والنفور والازدراء .

ان رفض ابن التاجر نابع من شعوره « بقصوره الانساني في الغامض وعدم احساسه باية عاطفة حسية تجاه المرأة . » ( \* ) حتى الجمال الذي له اثره في نفوس البشر في عالم الف ليلة وليلة لا ينقذ ابن التاجر ، على حين يعد الجمال سر وجود ابطال الف ليلة وليلة ، اذ تجعله الحكايات حتمية ضرورية ليكون البطل محبوبا .

فقمر الزمان ، مثلا ، « صار كل من رآه يفتتن به ويتقدم اليه ويوس يد ويسلم عليه وذلك لما اعطاه الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال . » ( ٢٤ ) .

الحق ان سر متعة الف ليلة وليلة ليقوم في معاتقة الروح للمادة وعدم الفصل بين الحسي والمعنوي ، « فما يجعل كل شيء متماسكا هو طبيعة حسية او شهوانية رفيعة كاملة لانظير لها » وهذه الشهوانية او الطبيعة الحسية الهائلة هي في نظر هوفمانستال عنصر ، مثلها مثل الضوء في لوحات

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الرسام الهولندي رامبرانت ( ١٦٠٦ - ١٦٦٩ ) او مثل اللون في لوحات الرسام الايطالي تيتسيان ( ١٤٧٧ - ١٥٧٦ ) (٢٥) . . . ولما أن هذه الحسية او الشهوانية اللامحدودة : « تضيء نفسها من الداخل بضوئها الخاص بها فان هذا الكل هو في الوقت نفسه مطرز بروحانية شعرية يلازمنا عندها اكثر انواع البهجة حيوية ونشاطا نصبح بها اقوى واعظم بدءا من اول انتباه وحتى الفهم الكامل . » (٢٦) .

والكثير من المواد يتناول ادنى جوانب الواقع واقصاها . « وهذا العالم الدنيوي لامثيل له ويتخلله انبساط لاحدود له ومرح طفولي جارف باقى يشبك كل شيء ويضم ويجمع كل شيء : الخليفة والصياد والجنى والبائعة المتجولة ، اجمل الجميلات والشحاذ الاحدب جسدا الى جسد وروحا الى روح . » (٢٧) .

وفي محاضرة القاها الشاعر في سنة ١٩٠٧ بعنوان « الشاعر وهذا العصر » يطرح السؤال عن موقع الشاعر ومهمته . فالعصر في تشوشه وتنوعه لم يعد يسمح للشاعر ان يواجهه في صورة اسطورية كبرى ، كان يواجهه في هيئة الكاهن او الرائي او النبي ، بل انه ينزله من برجه العاجي ويلقي به في معمعان الحياة ، في الاسواق والازقة ، لا يعرفه احد ولا يلتفت اليه احد ، يقيم في بيته ، بيت العصر ، تحت السلم حيث يرى ويسمع الجميل ، المرأة والطفل ، العبد والخادم . . وما عليه الا ان يجرب كل شيء يعاني كل شيء . فهو الرفيق المتخفي المجهول ، لا بل الاخ الهادي تكل الأشياء . » (٢٨) .

فلا اهمية للفن اذا لم ينبثق عن الواقع . . يقول هوفمانستال في مقالته عن الف ليلة وليلة مؤكدا هذه الحقيقة : « وما اهمية هذه الاشعار لو لم تنبثق من عالم دنيوي ؟ » الحق ان للفن استقلالية ، الا ان للواقع

□ هوفمانستال و « ألف ليلة وليلة » □

ايضا مطالبه وحقه . والمساله هنا هي مسالة وحدة كبرى يتبادل فيها الفن والحياة التأثير في عملية مثمرة . ولا يرى هوفمانستال في الفن ما يوجهه على الانفصال عن الحياة ، بل ان في امكانه ان يصبح طريقا للشاعر الفنان الى الحياة . كما ان الفن يكتسب قيمته الواقعية من خلال التأثير في الشيء الواقعي .

ان لآلف ليلة وليلة غرضا وجوديا يتجلى في مساعدة القارئ على الشعور بوجوده من جهة وعلى الاستمتاع بهذا الوجود من جهة اخرى . وبهذا يتحقق الشرط لعلاقة متبادلة بين الفن والمجتمع وبين الطبيعة والحضارة . ومن مزايا حكايات شهرزاد ان السمة الاخلاقية تبقى مستترة تحت لباس الحكاية ولا تفرض نفسها على انها مبدا .

وقد تعلم هوفمانستال كما تعلم غيره من ألف ليلة وليلة ان اساس الشيء الجمالي هو الاخلاق ، وبهذا يسلم بارتباط الفن بمقولات اخلاقية ، كما يسلم بتبعية الفن لهذه المقولات من اجل وحدة كبرى تجمع الفن والحياة في عملية خصبة . وما ألف ليلة وليلة الا كتاب ادبي يلزم الحياة ، كل الحياة ، فلا يتعالى على الحياة الوضعية ، حياة الفقر والقبح والظلام ، بل يتوجه اليها ، مثلما يتوجه الى حياة الامراء والملوك والاعنياء .

ولا يدعو شاعرنا هوفمانستال الى الانغماس المطلق في ملذات الحياة ولا العزوف المطلق عنها . انها فلسفة ألف ليلة وليلة التي يعبر عنها قول الوزير شماس للامير وردخان : « قد سمعت ما ذكرت من امر الدنيا والآخرة ، ولكنني رايتهما مسلطين على الانسان فلا بد من ارضائهما معا وهما مختلفان . » (٢٩) ان الرهبانية رفض للدنيا ، وبلغه الشاعر النمساوي تمثل الرهبانية ، رهبانية ابن التاجر الشاب ، الاتجاه الجمالي المطلق في الفن ، وقد استمد هذا الاتجاه موضوع الفصل بين الفن والحياة من



## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الرمزيين الفرنسيين ، وتبناه في ألمانيا الشاعر ستيفان جيورجه ( ١٨٦٨ - ١٩٣٣ ) الذي جمع حوله في التسمينات مجموعة من الأدباء الشباب وأسس لهم مجلة « صحائف الفن » فكرس هؤلاء أنفسهم للجمال وواجهوا الحاضر بالرفض الشديد وترفعوا عن الواقع وأدارو له ظهورهم .

وكان هوفمانستال التقى الشاعر جيورجه في سنة ١٨٩١ وانضم الى حلقة لان ما جلبه هذا الشاعر من باريس ، مدينة مالارمي ، من مباديء جمالية لقي القبول والاستحسان عند المريد هوفمانستال ، ابن السابعة عشرة . على انه انفصل عن حلقة جيورجه فيما بعد ، اي في سنة ١٩٠٥ ، لما تبين له ان الفن لم يعد الوسيط الى الحياة ، بل السبب في فقرها وانه مصيبة وبلاء ، بعد ان كان يهب الغناء والسلوان . ان احتكاك ابن التاجر الشاب بالعالم الخارجي يكاد ان يكون غشلا ، ان لم يكن معدوما ، ويتجلى هذا الاحتكاك السسيط في النزعات في الشوارع والحدائق العامة ومراقبة وجوه الناس ، على حين تفتقر الاشياء المحيطة به الى الحياة . فهو يكتفي بالنظر دون الفعل ، وكل شيء يتحول في نظره الى مشهد وينساب الى صورة والى موضوع للرؤية الجمالية تنعدم مشاركته فيه .

تينسيان يعلم تلامذته ان « يفهموا جمال الاشكال كلها » وينظروا الى حياتهم الخاصة نظر المشاهد « (٢٠) » . وما ابن التاجر الشاب في القصة التي هي موضوع دراستنا الا تلميذ تخرج في هذه المدرسة التي فاتها ان تدرك ان الفن « كذبة ممكنة » بالقياس الى حقيقة الحياة .

وما يدخل مدرسة الالم والاهوال حتى يرى نفسه انه ليس مهينا لواجه الحياة في شرورها وبؤسها وعتمتها . انه لم يتعلم في مدرسة الحياة الجميلة ان في هذا العالم إمكانيات لجحيم انساني لا بد ان يمر به الانسان

## □ هوفمانستال و « ألف ليلة وليلة » □

ويكون عرضة لنيرانه المحرقة وإن عليه ، في هذه الحال ، أن يتغلب على هذه الشرور ، ليس عن طريق طهارة الروح ومعرفة طبيعة الأشياء فحسب بل عن طريق الاستعداد لتقبل كل ما يصيبه في الحياة ، خيرا كان أم شرا ، وهذا يعني الاستعداد للتضحية بدافع الحب والإيمان ، كما يفعل أبطال ألف ليلة وليلة وهم يواجهون مثل هذا النوع من الحياة الجحيمية في أثناء أسفارهم .

إن ما يبعد ابن التاجر الشاب عن أبطال ألف ليلة وليلة هو ابتعاده عن الحياة التي لا تعرف الطهر ، وهذا يعني انسحابه من الحياة العملية التي يقتدي منها أبطال شهرزاد . وكما جعل غوته فاوست يؤكد أن سر الكون يكمن في العمل وأن لاهقيقة أقوى وأعمق من حقيقة العمل (٢١) ، يرى هوفمانستال أيضا أن العمل هو « الشيء الواقعي الوحيد الموجود في الدنيا » (٢٢) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتنتهي قصة هوفمانستال « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة » مثل هذه النهاية المؤلمة وهي أن حياة جميلة يطويها موت شنيع ، لا شيء ، إلا لأن صاحبها لم يدرك أن للحياة وجهين ، وجها مشرقا وآخر كالحا وأن كلا الجانبين متمم للآخر .

فمن أراد أن يخلد شاعرا فعليه أن يجد طريقا من الشعر إلى الحياة ومن أراد ألا يهلك في الحياة ، كما هلك ابن التاجر ، فعليه أن يجد طريقا من الحياة إلى الشعر . تلك هي الفكرة التي أراد أن يعبر عنها الشاعر هوفمانستال الذي تناول هنا موضوع الحياة في ثوب أسطوري ، لأنه يفهم وجوده من خلال الأسطورة أو الحكاية . ويشمل مفهوم الحياة ماهو أسطوري قديم وماهو عصري متقدم ، ومن هنا جاءت العلاقة الوثيقة بين

## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الفن والاسطورة . ومن هنا جاءت أيضا أهمية حكايات الف ليلة وليلة التي لم تفقد صلتها المباشرة لا بطفولة الفرد ولا بطفولة الانسانية جمعاء ، فهي تقرب الواقع الاسمي من النظر ، كما انها تثبت صدقها وحقيقتها أمام الواقع . فما فيها « شيء عظيم يدعو الى الرهبة ، شيء بسيط وشيء من الطبيعة المقدسة والاحوال الباهرة والطهارة الازلية . » (٣٢) .

ان سر متعة الف ليلة وليلة هي ان « الحياة الشديدة الروعة تسود هذا الكتاب كليا ، » بحيث إننا « ننتقل من ارفع العوالم الى ادناها ، من الخليفة الى الحلاق ومن صياد السمك البائس المعدم الى التاجر الامير . » (٣٤) تلك هي الحقيقة التي اراد هوفمانستال ان يؤكدنا حين عمد الى ثوب الحكاية في قصته « حكاية الليلة الثانية والستين بعد الستمائة » واراد ان يتخذ فيها موقفا من عصره الذي اثر فيه اصحاب النزعة الجمالية الحياة الجميلة فكان بها فقرهم وقصورهم انسانيان .

ولا غرابة . اذا ، ان يختم هوفمانستال مقالته عن « الف ليلة وليلة » بكلمات الشاعر الفرنسي ستانداي ذلك ان كتاب الف ليلة وليلة « يجب ان يتمكن المرء ابدا من نسيانه نسيانا كليا لكي يعود الى قراءته بمتعة متجددة . » .

وتعود هذه المتعة المتجددة الى تلك الطبيعة الانسانية التي تتخلل الحكايات ، انها انسانية « تحيط بنا وترفعنا وتحملنا على موجة خفيفة عريضة » (٣٥) . إننا لانحس بالطربة في وسط هذا العالم لاننا نجد فيه طريقنا الى انفسنا والى الآخرين ، وهذا يعني الى الحياة . فالفن يجب الا يفصلنا عن الحياة ، بل يجب ان يكون طريقا الى الحياة . وتأتي هذا لهوفمانستال ، اذ ان فنه قاده مباشرة الى الطريق الى الحياة .

□ هوفمانستال و « ألف ليلة وليلة » □

## ثبت المراجع

(١) مراجع باللاتينية :

1 — Richard Alewyn : über Hugo von Hofmannsthal. göttingen 1963.

(١) ريشارد اليفين : دراسات عن هوفمان فون هوفمانستال . غوتينغن ١٩٦٣ .

2 — Marcel Brion : Versuch einer Interpretation der Symbole im «märchen der 672. Nacht» von Hugo von Hofmannsthal- in : Deutsche Erzählungen von Wieland bis Kafka, Interpretationen Bd. 4, Frankfurt u. Hamburg 1966 , S. 384 — 302.

(٢) مارسيل بريون : محاولة لتحليل الرموز في « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة » في : قصص الماتية من فيلاند الى كافكا ، تحليلات المجلد الرابع ، فركنفورت وهامبورغ ١٩٦٦ ، ص. ٢٨٤ - ٣٠٢ .

3 — Hermann Broch : Hofmannsthal und seine Zeit, in : gesammelte Werke, B d. 6, Dichten und Erkennen. Essays Bd. 1 , zürich 1955.

(٣) هرمان بروخ : هوفمانستال وعصره ، في : مجموعة المؤلفات ، المجلد السادس ، الشعر والادراك . مقالات المجلد الاول ، زوريخ ١٩٥٥ .

4 — Hermann He sse : Eine Bibliothek der Weltliteratur, 1929.

(٤) هرمان هيسه : مكتبة الادب العالمي ، ١٩٢٩ .

5 — Johann Wolfgang von Goethe : West - östlicher Divan - Hamburger Ausgabe, Bd. 2 , Hamburg 1958.

(٥) يوهان فولفغانغ فون غوته : الديوان الشرقي الغربي ، طبعة هامبورغ ، المجلد الثاني ، هامبورغ ١٩٥٨ .

6 — Faust Hamburger Ausgabe , Bd. 3, Hamburg 1958

(٦) فاوست ، طبعة هامبورغ ، المجلد الثالث ، هامبورغ ١٩٥٨ .

7 — Hugo von Hofmansthal : Ausgewählte Werke in zwei Bänden, Frankfurt 1957.

□ هوفمانستال و « ألف ليلة وليلة » □

(٧) هوفو فون هوفمانستال : اعمال مختارة في مجلدين ، فرانكفورت ١٩٥٧ .  
8 — Briefe I ( 1890- 1901 ) , Berlin 1935.

(٨) رسائل من ١٨٩٠ - ١٩٠١ ( المجلد الاول ) ، برلين ١٩٣٥ .  
9 — Karl August Horst : Kritischer Führer durch die deutscheli-  
literatur der gegenwart, München 1962.

(٩) كارل اوجست هورست : الدليل في النقد عبر الادب الالمانى المعاصر . ميونيخ ١٩٦٢ .  
10 — Max Lüthi : Es war einmal ... Vom Wesen des Volksmär-  
chen. göttingen 1964.

(١٠) ماكس لوثي : كان في قديم الزمان .. من طبيعة الحكاية الشعبية . غوتينغن ١٩٦٤ .  
11 — Katharina Mommsen : Goethe und 1001 Nacht. Frankfurt  
1981.

(١١) كاترينا مومسن : فوته وآلف ليلة وليلة . فرانكفورت ١٩٦١ . ( دار نشر سوركامب ،  
كتاب الجيب ٩٧٤ ) .



ب - مراجع بالعربية <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ١ - ألف ليلة وليلة ، في اربعة مجلدات ، المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٧٩ .
- ٢ - ترفان تودوروف : الناس - الحكايات . ألف ليلة وليلة كما ينظر اليها التحليل  
البنوي ، في : مواقف ، العدد ١٦ ، تموز وآب ١٩٧١ ، ص ١٣٧ - ١٥١ .
- ٣ - فاروق سعد : من وحي ألف ليلة وليلة ، المكتبة الاهلية ، بيروت ١٩٦٢ .
- ٤ - احمد محمد الشحاذ : اللامع السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة . منشورات  
وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات ( ١٢٠ ) ١٩٧٧ .
- ٥ - سهر القلماوي : ألف ليلة وليلة . دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .
- ٦ - بوعلي ياسين : خير الزاد من حكايا شهرزاد . دراسة في مجتمع ألف ليلة وليلة .  
اللاذقية ١٩٨٦ ( دار الحوار ) .

## الهوامش

(١) يقول هوفمانستال في مقالته عن « ألف ليلة وليلة » انها « كل واحد وانها عالم ليس الا ( ... ) » وانه لطيب لهومير ان يظهر بجانبها احيانا باهتا بعيدا من روح السداجة . « ويقول في موضع آخر : « ان في حكاية على شار وزمرد لحظة ارفض ان استبدالها بأي موضع عظيم ورد في اوفر كتبنا واجدتها احتراماً . » انظر . ترجمتنا لهذه المقالة ، ص ٥ .

(٢) انظر : هيرمان هيسه : « مكتبة الادب العالمي » ، ١٩٢٩ ، اذ يرى ان شعوب الدنيا كلها ابدعت حكايات واساطير جميلة رائعة ، على انه يكفيها مؤقنا هذا الكتاب الكلاسيكي الساحر ( أي ألف ليلة وليلة ! ) الذي لا يستكملها الا حكاياتنا ، تلك الحكايات الشعبية الالمانية التي جمعها الأخوان جريم .

(\*) نود الإشارة الى ان غوته ، كبير شعراء الالمان ، كان هو نفسه عرضة لتأثير حكايات شهرزاد وبقي طوال حياته مدينا لهذا الشرير بحدائق لا تحصى من الاقتباس والحكاية ... وكان يطيب له ، وهو الشاعر ، ان يقارن بشهرزاد . انظر : كاترينا مومسن : غوته وألف ليلة وليلة ، ص ٢٢ ، ( ارجع بالملامحة ! ) . وفي حديث له عن اللورد بايرون ( ص ٢٠١ ) يقول : ان على الشاعر ألا يعف عن قطف الزهور حيثما وجدها . اذ انه كان مقتنعا ان الشيء العظيم لا يمكن ان ينشأ الا باقتناء كنوز اجنبية . وتشير كاترينا مومسن في مقدمة كتابها الانف الذكر ان غوته اقتدى بالكثير من قصص ألف ليلة وليلة ، ذلك لانها تمثل في نظره نماذج ذات خاصية شكلية ، ( ص ٢٥ بالارقام الرومانية ) .

(\*\*) الجدير بالذكر ان ترجمة ليمان الكاملة لليالي اخذت تصدر على التوالي بدءا من سنة ١٩٢٣ والى سنة ١٩٢٨ وقد نقل المستشرق الالمانى الحكايات العربية عن النص الاصلي مباشرة وأخرجها في ستة مجلدات . واننا نترجم المقال معتمدين عليه في تحديد صلة الشاعر العربي بالليالي ، كما اننا نترجم ايضا قصة اخرى كثيرا في سنة ١٨٩٥ بعنوان « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستة » .

(٣) انظر ايضا : كاترينا مومسن : غوته وألف ليلة وليلة ، ص ٢٠٢ .

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

(٤) الحق ان هيرمان بروخ ، الشاعر النمساوي والكاتب الروائي ( ١٨٨٦ - ١٩٥١ ) يتطرق في احدى مقالاته التي تناولت اعمال هوفمانستال الثرية الى علاقة ابن بلده بالف ليلة وليلة ، اذ يقول : ان قالب الحكاية ليوافق مواهب هوفمانستال وحدوده ( ... ) والحكايات الشرقية بخاصة بصرية لما فيها من سحر يكاد ان يشبه زخارف السجاد ، فشخصها ليسوا بافراد ولا هي باناء محمول ولا تحمل « أنا » ، بل هي انماط مرئية خالصة ... انظر : هيرمان بروخ : هوفمانستال وعصره ، في : مجموعة المؤلفات ، المجلد السادس ، الشعر والادراك . المجلد الاول ( المقالات ) ، زوريخ ١٩٥٥ .

(\*) نذكر على سبيل المثال لا الحصر القصص التالية التي تاترت في اسلوبها بحكايات الف ليلة وليلة : حكاية فارس ( ١٨٩٨ ) و « حادثة المارشال فون باسومبيير » ( ١٩٠٠ ) و « حكاية المرأة المحجة » ( ١٩٠٠ ) و « المرأة بلا ظل » ( ١٩١٩ ) ، هذا وان لدى هوفمانستال مسرحيات لم تستطع ان تبث عن عالم الحكايات الخيالي من مثل : « منجم فالون » ( ١٩٠٦ ) و « القيصير والساحرة » ( ١٨٩٧ ) .

(\*) في اللحظة التي يتبين له فيها ان بيت مبعوث ملك الفرس مفلق في وجهه يقف على بوابة عالم آخر لن يكون فيه الا القبح والبؤس والضياع والوكت .

(٥) انظر : ريشارد اليفين : دراسات عن هوفمانستال غوتفريد ١٩٥٨ .

( دار نشر فاندنيهورف وروبرشت ) ص ١٦٢ .

(٦) انظر : هوفو فون هوفمانستال : اعمال مختارة في مجلدين . فرانكفورت ١٩٦٦ .

( دار نشر فيشر ) . المجلد الثاني : قصص ومقالات ، ص ٨ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٦٩ ( مقال « الف ليلة وليلة » ص ٦٩ - ٧٥ ) .

(٨) انظر : المرجع السابق ، ص ١٧ . وكذلك : مارسيل بريون : محاولة تحليل الرموز في حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة في : تحليل قصص الماتية من فيلاند الى كافكا . فرانكفورت وهامبورغ ١٩٦٦ ، ص ٢٨٤ - ٣٠٢ .

(٩) انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الثاني ، ص ٢٨٨ .

(\*) يذكرنا دخوله الى هذا المكان بدخول حسن الى جزر الواق ، حيث ان الدخول محرم وان من ينتهك حرمة المكان يجب ان يعاقب ، وانه مكان رحب بدخله المرء ليجد نفسه وسط جن وعفريت . انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٢٨ - ٢٩ .

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

- (١٠) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة في مجلدين . المجلد الثاني ، قصص ومقالات ص ٢٢ .
- (١١) انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الاول ، ص ١١٩ ( حكاية الوزير نود الدين ... ) .
- (١٢) انظر : هوفمانستال : أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٨ .
- (\*) حسبنا ان نذكر هنا البيتين المشهورين :
- مشيناهما خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاهها  
ومن كانت منيته بارضه فليس يموت في ارضه سواها
- كما ان غوته ، الشاعر الالماني الكبير ، يقول في الديوان الشرقي الغربي :
- « اذا كان الاسلام هو التسليم لله فعلى الاسلام نحيا ونموت اجمعين . »
- انظر : غوته ، مؤلفات غوته ، المجلد الثاني ، كتاب الحكم ، ص ٥٦ .
- (١٣) انظر : هوفمانستال : أعمال مختارة في مجلدين . المجلد الثاني ، ص ٢٧٤ .
- (١٤) انظر ايضا : ريشارد اليفين ، مقالات عن هوفمانستال ، ص ١٦٧ .
- (١٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ .
- (١٦) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
- (١٧) انظر ايضا : ريشارد اليفين ، ص ٧٢ ، حيث انه سأل هانا الشاهدا في معرض حديثه من ( موت محب الجمال ) وهو ان من منهم كيف يعيش منهم وكيف يموت .
- (\*) نود ان نضيف هنا ايضا ان التغلب على طبيعة الحياة او الواقع الفوضوية لا يتم عن طريق معرفة هذه الحقيقة ، حقيقة الواقع الفوضوي فحسب ، بل ايضا عن طريق الاعتراف والاقرار بهذا الواقع . وابن التاجر الشاب لا يفعل ذلك ، بل يلتمس الحياة . وهذه علامة من علامات الرافض .
- (١٨) انظر هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٠ .
- (١٩) المرجع نفسه ، ص ٤٧٣ .
- (٢٠) انظر : هوفمانستال : رسائل ( ١٨٩٠ - ١٩٠١ ) ، ص ١٨٤ .
- (٢١) المرجع نفسه ، ص ١٨٢ .
- (٢٢) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٠ .
- (٢٣) المرجع نفسه ، ص ١١ - ١٢ .



## □ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

(\*) يعزو بعض أبطال الف ليلة وليلة رفضهم الى مكر النساء وكيدهن وعدم حفاظهن على الود . على انهم لا يلبثون ان يتراجعوا عن موقفهم الرفض هذا حين تقع العين على المرأة التي تقلب البغض الى محبة . انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الثاني ، ص ١٠٩ والمجلد الرابع ، ص ٤٧٣ .

(٢٤) انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٢ ، وكذلك ص ١١٧/١٢٧ و ١٢٨/١٢٨ وقد تناول بوعلي ياسين هذا الموضوع في دراسته الرائعة « خير الزاد من حكايات شهرزاد » وأشار الى دور الجمال في نشوء العلاقات بين الرجل والمرأة واثره في تقرير مصائر أبطال شهرزاد ، ص ٧٠ .

(٢٥) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٠ .

(٢٦) المرجع نفسه ، ص ٤٧٣ .

(٢٧) المرجع نفسه ، ص ٤٧٤ .

(٢٨) انظر : هوفمانستال : أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٢٩) انظر الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٤ . وفي الف ليلة وليلة غير موضع ينصح فيه الآباء الأبناء ألا يسرفوا في انتهاب اللذة ولا يشفقوا أحوالهم كلها في سبيل اللذة . انظر أيضا : المجلد الرابع ، ص ٢٠٤ وما بعد ، و ص ٢٨٠ . ويشير هوفمانستال هذا الموقف حين يقول : « كم أشبهنا أولئك الأمراء الذين تاهوا عن مواطنهم وأبناء التجار الذين مات أبوالهم واستسلموا لأغراء الحياة ، وهم ظننا أننا نشبههم . » ( أعمال مختارة ، ص ٤٦٩ . )

(٣٠) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الأول ، ص ٦٦ .. « موت تيتسيان »

( ١٨٩٢ ) وهي مسرحية شعرية غير مكتملة نشرها الشاعر في « صحائف لندن » .

(٣١) انظر : مؤلفات غوته ( طبعة هامبورغ ) ، المجلد الثالث ، مسرحية فاوست ، ص ٤٤٤ .

بيت ١٢٣٧ .

(٣٢) رسالة الى ريشارد بير هوفمان في : رسائل ، المجلد الأول ١٨٩٠ - ١٩٠١ ،

برلين ١٩٣٥ ، ص ١٠٩ .

(٣٣) انظر : هوفمانستال أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٣ .

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ .

# ليل محاييد

للشاعر التشيلي: سيرخو ماثياس  
ترجمة: رفعت عطوفة

لمحة عن حياة الشاعر سيرخو ماثياس :

ولد الشاعر سيرخو ماثياس في كورينا في جنوب تشيلي عام ١٩٣٨ وقد حصل على عدد من الجوائز الأدبية الهامة مثل جائزة أنخيل كروتشاغا ساتتاماريا الأولى عام ١٩٦٧ وجائزة « عيد آلهة الازهار » غابرييلا ميترال الفضيّة عام ١٩٦٨ وعلى الجائزة الأولى لهذه المسابقة نفسها عام ١٩٧١ وجائزة بابلوتيرودا الأولى عام ١٩٨٤ وجائزة « مدينة تطوان الدولية » الأولى مناصفة عام ١٩٨٦ إضافة الى جوائز أخرى كثيرة له أعمال شعرية ونثرية كثيرة فمن أعماله الشعرية المنشورة « يد الحطاب » تشيلي ١٩٦٩ « الدم في الغابات » ١٩٧٤ ، « في زمن الأشياء » . « الطفل والأرض » المكسيك ١٩٨٠ « بستان الرّيح » ، اسبانيا ١٩٨٠ « قران الدكتاتور » اسبانيا ١٩٨٣ . « ذاكرة المنفى » اسبانيا ١٩٨٥ « تطوان » ١٩٨٦ والديوان الذي بين أيدينا « الليل المحاييد » والذي طبع عام ١٩٨٨ في اسبانيا .

المحاجر :

تتلى

محاجر الشتاء ،

مرسومة

في مرآة الثلج .

ثياب المطر

على أسلاك الهواء .

وأنا

بحاجة ملحة

لمعجزة الحب

في زاوية المنفى .

البستاني :

ملفأ

بعباءة النجوم

ينام في حوض الطيب .

وحدها الأزهار ، النحل والمصافير

رفيقته في الفجر

وكل يوم ينتظر

بلهفة

أن يهمس الله له

كخادرة ،

بسبب وحدته .

الجميل :

سفينة من غيوم بيضاء

ترسو في خليج الريح ،

كي ترتفع البراميل

بعمود الأرض .

□ يسرّ معاًيد □

نشيد الشباب :

أداعبك

كما يداعب سنجاب

وأكتب فوق عنق الأوراق

نشيد الشباب

أنت مدقة النور

الذي يرتفع

في بلد الذكريات .

قائلة :

منظر من مطر

وانواء تحطم اشجار الخوخ .

وتقرّبي

وراء قافلة

المنسيين .

رعاية الحب :

كما الشاعر

الذي يضرب على عود

الوادي الكبير في الأندلس

اشتغل حديقة

الذاكرة .

وكابن خفاجة

اشتغل في اشجار

سلام الأوراق .

وانتظرت ، يراعة الحب

فوق سجادة الليل .

اطراء :

حزن الأزهار

يطري على

وله المصافير

التي تهرب

نحو غرفة نوم الأوراق

وعلى روعي

التي تبحث

• عن وطن زهر العسل

وعن عصافير الوبكا

المفرجة بدم الزنابق •

الحقيقة :

تنتفح

• حقيقة روعي

تسقط قيصان الظلال • <http://Archiv>

• وسراويل المظلم

• لوحة الطفولة

• مطر الجنوب

• براميل النيزد

• ووالدي يطلب مني

• مرافقة بقاءة الحجارة

في الحلم :

تتخرج الحبيبات

عارية أئداءهن ،

وقد عضها

• فحل الليل

الأصدقاء

□ ليلٌ ممّائد □

- وكؤوسهم البهية
- والوحشة
- التي تدفعني
- نحو صفحة الظلمة

فرحتني :

لحيّتي تشيب ،  
لكن فرحتني لا  
تشيب

- حين ترى شجرة كرز مزهرة
- صورتك التي لفزالة
- تجري على ضفة النيل
- كليوباترا تحت القمر
- تمنحني أكسير الورود

<http://Archiyebeja.Sakhril.com>

ظليلٌ :

الى كارينا وفيدريكو

انا

- الذي سافرت
- الى اجزاء كثيرة من العالم
- لا اعرف ما يكون
- ظليلٌ زهرة
- تغطي
- قلبي بالمطر

المبهم :

- سهم القمر
- يخترق صدر الارض
- مرآة الصمت

اهداب الناكرة .  
شفاه شقائق النعمان .  
جرة جسدك  
الليثة بقطع من أحلام ،  
وباشعار سرية  
وقبلات ، تخرب ،  
مثل نيازك ،  
حديقتك  
ما من مبرد :

ما من مبرد :

كي لا يموت  
هذا النهار  
الذي ينمو  
مثل دموع الأوقيانوس .  
او كي ينهمك  
مطلقا اشعارا  
مثل كؤوس الفيوم .

عبق :

السنونو

تبحث عن يد الشمس .  
وانا عن يد امي ،  
التي لها عبق  
تفاح بلادي .

الصفحة :

الشحارير تحمل منا الابتسامة  
والسر الذي تنسجه الايام .

□ ليل محاييد □

لا احد  
ينتظرنا  
في زمن العواصف هذا .  
نحن  
المشاق  
الذين يشتملون  
في صفحة الا مقول .

ليل محاييد :

انني احمل على كاهلي الاندى  
ثقل المطر .  
غابت مفضاة بالمصافير  
واصوات المنحدرات

لا احد  
يستيقظ على خطواتي .  
ولا على اغنيتي التي لغريب .  
لا احد

يعرف وحين اموت ،  
بعيدا عن اراوكتيا ،  
وان الليل سوف يجرفه  
نهر النسيان

مشهد غريب :

نميش ونحن  
نمارس زراعة حداثق الستين .  
نتمل

بنبيذ الفياض المكس .  
نعلم بالمنزل الاندى  
المضاء بالحبايب ،



التحلر ،  
التفاح .  
هويتنا ليست  
سوى الذاكرة  
التي تهتز كل مساء ،  
بثلجات اراوكرية  
تخفيها الرياح ،  
بين همس  
مشهد غريب .

حب في القرية :  
لننظرز جنباً  
في قرية الطلح ،  
بذهب المجرات ،  
مثل العشاق  
الذين يحملون  
في الريح زَمَنَ الجمال ،  
استنتاج البتولا ،  
ثقل الجبال ،  
وحزن الفراشات .

المدتس :  
أرفع غضبك .  
أترك السوط يسقط  
على الشرير الذي يندس  
معبد الشعب .  
لا تسامح من انتهك  
مذبح الحب ،  
وبنى بيته

□ يـلـ\* محـابـد □

فوق خرائبك .  
ساعداً الله  
الذي ينتظرك  
وحيداً ،  
تحت خيمة الشمس .

للحظة :

للحظة

تشابه ذاكرتنا

دمّ البنفسج .  
النسخ الذي يصعد من  
من الأعماق .  
من هذا التراكم .  
من الدموع التي خلقتها لنا الأمطار .

عـابـ :  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لا نريد شيئاً آخر  
غير أن نسحق الألم ،  
لأجل هذا الشباب الضائع  
في وهم  
لم يتوصل إلى شيء قط .  
ومن أجل أن لا نتعاب  
لأننا استسلمنا  
لليلة فارغة ،  
كي نكتشف  
الفرح الخالد ،  
الذي لا يرتوي  
في قـبـلـ النجوم .

المدنية :

تسلمنا المدينة

غماً

يتقطر ، من الابنية

على الشوارع

التي تصنع في

مجارى الفياب .

الجميع يمرون

فوق خضوع عيشنا .

والذي يتوقف

شيخ

في المـ مثيله .

ARCHIVE

الجنوب :

الجنوب يزغرد <http://Archivebeta>

بين اغصان المطر .

الحب

في عنابر السعادة .

الذاكرة

في نايات الجداول .

الحقيقة

في ابجدية الدم .

القلق

في جنان قصيدة .

الموت

في عواء الحجارة .

□ يـلـ\* محـايد □

الـبـد :

يـلـي

تـلـامـس بـنـعـومـة

انـدـاء الرـيـع .

تـفـطـي عـائـتـه الـهـشـة .

تـجـعـل الرـعـشـة

تـسـري فـيـه

بـيـن اـغـصـان القـمـر .

فـم وـردـة :

هـا انـت هـنـاك

بـفـمـك الـذي لـورـدة :

الـجـاهـز لـيـفـطـي

عـلـى انـيـنـي .

عـلـى الـاعـشـاب الفـصـاة

الـتي تـنـبـت

بـيـن خـرائـبـي .

حـيـن تـصـمـيـنـي

بـقـيـرة الكـرـز

يـخـتـبـيء الحـنـيـن

فـي الفـسـق .

فـي هـذا الكـوكـب :

اـنا جـلـاد نـفـسـي .

بـصـوتـي

يـتـكـلم الـامـوات

الـذيـن يـمـز قـونـنا بـالـغـيـاب .

عـاشـق يـتـيـم ،

لـه رـعـشـات

كتب مكتبتني القديمة .

أغنية تظلت

من هذا الكوكب المهجور ،

غير المبالي ،

والذي لا يرحم .

منظر :

السلام في

ماوى القمر .

في الأوراق التي تشكل

فراش الفراشات

والحب في المشهد ،

حيث الشمس

تحت النور ،

كبي تهتم

كواهية الإنسان .

ARCHIVE

http://Archive.org/التأنيث

لأنني أشتاق

لحرية الهواء ،

أعيش منفى

العصافير التأنيث .

مثل الطل الذي يسقط من

الأغصان التي حطمتها

قساوة الزمن .

مقبرة بحرية :

« الى كارلوس كونترا مائسترو »

في مقبرة أسيلة البحرية

يسمع ضجيج

عظام الريح العميق .  
 المؤذن يحملنا ،  
 منعمين بالزمن ،  
 على الدخول  
 الى مسجد النجوم .  
 في هذه الليلة افكر بوطني ،  
 على بعد الف فرسخ من هنا .  
 وسيدو غدا ان جوادي الرمادي  
 قد كبر عاما آخر «كاوتشي»

سنابل الدم :

« الى ادوارد ومارو ، »

هاهو الوطن  
 يصير بعيدا عني ،  
 بلا اصدقاء ، ولا صنوبر ولا جياجب .  
 بلا خنزير على الحجر  
 فوق البطاطا التشيلوتية  
 ولا النبيذ البييني مع التشولفا .  
 سنابل الدم  
 تشرب بخنين  
 في منحدرات الفجر .  
 ونسيان قمر بدر  
 يضيء طريقني كغريب .

جلد زيتوني :

انتظريني  
 في ظل الكوكب الفسيح ،  
 كي انزلق  
 بجلدي الزيتوني

على فخيك اللذين لقمر •  
دعيني اكتشف  
سرك بصولجان الفجر •  
كي نظير فيما بعد  
متحررين من القبل والمجاملات ،  
من حمامتين ملطختين بالنور •

خوف يمامة :

رشيقة  
مثل جواد من الريف ،  
تجرين تحت الفيوم  
التي تظنها العواطف •  
خوف يمامة  
يهز صورتك •

وعمش دم  
يرش بالأرجوان  
مندبل المساء •  
ARCHIVE  
<http://Archivebe.net>

حكمة :

ان نعرف كيف نشيخ  
يعني العثور على الطريق  
حيث تحيك الحياة  
زمن الشيب •  
على مكان الشمس  
حين تلعب مع  
اليعاسيب والازهار •  
على سكون اللباب •  
فرحة الطلح  
وسط عيد الفراشات •

□ يـلـ محـايد □

الصيد :

الم شبالك النور ،

مع ذهب الشمس

الذي يتسلق

عانة الوقت .

واشرب كحول الفصل ،

الذي يقطره فمك

الذي من ياسمين .

مسمار الفجر :

مطرقة الريح

تطرق

مسمار الفجر ،

بقوة تجعل

روحي تؤسم ،

دون ان تشغل الرب

الليلة التي تضم معي احدا .

مانحا املي ، ببساطة ،

الى من لم يكن معي قط .

وددت لو اكون :

وددت لو اكون

طل الازهار ،

كي اغسل وجنتي الفجر

المنعكستين في وجهك .

والبرق

على شفتيك اللتين لمنثور .



شجرة نجوم :

الى خيري الزبيدي

في بلاد بابل

يجر الفرات معه

اشجار نجوم .

والقمر يلمق ،

مثل غزالة ،

المشب الذي يغطي

آثار سمر اميس .

انا المسافر

الذي يزج النخيل

الذي تقبله الشهب .

عجلة ازهار :

الى مرغرتا لويث بونييا

اليوم ،

بستانى الريح

سعيد ،

لان الربيع

يتقدم بمجلات من ازهار ،

والبشر ليسوا في حرب .

\* \* \*

# صَبَاحُ مُشْرِق

« ملهة من فصل واحد »

تأليف الكاتبين الإسبانيين الأندلسيين:  
سيرافين و الفاريس كنيرو  
( ١٨٧١ - ١٩٣٨ ) ( ١٨٧٣ - ١٩٤٤ )

ترجمة خالد حداد



الشخصيات :

- دونا لورا
- بتر - وصيفتها
- دون غونثالو <http://Archivebeta.Sakhrit.co>
- خوانيتو - خادمه

المكان : ركن منعزل من حديقة عامة في مدريد .

البرهان : الزمان الحاضر .

الشاهد : صباح خريفي مشرق في ركن منعزل من حديقة عامة في مدريد .  
مقعد طويل الى اليمين . دونا لورا سيدة عجوز وسيمعة  
بيضاء الشعر في السبعين من عمرها تقريبا ، ذات مظهر مهذب  
عينها البراقتان واسلوبها العام تعطي دليلا على ان قدراتها  
العقلية لا تزال سليمة على الرغم من سنها ... تدخل  
مستندة على ذراع وصيفتها بتر . تحمل في يدها الاخرى  
مظلة شمسية تستخدمها كعكاز ايضا .

## □ صباح مشرق □

**دونا لورا :** انني سعيدة جدا لكوني هنا . خفت ان يكون احدهم قد احتل مقعدي . يا له من صباح جميل !

**بتسرا :** الشمس حارقة .

**دونا لورا :** اجل ، وانت لا تزالين في العشرين من عمرك ( تجلس على المقعد الطويل ) . آه ، اشعر اليوم بانني تعبئة أكثر من المعتاد . ( تلاحظ بترا ، التي تبدو نافذة الصبر ) اذهبي ، اذا كنت تريدان ان تهذري مع حارسك .

**بتسرا :** انه ليس لي يا سيدتي ، انه للحديقة .

**دونا لورا :** انه اكثر مما هو للحديقة . اذهبي وابحثي عنه ، ولكن ظلي على مقربة مني .

**بتسرا :** انني اراه واقفا هناك بانتظاري .

**دونا لورا :** لا تتأخري أكثر من عشر دقائق .

**بتسرا :** حسن جدا يا سيدتي <http://Archive.org>

( تسير باتجاه اليمين )

**دونا لورا :** انتظري لحظة .

**بتسرا :** ماذا تريدان يا سيدتي ؟

**دونا لورا :** اعطني فتات الخبز .

**بتسرا :** لا اعرف ماذا جرى لي .

**دونا لورا :** ( مبتسمة ) انا اعرف ، فعقلك يكون حيث قلبك .. مع الحارس .

**بتسرا :** تفضلي يا سيدتي .

( تناول دونا لورا حقيبة صغيرة وتخرج من اليمين ) .

**دونا لورا :** الى اللقاء ( تنظر باتجاه الاشجار على اليمين ) هاقدا اتوا .  
 انهم يعرفون تماما متى يتوقعون مجيئي . ( تنهض ، تسير  
 باتجاه اليمين ، وتنتشر ثلاث قبضات من فتات الخبز ) .  
 هذه لمن هم اخف حركة ، وهذه لمن هم اكثر نهما ، وهذه  
 للصغار الذين هم أعلى مثابرة ( تضحك ) ، ثم تعود الى مقعدها  
 وتراقب بتعبير مبتهيج طيور الحمام وهي تاكل ) . هناك ،  
 ذلك الكبير ، دائما في المقدمة . انني اعرفه من راسه الكبير .  
 هذا واحد ، وهذا آخر ، والآن اثنان ، والآن ثلاثة ... ذلك  
 الصغير هو الاقل جينا . انني واثقة انه قد ياكل من يدي . اما  
 ذاك فقد تناول قطمته وطار الى ذلك الفصن وحيدا . انه  
 فيلسوف . ولكن من اين يأتون جميعا ؟ يبدو وكأن الخبز قد  
 انتشر . ها ها ! لا تماركوا . يوجد ما يكفي للجميع . وساحضر  
 المزيد غدا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

( يدخل دون غونثالو وخوانيتو من اليسار . دون غونثالو  
 سيد عجوز في السبعين ، مصاب بالنفوس ، ويبدو نافذ  
 الصبر . يستند الى ذراع خوانيتو ويجر قدمه نوعا ما وهو  
 يمشي ) .

**دون غونثالو :** انهم يهدرون وقتهم . كان عليهم حضور القداس .

**خوانيتسو :** يمكنك ان تجلس هنا ياسيدي . فلا يوجد الا سيدة فقط  
 ( تدير دونا لورا زاسها وتصفي ) .

**دون غونثالو :** كلا يا خوانيتو . اريد مقعدا لي وحدي .

**خوانيتسو :** ولكن ما من مقعد شاغر .

**دون غونثالو :** ذلك المقعد هناك هو مقعدي .

## □ صباح مشرق □

**خوانيتسو :** يوجد ثلاثة كهنة جالسين عليه .

**دون غونثالو :** اطردهم اذن . هل ذهبوا .

**خوانيتسو :** كلا . في الحقيقة انهم يتحدثون .

**دون غونثالو :** وكأنهم قد التصقوا بالمقعد . لا امل في مغادرتهم . تعال من هنا يا خوانيتسو .

( يسيران باتجاه الطيور نحو اليمين )

**دونا لورا :** ( بسخط ) انتبه !

**دون غونثالو :** هل توجهين الحديث الي ياسيديتي ؟

**دونا لورا :** نعم ، اليك .

**دون غونثالو :** ماذا تريدين ؟

**دونا لورا :** لقد اخفت الطيور التي كانت تأكل قنات خبزي .

**دون غونثالو :** وماذا يعنييني من الطيور ؟

**دونا لورا :** لكننا تعنييني انا .

**دون غونثالو :** هذه حديقة عامة .

**دونا لورا :** اذن لماذا تنذمر لان الكهنة اخذوا مقعدك ؟

**دون غونثالو :** اننا لم نتقابل من قبل يا سيدتي . ولا أستطيع التصور

كيف تمنحين نفسك حرية مخاطبتي . تعال يا خوانيتسو .

( يخرج الاثنان من اليمين )

**دونا لورا :** ياله من عجز شكس ! لماذا يصبح الناس نرقين سريمي

الاهتياج عندما يلفون سنا معينة ؟ ( تنظر باتجاه اليمين ) انني

سعيدة . لقد فقد ذلك المقعد ايضا . هذا درس له لانه اخاف

## □ صباح مشرق □

الطيور . انه غاضب، نعم ، نعم ، اعثر على مقعد اذا استطعت  
يا للرجل المسكين ! انه يمسح العرق عن وجهه . ها قد اتى .  
ان عربة لن تثير غبارا اكثر من قدمه .

( يدخل دون غونثالو وخوانيتو من اليمين ويسيران باتجاه  
اليسار ) .

**دون غونثالو :** الم يذهب الكهنة بعديا خوانيتو ؟

**خوانيتو :** في الحقيقة كلا يا سيدي ، انهم لا يزالون هناك .

**دون غونثالو :** ينبغي على السلطات المسؤولية ان تضع مزيدا من المقاعد  
هنا في هذه الايام المشرقة .

حسن ، ربما علي ان اكتب نفسي واجلس على المقعد مع  
السيدة العجوز .

( يمدد لنفسه ، ويجلس على الطرف البعيد من مقعد دون  
لورا وهو ينظر اليها بسخط . يلمس قبعته وهو يحييها ) .  
صباح الخير .

**دونا لورا :** ماذا ، انت هنا ثانية ؟

**دون غونثالو :** اكرر ، اننا لم نتقابل من قبل .

**دونا لورا :** كنت ارد على تحيتك .

**دون غونثالو :** ان « صباح الخير » ينبغي ان تتردّ بـ « صباح الخير » ،

**دونا لورا :** كان عليك الاستئذان قبل جلوسك على هذا المقعد، الذي  
هو لي .

**دون غونثالو :** المقاعد هنا ممتلكات عامة .

## □ فصح مشرق □

**دونا لورا :** كيف ذلك ، وقد قلت ان المقعد الذي يجلس عليه الكهنة هو لك .

**دون غوثالو :** حسن جداً ، حسن جداً . ليس لديّ المزيد من القول .  
( هامساً ) سيدة عجوز خرفة . كان عليها ان تجلس في بيتها لتحيك وتسبّح بسباحتها .

**دونا لورا :** لا تتدمر اكثر من هذا . انني لن اغادر لجرد اسماءك .  
**دون غوثالو :** ( يمسح الفبار من خدائه بمنديل ) لو ان الارض مرشوشة بالماء قليلا لكان ذلك افضل .

**دونا لورا :** هل تستخدم منديلك كمسححة للأحذية ؟  
**دون غوثالو :** ولم لا ؟

**دونا لورا :** وهل تستخدم مسححة الأحذية كمنديل ؟  
**دون غوثالو :** اي حق لك بانتقاد تصرفاتي ؟

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

**دونا لورا :** حق الجوار .

**دون غوثالو :** خوانيتو، اعطني كتابي . لن اكرث بالاصفاء الى سفاسف .  
**دونا لورا :** انك بالغ التهذيب .

**دون غوثالو :** عفوا ياسيدي ، ولكن لاتدخل فيما لايعنيك .

**دونا لورا :** انني بوجه عام اقول ما افكر به .

**دون غوثالو :** واكثر من المطلوب للنتيجة نفسها . اعطني الكتاب يا خوانيتو .

**خوانيتو :** تفضل ياسيدي .

( يخرج خوانيتو كتابا من جيبه ويناوله لدون غوثالو ، ثم يخرج من اليمين ) .

## □ مبع حريق □

( يلقي دون غونثالو نظرة ساخطة على دونا لورا ، ثم يرتدي زوجاً من النظارات الضخمة ، ويخرج من جيبه عدسة للقراءة ، ويضبط كلاهما بما يناسبه ، ثم يفتح كتابه ) .

**دونا لورا :** ظننت أنك ستخرج تلسكوبا .

**دون غونثالو :** هل قلت شيئاً ؟

**دونا لورا :** لا بد أن نظرك حاد جداً .

**دون غونثالو :** انه أفضل من نظرك .

**دونا لورا :** نعم ، هذا واضح تماماً .

**دون غونثالو :** أسالي الأرائب الوحشية وطيور الحجل .

**دونا لورا :** آه ! وهل تصطاد ؟

**دون غونثالو :** كنت ... وحتى الآن ...

**دونا لورا :** آه ، نعم ، طبعاً .

**دون غونثالو :** نعم ياسيدي . انني آخذ كل يوم أحد بندقيتي وكلبي ، واذهب الى إحدى مزارعي قرب أرافاكا ... لقتل الوقت .

**دونا لورا :** نعم لقتل الوقت ، فهذا كل ما تستطيع قتله .

**دون غونثالو :** هل تظنين ذلك ؟ أستطيع أن أريك رأس خنزير بري في مكتبي ...

**دونا لورا :** نعم ، وأنا أستطيع أن أريك جلد نمر في غرفتي ، وماذا يثبت ذلك ؟

**دون غونثالو :** حسن جداً ياسيدي ، أرجو أن تسمح لي بالقراءة .  
كفالك حديثاً .

**دونا لورا :** حسن ، استرح اذن .



## □ صباح مشرق □

**دون غوثالو :** لكنني سأتناول قليلا من السموط اولا . ( يخرج علبة السموط ) . هل تريدین بعضا منه ؟ ( يقدم العلبة لدونا لورا ) .

**دونا لورا :** اذا كان جيدا .

**دون غوثالو :** انه من اجود الأنواع . سوف تحبينه .

**دونا لورا :** ( تأخذ قليلا من السموط ) انه يجلو راسي

**دون غوثالو :** وراسي ايضا .

**دونا لورا :** وهل تعطس ؟

**دون غوثالو :** نعم ياسيديتي ، ثلاث عطسات .

**دونا لورا :** وانا كذلك . يا للمصادفة .

( بعد تناولهما السموط ، ينتظران العطاس بلهفة ، ثم

يعطسان بالتناوب ، كل منهما ثلاث عطسات ) .

**دون غوثالو :** والان ، أشعر بالتحسين .

**دونا لورا :** وانا كذلك . ( جانباً ) لقد أقام السموط سلاما بيننا .

**دون غوثالو :** الا تعذرینني اذا قرأت بصوت عال ؟

**دونا لورا :** اقرا بصوت عال . كما ترغب ، انك لن تزعجني .

**دون غوثالو :** ( قارئا ) « الحب كله حزن ، لكنه مع حزنه افضل الامور

التي نعرفها » . انها قصيدة لكاتبو امور .

**دونا لورا :** آه !

**دون غوثالو :** ( يقرأ ) « ان الفتيات اللواتي احببنتي ذات مرة ، يقبلنني

الآن وكأنهن تماثيل منحوتة . » انني اعتبر هذه الأبيات ذات

مسحة هزلية .

**دونا لورا :** ( ضاحكة ) وانا اعتبرها كذلك ايضا .

□ صباح مشرق □

**دون غونثالو :** هنالك بعض القصائد الجميلة في هذا الكتاب . اسمعي :  
« مرت عشرون سنة » ، ثم عاد .

**دونا لورا :** لا يمكنك ان تتصور كم تحرك مشاعري رؤيتك وانت تقرا  
بهذه العدسات كلها .

**دون غونثالو :** وهل تستطيعين القراءة دون اي منها ؟

**دونا لورا :** بالتأكيد .

**دون غونثالو :** ويسنك هذه ؟ لابد انك تمزحين .

**دونا لورا :** ناولتي الكتاب اذن ( تأخذ الكتاب وتقرأ بصوت عال ) :

مرت عشرون سنة ، ثم عاد

نظر كل منهما الى الآخر ، وهتف . . .

هل يمكن ان يكون هو ؟

يا للسماء ، هل تراها هي ؟

( تعيد دونا لورا الكتاب الى دون غونثالو )

**دون غونثالو :** في الحقيقة ، انني احسك على نظرك الرائع .

**دونا لورا :** ( جانباً ) انني احفظ كل كلمة غيبا .

**دون غونثالو :** انني مفرم بالشعر الجيد ، مفرم جدا . حتى انني قد  
نظمت بعضه في شبابي .

**دونا لورا :** وهل كانت قصائد جيدة ؟

**دون غونثالو :** من كل الانواع . كنت صديقا مقربا لاسبرونثيدا، وزوريللا،  
وبيكر ، وغيرهم .

والتقيت بزوريللا للمرة الاولى في امريكا .

## □ صباح مشرق □

**دونا لورا :** صحيح ، هل ذهبت الى امريكا ؟

**دون غوثالو :** مرات عديدة . عندما ذهبت اول مرة كنت في السادسة من عمري .

**دونا لورا :** لا بد انك ذهبت مع كولومبس في احد مراكبه الشراعية .

**دون غوثالو :** ( ضاحكا ) ليس بهذا السوء تماما . انني عجوز ، وانا اعترف بذلك ، لكنني لم اعاصر فرديناند وايزابيلا . ( يضحكان معا ) . كما كنت صديقا مقربا لكامبو امور .  
والتيقت به في فالنسية - انني من اهالي تلك المدينة .

**دونا لورا :** صحيح ؟

**دون غوثالو :** لقد نشأت فيها ، وهناك أمضيت فترة شبابي الاولى .  
هل لك ان ترت تلك المدينة ؟

**دونا لورا :** نعم يا سيدي . ليس بعيدا عن فالنسية كان يوجد بيت كبير ، لا بد انه ، اذا كان لا يزال قائما ، يحتفظ بذكريات مني .  
فقد أمضيت فصولا عديدة هناك . كان ذلك منذ سنين طويلة طويلة . كان قرب البحر ، مختبئا بين اشجار الليمون والبرتقال . كانوا يسمونه ... دعني افكر ، ماذا كانوا يسمونه ؟ ... مارشيللا .

**دون غوثالو :** ( مجفلا ) مارشيللا ؟

**دونا لورا :** مارشيللا . هل الاسم مألوف لديك ؟

**دون غوثالو :** نعم ، مألوف جدا . اذا كانت ذاكرتي تساعدني - فنحن ننسى مع تقدمنا في السن - كانت تسكن في ذلك البيت الكبير أجمل امرأة رايتها في حياتي ، وأؤكد لك انني رايت الكثيرات دعيني افكر ... ماذا كان اسمها ؟ لورا ... لورا ... لورا لورينتي .

□ صباح مشرق □

**دونا لورا :** ( مجفلة ) لورا لورينتي ؟

**دون غونثالو :** نعم ؟

( ينظر كل منهما الى الآخر بتركيز )

**دونا لورا :** ( تمالك نفسها ) لا شيء . لقد ذكرتنى بصديقتي المفضلة .

**دون غونثالو :** يا للفرابة !

**دون لورا :** هذا غريب . كانت تدعى « العذراء الفضية » .

**دون غونثالو :** تماما . « العذراء الفضية » . بذلك الاسم كانت تعرف

في تلك المنطقة . اشعر انني اراها وكأنها امامي الآن ، وهي

في تلك النافذة بثوبها الوردى . هل تذكرين تلك النافذة ؟

**دونا لورا :** نعم ، انني اذكرها . كانت نافذة غرقتها .

**دون غونثالو :** كانت تمضي ساعات عديدة هناك . اقصد في ايامي .

**دونا لورا :** ( متنهدة ) وفي ايامي ايضا .  
<http://Archivebeta.Sakbint.com>

**دون غونثالو :** كانت مثالية . جميلة مثل الزنبقة ، شعر فاحم وعينان

سوداوان ، وسيماء حلوة بالغة الروعة . كانت تبدو وكأنها

تتألق بهاء حيشما حلت . كانت جميلة الشكل كاملة الاوصاف .

« كيف تتكون النماذج الالهية من العطين البشري بهذا الجمال

المطلق ! » . لقد كانت حلما .

**دونا لورا :** ( جانباً ) لو كنت تعرف ان ذلك الحلم بجانبك الآن ،

لادركت ما تؤول اليه الاحلام .

( بصوت عال ) لقد كانت سيئة الحظ كثيرا ، ومرت بعلاقة

حب بائسة .

**دون غونثالو :** بائسة جدا .

( ينظر كل منهما الى الآخر )

**دونا لورا :** هل سمعت بذلك ؟

**دون غونثالو :** نعم .

**دونا لورا :** يا لغرابة الاقدار ! ( جانباً ) غونثالو !

**دون غونثالو :** العاشق اللطيف ، في العلاقة نفسها ..

**دونا لورا :** آه ، المباراة .

**دون غونثالو :** تماما ، المباراة . كان العاشق اللطيف ... ابن عمي ،  
الذي كنت أحبه كثيرا .

**دون لورا :** آه ، نعم ، ابن عمك . لقد أخبرني صديقتي في إحدى  
رسائلها قصة تلك العلاقة ، التي كانت رومانسية حقاً . كان  
- ابن عمك - يمر على صهوة حصان كل صباح في ممر الورد  
تحت نافذتها ، ويقذف غالباً نحو شرافتها بباقة من الزهور ،  
حيث كانت تلثقفها .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

**دون غونثالو :** وفيما بعد ، عند الاصيل ، كان الفارس يعود من الممر  
نفسه ، ويلتقط باقة الزهور التي تقذفها له . هل أنا على  
صواب ؟

**دونا لورا :** نعم ، وكانوا يريدون تزويجها من تاجر لا ترغب فيه .

**دون غونثالو :** وذات ليلة ، بينما كان ابن عمي منتظراً تحت نافذتها  
ليسمعها وهي تغني ، ظهر الشخص الآخر بشكل غير متوقع .

**دون لورا :** وإهان ابن عمك ..

**دون غونثالو :** وجرى عراك بينهما ..

**دونا لورا :** وبعد ذلك مباراة .

## □ صباح مشرق □

**دون غونثالو :** نعم ، عند المنيب ، على الشاطئ ، وجرح التاجر جرحا بليغا . وكان على ابن عمي أن يختفي لبضعة ايام ، ثم يهرب بعد ذلك .

**دونا لورا :** يبدو أنك تعرف القصة جيدا .

**دون غونثالو :** واثت كذلك .

**دونا لورا :** لقد وضحت ان صديقة لي قد اعادتها على مسممي .

**دون غونثالو :** كما فعل ابن عمي معي ( جانبيا ) هذه لورا !

**دونا لورا :** ( جانبيا ) لماذا اخبره ؟ انه لا يشك .

**دون غونثالو :** ( جانبيا ) انها ساذجة تماما .

**دونا لورا :** وهل كنت أنت ، على أية حال ، من نصح ابن عمك ان ينسى لورا ؟

**دون غونثالو :** كيف ، ان ابن عمي لم ينسها مطلقا .

**دونا لورا :** كيف تفسر سلوكه اذن ؟

**دون غونثالو :** سأخبرك . لقد التجأ الشاب الى بيتي ، خائفا من نتائج

المبارزة مع شخص ذي مكانة عالية في تلك المنطقة . ثم غادر

بيتي الى اشبيلية ثم اتى الى مدريد . وكتب الى لورا عدة

رسائل ، كان بعضها شعرا . لكنها ، دون شك ، قد احتجرت

من قبل والديها ، لانها لم ترد عليها مطلقا . واذا يقن غونثالو

حينئذ يائسا ان حبه قد ضاع الى الابد ، التحق بالجيش ،

وذهب الى افريقية ، وهناك ، في احد الخنادق ، مات ميتة

مشرقة ، وهو يعانق علم اسبانية ، ويهمس باسم حبيبته

لورا ....

## □ صباح مشرق □

**دونا لورا :** ( جانباً ) يا لها من كذبة مروعة !

**دون غوثالو :** ( جانباً ) لم اكن لاستطع قتل نفسي بشكل اكثر بهاء .

**دونا لورا :** لا بد انك فجعت بهذه الكارثة .

**دون غوثالو :** نعم ، لقد فجعت حقاً يا سيدتي . وكأنه اخ لي . ومع

ذلك افترض ان لورا ، على العكس من ذلك . كانت خلال

فترة قصيرة تطارد الفراشات في حديقتهما ، دون اكرثرات

او اسف .

**دونا لورا :** كلا ياسيدي ، كلا !

**دون غوثالو :** انه اسلوب المرأة .

**دونا لورا :** حتى لو كان ذلك اسلوب المرأة ، فهو ليس من طبيعة

« العذراء الفضية » . لقد انتظرت صديقتي اخباره طيلة

ايام ... أشهر ... سنة كاملة ، ولم تأت رسالة . وذات

اصيل ، عند المغيب تماماً ، وبينما كانت النجوم الاولى تظهر

في السماء ، شوهدت وهي تغادر البيت بخطوات سريعة ،

منطلقة في طريقها الى الشاطئ ، ذلك الشاطئ الذي ضحى

فوقه جيبها بحياته . كتب اسمه على الرمال ، ثم جلست

فوق صخرة ، ونظرها مثبت على الافق . كانت الامواج تدمدم

لحنها الحزين وتزحف ببطء صاعدة الى الصخرة التي تجلس

العذراء فوقها . وارتفع المد هادراً وجرفها بعيداً نحو البحر .

**دون غوثالو :** يا الهي !

**دونا لورا :** ويؤكد صيادو ذلك الساحل ، الذين يروون القصة غالباً ،

انه مضى وقت طويل قبل أن تفصل الامواج الاسم المكتوب

على الرمال . ( جانباً ) انك لن تسبقني في تجميل موتي .

□ صباح مشرق □

**دون غونثالو :** ( جانباً ) انها تكذب بشكل اسوأ مما افعل .

**دونا لورا :** مسكينة لورا !

**دون غونثالو :** مسكين غونثالو !

**دونا لورا :** ( جانباً ) لن اخبره بانني تزوجت بعد ذلك بسنتين .

**دون غونثالو :** ( جانباً ) بعد ثلاثة اشهر فررت الى باريس مع راقصة باليه .

**دونا لورا :** ان القدر غريب . ها نحن ذا ، انت وانا ، غريبان تماما ، التقينا صدفة ، وجلسنا نناقش قصة حب عنيفة لصديقين قديمين جرت منذ عهد بعيد! وها نحن نتحدث وكأننا صديقان قديمان .

**دون غونثالو :** اجل ، هذا غريب ، مع الاخذ بعين الاعتبار تلك البداية السيئة لحدثنا .

**دونا لورا :** لقد اخلت الطيور .

**دون غونثالو :** لعلي كنت غير عقلاني .

**دونا لورا :** نعم ، لقد كان ذلك جلياً . ( برقة ) هل ستأتي ثانية غدا ؟

**دون غونثالو :** بالتأكيد ، اذا كان صباحاً مشرقاً . ولن اكتفي بعدم اخافة الطيور فحسب ، بل سأحضر بعض فئات الخبز ايضا .

**دونا لورا :** شكراً جزيلاً لك . ان الطيور شاكرة وترد الجميل . ترى اين وصيقتي بترا ( تعطي اشارة لوصيفتها ) .

**دون غونثالو :** ( جانباً ، وهو ينظر الى لورا التي كانت تدير ظهرها ) كلا ، كلا ، لن اكتشف نفسي . لقد أصبح شكلي منفراً الآن . من الافضل ان تستعيد في ذاكرتها الفارس اللطيف الذي كان يمر كل يوم تحت نافذتها ويقذف الزهور .



**دونا لورا : هاقد آتت .**

**دون غوثالو :** ذاك خوانيتو ! انه يسبب ارباكا للمريبات .  
( ينظر باتجاه ، اليمين ويشير بيده )

**دونا لورا :** ( جانباً ، وهي تنظر الى غوثالو الذي كان يدبر ظهره )  
كلا ، انني قد تغيرت بشكل محزن ايضا . ومن الافضل ان  
يتذكرني على انني الفتاة ذات العينين السوداوين التي تقذف  
الزهور اثناء مروره بين ورود الحديقة .

( يدخل خوانيتو من اليمين ، ويثرا من اليسار وهي تحمل  
باقة من البنفسج في يدها )

**دونا لورا : حسن يا بئرا ! أخيرا !**

**دون غوثالو :** خوانيتو ، لقد تأخرت .

**بئرا :** ( لدونا لورا ) لقد أعطاني الحارس هذه البنفسجات لك  
يا سيدي .

**دونا لورا :** كم هذا رائع ! اشكركه عني . انها ذات عبير جميل .  
( عندما تأخذ البنفسجات من وصيفتها تسقط على الارض  
بضع زهورات غير مثبتة ) .

**دون غوثالو :** يا سيدي العزيرة ، لقد كان هذا شرفا عظيما وبهجة فائقة .

**دونا لورا :** لقد كان مبهجا لي ايضا .

**دون غوثالو :** وداعا ، الى القد .

**دونا لورا :** الى القد .

**دون غوثالو :** اذا كان مشرقا .

**دونا لورا :** اذا كان صباحا مشرقا . هل سنذهب الى مقفلك ؟

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : كلا ، ساحضر الى هذا .. اذا كنت لا تمانعين ؟

دونا لورا : هذا المقعد تحت تصرفك .

دون غونثالو : وساحضر فئات الخبز بالتأكيد .

دونا لورا : الى الفد اذن .

دون غونثالو : الى الفد .

( تسير لورا مبتعدة نحو اليمين ، مستندة الى وصيفتها .

وقبل أن يفادر غونثالو مع خوانيتو يرتعش ثم ينحني بجهد

كبير ، ليلتقط البنفسجات التي سقطت من لورا .

في تلك اللحظة تدبر لورا رأسها وتفاجئه وهو يلتقط الزهور .

خوانيتو : ماذا تفعل ياسيدي ؟

ARCHIVE

دون غونثالو : خوانيتو ، انتظر ..

دونا لورا : ( جانباً ) نعم ، انه هو . <http://Archive.org>

دون غونثالو : ( جانباً ) انها هي ، لاريب في ذلك .

( تلوح كل من دونا لورا ودون غونثالو تحية الوداع )

دونا لورا : هل يمكن أن يكون هو ؟

دون غونثالو : يا للسماء ، هل تراها هي ؟

( يتسلمان مرة أخرى ، وكأنها في نافذتها ثانية وهو تحتها

في حديقة الورد ، ثم يختفيان كل على ذراع خادمه ) .

\* \* \*